الباب الأول

الخلاص وصورة الإنسان فى المسيحية ويشتمل على أربعة فصول

الفصل الأول :ـ معنى الخلاص ونشأته.

الفصل الثانى :ـ حالة الإنسان قبل السقوط فى الخطيئة فى التصور المسيحى.

الفصل الثالث :ـ سقوط الإنسان فى الخطيئة فى التصور المسيحى.

الفصل الرابع :ـ عهد الله للإنسان بعد السقوط بالخلاص.

الفصل الأول

معنى الخلاص ونشأته

تعريف الخلاص

إن ضرورة البحث تقتضينا التعرف على معانى اللفظ الذى نتناوله بالبحث والدراسة، والطريق الطبيعى والوضع المنطقى هو الرجوع إلى كتب اللغة أولاً.

الخلاص فى اللغة:

يقول الإمام أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى الفارابى[١] المعروف بالجوهرى :ـ خلص الشىء ـ بالفتح ـ يخلص خلوصًا أى صار خالصًا.

وخلص إليه الشىء: وصل

وخلصته من كذا تخليصًا أى نجيته فتخلص[٢].

ويقول أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على بن منظور[٣]:

خلص الشىء ـ بالفتح ـ يخلص خلوصًا وخلاصا إذا كان قد نشب ثم نجا وسلم. وأخلصه وخلصه، وأخلص لله دينه: أمحضه، وأخلص الشىء: اختاره. والمخلص: الذى أخلصه الله أى جعله مختارًا خالصًا من الدنس.

والمخلص: الذى وحد الله تعالى خالصًا ولذلك قيل لسورة "قل هو الله أحد" سورة الإخلاص.

والتخليص: التنجية من كل مَنْشَب، تقول: خلصته من كذا تخليصًا أى نجيته تنجية فتخلص، وتخلَّصه وتخلُّصا كما يتلخص الغزل إذا التبس.

---

(١) نسبة إلى أنه ولد بفاراب سنة ٣٣٣هـ. وفاراب: إقليم كبير وراء نهر "جيحون" على تخوم بلاد الترك وتوفى سنة ٣٩٣هـ. د/ إبراهيم محمد نجا: المعاجم اللغوية ص٩٦، ص١٠٠.

(٢) الصحاح فى اللغة (تجديد صحاح العلامة الجوهرى) إعداد/ نديم مرعشلى، أسامة مرعشلى، المجلد الأول ص٣٦٢ دار الحضارة العربية بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٧٤م.

(٣) ولد بن منظور فى شهر المحرم ٦٣٠هـ وتوفى فى شعبان ٧١١هـ. د/ إبراهيم محمد نجا: المعاجم اللغوية ص ١٢٢.

وخلص إليه الشيء: وصل. وخلص الشيء يخلص خلوصًا أى صار خالصًا، وخلص الشيء خلاصا. والخلاص يكون مصدرا للشيء الخالص. يقال: خلص فلان إلى فلان أى وصل إليه، وخلص إذا سلم ونجا.

وفى حديث على رضى الله عنه: إنه قضى فى حكومة بالخلاص، أى الرجوع بالثمن على البائع إذا كانت العين مستحقة، وقد قبض ثمنها، أى قضى بما يتخلص به من الخصومة[١].

وما جاء فى أساس البلاغة، والمعجم الوسيط لا يخرج عن دائرة هذه المعانى[٢] وعلى هذا فلفظ "خلص" يحمل معنى التخليص، والخلاص: مصدر بمعنى السلامة والنجاة.

ولقد وردت كلمة الخلاص فى مصادر وكتابات المسيحيين بمعانى تشبه هذه المعانى اللغوية وزادوا عليها معانى تخدم فكرتهم عن عقيدة الخلاص كما سيظهر.

ففى "قاموس الكتاب المقدس": يراد بالخلاص فى العهد القديم: النجاة من الشر أو الخطر "خروج ١٤: ١٣"[٣]، "مزمور ١٠٦: ٨ ـ ١٠"[٤] أما فى العهد الجديد فقد خلع عليها معنى آخر وهو إنقاذ الخطاة بالإيمان بيسوع المسيح[٥].

يقول القس/ لبيب ميخائيل: "الواقع أن كلمة الخلاص" فى اللغتين العبرية واليونانية تعنى: النجاة، والأمان، والحفظ، والشفاء، والصحة، فالإنسان الخاطئ فى حاجة إلى النجاة من سلطان الشيطان، والأمان من دينونة الله العادلة، والحفظ فى يد المسيح القوية، والشفاء من لعنة الخطية، والصحة الروحية التى تكفل لهم القوة والانتصار وهو يجد فى خلاص الله كل هذه المعانى[٦].

---

(١) ابن منظور: لسان العرب ص١٢٢٨ ط دار المعارف.

(٢) أساس البلاغة: الزمخشرى ص١٧٢ دار بيروت للطباعة والنشر، المعجم الوسيط جـ١ ص٢٤٩.

(٣) "فقال موسى للشعب لا تخافوا. قفوا وانظروا خلاص الرب الذى يصنعه لكم اليوم".

(٤) "فخلصهم ربهم من أجل اسمه ليعرف بجبروته وانتهر بحر سُوفٍ فيبس وسيرهم فى اللجج كالبرية. وخلصهم من يد المبغض".

(٥) قاموس الكتاب المقدس ص٣٤٤.

(٦) القس لبيب ميخائيل: يقين الخلاص ص٨.

ويقول آخر "قد وردت كلمة" خلاص" فى الكتاب المقدس بمعانى مختلفة منها :

١ـ **خلاص بمعنى الإنقاذ من العدو :** عند البحر الأحمر قال موسى للشعب "لاتخافوا قفوا وانظروا خلاص الرب الذى يصنعه لكم اليوم"(١).

ورنم موسى وبنو إسرائيل قائلين "الرب قوتى ونشيدى. وقد صار خلاصى"(٢).

وقال شاول "لا يقتل أحد فى هذا اليوم لأنه فى هذا اليوم صنع الرب خلاصا"(٣).

وقال الشعب لشاول "أيموت يوناثان الذى صنع هذا الخلاص العظيم"(٤).

وتحدث شمشون عن نفسه مصليا لله "إنك قد جعلت بيد عبدك هذا الخلاص العظيم"(٥) وفى المزمور التاسع والستين "لأن الله يخلص صهيون ويبنى مدن يهوذا فيسكنون هناك ويرثونها"(٦).

وتنبأ زكريا قائلاً "أقام لنا قرن خلاص فى بيت داود... وخلاص من أعدائنا ومن أيدى جميع مبغضينا"(٧).

فلقد وردت كلمة الخلاص فى كل هذه الأماكن بمعنى النصر والإنقاذ من أيدى الأعداء.

٢ ـ **خلاص بمعنى الإنقاذ من مخاطر الحياه.**

عندما كان التلاميذ فى القارب وهم فى رعب عظيم تقدموا نحو المسيح وأيقظوه قائلين "يا سيد نجنا فإننا نهلك"(٨) وكلمة "نجنا" هنا جاءت فى الأصل اليونانى بمعنى "خلصنا"(٩) وتحت هذا المعنى السابق أورد ـ القس/ صموئيل حبيب ـ معانى كثيرة فجعل منها :

---

(١) خروج ١٢ : ١٣.
(٢) خروج ١٥ : ٢.
(٣) صموئيل الأول ١١ : ١٣.
(٤) صموئيل الأول ١٤ : ٤٥.
(٥) قضاة ١٥ : ١٨.
(٦) مزمور ٦٩ : ٣٥.
(٧) لوقا ١ : ٦٩ ـ ٧١.
(٨) متى ٨ : ٢٥.
(٩) القس صموئيل حبيب : الخلاص فى مفهومه الكتاب والتطبيقى ص ٩ ، ١٠.

❖ **الخلاص من الموت:**

جاء فى المزمور الثامن والستين "الله لنا خلاص وعند الرب السيد للموت مخارج"(١) وكاتب الرسالة إلى العبرانيين يحدثنا عن نوح "بالإيمان نوح لما أوحى إليه عن أمور لم تر بعد خاف فبنى فلكا لخلاص بيته فبه دان العالم وصار وارثا للبر الذى حسب الإيمان"(٢).

❖ **الخلاص من ضيقات الحياة:**

"لماذا أنت منحنية يانفسى ولماذا تئنين فىَّ ترجى الله لأنى بعد أحمده خلاص وجهى وإلهى"(٣).

وقال إشعياء "ويقال فى ذلك اليوم هوذا هذا إلهنا انتظرناه فخلصنا. هذا هو الرب انتظرناه. نبتهج ونفرح بخلاصه"(٤) فالخلاص هنا بمعنى انقاذ الإنسان من أتعاب الحياة.

❖ **الخلاص من المرض والأرواح الشريرة:**

"الذين رأوا كيف خلص المجنون"(٥) فقد خرجت منه الشياطين ودخلت فى قطيع الخنازير"(٦).

❖ **الخلاص بمعنى الأمن والضمان:**

غنى داود "إله صخرتى به أحتمى، ترسى وقرن خلاصى. ملجأى ومناصى مخلصى من الظلم تخلصنى"(٧) وهنا نجد كلمة "تخلصنى" بمعنى حمايتى فى المستقبل.

---

(١) مزمور ٦٨ : ٢٠.

(٢) عبرانيين ١١ : ٧.

(٣) مزمور ٤٢ : ١١.

(٤) إشعياء ٢٥ : ٩.

(٥) لوقا ٨ : ٣٦.

(٦)وذلك على أساس فكرتهم أن الأرواح الشريرة تسبب الأمراض الجسدية من الجنون والعمى والصرع، كما سنبين ذلك فى الفصل الثالث من هذا الباب.

(٧) صموئيل الثانى ٢٢ : ٣.

٣ ـ خلاص بمعنى الإنقاذ من الخطية:

قال يسوع للمرأة الخاطئة التى دهنت رجليه بالطيب (إيمانك قد خلصك اذهبى بسلام)[١].

وقال بولس "لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم. هو عطية الله"[٢][٣].

ولقد وردت كلمة "الخلاص" فى الكتاب المقدس بمشتقاتها زهاء خمس وأربعين وأربعمائه"[٤] ووردت فى العهد الجديد فقط مائة مرة منها أربع عشرة مرة عن الشفاء من المرض وإخراج الشياطين، وعشرين مرة عن الإنقاذ من الموت والمخاطر، وست وستين مرة بالمعنى الروحى[٥].

يقول "باركلى" فى تفسير رسالة بولس إلى أهل رومية:

المقصود بالخلاص: إنه الخلاص من المرض الجسدى وهو نجاة للجسد والنفس.

إنه الخلاص من الخطر، وليس هذا الخلاص يحفظ حياة الإنسان من الخطر لكنه يمنحه الاطمئنان والأمان حتى وسط الخطر.

إنه الخلاص من العدوى من العالم الأعوج الشرير وكل من عنده هذا الخلاص يملك مطهرا إلهيا يحفظه من عدوى وفساد هذا العالم الشرير.

إنه خلاص من الضياع: لقد جاء يسوع ليطلب ويخلص ما قد هلك، إن الإنسان غير المخلص يسير فى الطريق الخاطئ الذى يقوده للهلاك أما المخلص فهو الذى وجد الطريق الصحيح.

إنه خلاص من الخطية: الإنسان كعبد مستعبد لسيد لا يقدر أن يهرب منه إنه كالمريض الذى شخص الداء ويعرف العيب ولكنه لا يملك العلاج والخلاص المسيحى ينقذه من ذل الخطية.

---

(١) لوقا ٧: ٥٠.

(٢) أفسس ٢: ٨.

(٣) الخلاص فى مفهوم الكتابى والتطبيقى ص١١ ـ ١٢.

(٤) د/ جورج بوست: فهرس الكتاب المقدس ص١٧٩، ١٨٠.

(٥) الخلاص فى مفهوم الكتابى والتطبيقى ص١٣، ويقصد بالمعنى الروحى: هو الإنقاذ من الخطية.

إنه خلاص من غضب الله: إن فى العالم قانونًا أخلاقيًا لا يمكننا أن نتجاهله وإن فى الإيمان المسيحى فكرة الدينونة وبدون الخلاص الذى فى المسيح يقف الإنسان تحت العقوبة"[١].

ويقول بنيامين بنكرتن فى تفسير "إنجيل متى"

قد تعودنا أن نجعل معنى كلمة "خلاص" قاصرًا على خلاص النفس من الدينونة الأبدية ولكنها وردت فى مواضع كثيرة بمعنى الشفاء لكونه خلاصًا من الأمراض وبمعنى الإنقاذ من الأخطار والاضطهاد وما شاكل ذلك"[٢].

كل هذه المعانى السابقة لكلمة الخلاص معانى عامة وضعها المسيحيون لتوسيع دائرة الخلاص.

المعنى الاصطلاحى:

أما المعنى الدقيق الاصطلاحى لكلمة الخلاص فهو (ينصب على الخلاص من الخطيئة)[٣] حتى أصبح هذا المعنى لازمًا للخلاص.

يقول القس إلياس مقار: "إن الخلاص كما هو واضح من رسالة المسيح والمسيحية هو خلاص الإنسان من الخطيئة[٤]. إذ قال الملاك عن العذراء" فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم[٥].

فالخلاص: هو التحرر من الخطيئة والتحرر بالتالى من آثارها[٦] أى أن "الخلاص من قصاص الخطيئة لا يترتب عليه النجاة من دينونتها إلى الأبد فقط بل يترتب عليه أيضًا تبرير الخطاة وتطهيرهم وتقديسهم ومصالحتهم مع الله وتمتعهم معه بالحياة الأبدية[٧].

وعليه فالخلاص من الخطيئة - فى نظرهم - يشمل الأزمنة الثلاثة:

---

(١) باركلى: تفسير العهد الجديد: رسالة بولس إلى أهل رومية ص٣٤.
(٢) بنيامين بنكرتن: تفسير إنجيل متى ص١٦٨.
(٣) د/ القس فهيم عزيز: المدخل إلى العهد الجديد ص١٨٣.
(٤) القس إلياس مقار: "إيمانى" أو قضايا المسيحية الكبرى ص٣٨٦.
(٥) متى ١: ٢١.
(٦) جون ستوت: المسيحية فى جوهرها ص١٣١.
(٧) عوض سمعان: طريق الخلاص ص٢٥.

الماضى، والحاضر، والمستقبل.

الخلاص من الماضى: وهو ما يعبر عنه بغفران الخطية التى ورثها الإنسان، والتجديد.

الخلاص فى الحاضر: وهو ما يعبر عنه بالتقديس.

الخلاص فى المستقبل: وهو ما يعبر عنه بالتمجيد.

لذلك يقول كلايد تارنر:

للخلاص ثلاث مراحل:

اختبار أولى: تجديد

اختيار نام: تقديس

اختبار نهائى: تمجيد

أى خلاص من لعنة الخطيئة

خلاص من سلطان الخطيئة

وأخيرا الخلاص من الخطيئة

والخلاص من الخطيئة له ثلاث صيغ:

(ماضى) (تخلصنا) وهذا هو التجديد[١].

"حاضر" "نحن نخلص" وهذا هو التقديس[٢].

"مستقبل" "سنخلص" وهذا هو التمجيد[٣][٤].

والتجديد: هو غفران الخطيئة التى ولد بها الإنسان والخطايا التى فعلها الإنسان فى ماضى حياته. **والتقديس:** هو الحصول على الخلاص كل يوم بالتطهير فى ضعف الإنسان وزلاته بروح القدس[٥].

يقول: عوض سمعان: والتقديس يراد به أمران:

الأول: التكريس أو التخصيص فقول المسيح عن نفسه "لأجلهم أقدس أنا ذاتى"[٦] يراد به أن يخصص ذاته لرعايتهم والعناية بهم.

---

(١) أفسس ٢: ٥ ـ ٨.

(٢) فيلبى ٢: ١٢.

(٣) رومية ٥: ٩، ١٣: ١١.

(٤) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص١١٢، القس بخيت متى: قضاء الله ومسئولية الإنسان ص١٥٥.

(٥) نادية منيس: الخلاص فى الكتاب المقدس ص٩.

(٦) يوحنا ١٧: ٩.

الثانى: التكميل فقول بولس إلى أهل تسالونيكى "إن السلام نفسه يقدسكم بالتمام"[١] يراد به أن الله يكملهم إلى التمام ولذلك فتقديس المؤمنين لا يراد به فقط تخصيصهم لله بل وأيضًا جعلهم كاملين أمامه[٢].

والتمجيد: هو الحصول على الحياة الأبدية عن طريق الحصول على جسد ممجد وارث السماء مع المسيح[٣].

يقول القس/ صموئيل حبيب:

إن دعوة الله للخلاص تحمل المفاهيم الآتية:

أولاً: دعوة للتحرر من الخطيئة وعقابها:

وهذا هو المعنى الأساسى للخلاص إنه يعنى إنقاذ الإنسان من الخطيئة وأسرها واستعبادها وبالتالى فهو إنقاذ من عقابها.

ثانيًا: دعوى للتقديس:

ويقصد بالتقديس "التخصيص والفرز" كما يقصد به التطهير[٤] الروحى والأدبى.

ثالثًا: دعوة للمجد:

يقول بولس "نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا أيضا نئن فى أنفسنا متوقعين التبنى فداء أجسادنا"[٥] فإن الخلاص هنا يعنى الخلاص من الجسد أى ـ التمجيد[٦].

وعلى ذلك يتبين لنا أن الخلاص من الخطيئة لكى يكون تامًا ـ فى نظرهم ـ لابد وأن يكون:

أولاً: خلاصًا من دين الخطيئة

ثانيًا: خلاصًا من سلطان الخطيئة

---

(١) ١ـ تسالونيكى ٥: ٢٣.

(٢) عوض سمعان: طريق الخلاص ص٣٠.

(٣) الخلاص فى الكتاب المقدس ص٩.

(٤) والتطهير يراد به إزالة كل أثر للخطية من المؤمنين من أمام الله حتى يظهروا أمام الله بلا عيب على الإطلاق (طريق الخلاص ص٢٩).

(٥) رومية ٨: ٢٣.

(٦) صموئيل حبيب: الخلاص فى مفهومه الكتابى والتطبيقى ص٦٦.

١ ـ الخلاص من دين الخطيئة:

يقول القس إلياس مقار: الكتاب المقدس يفيد بأن الجنس البشرى ورث الأبوين الأولين فى سقوطهما وفساد الطبيعة، ألم يقل داود فى ذلك "هاأنذا بالإثم صورت وبالخطية حبلت بى أمى"[١] فإذا أضيف إلى هذا أننا خطاة ومدنيون ليس على أساس الخطيئة الأصيلة[٢] فحسب بل على أساس ما نرتكب من خطايا فعلية مستمرة دائمة أمام الله أضحى مركز كل بشرى مركز المدين أمام الله بدين الخطية الأصلى والفعلى معا. والمسيح فى أكثر من مثل عبر عن الخطية كدين إذ قال فى مثل العبد الشرير: "فلما ابتدأ فى المحاسبة قدم إليه واحد مديون"[٣] وفى المثل الذى تحدث به إلى سمعان الفريسى (وكان لمداين مديونان)[٤].

لقد خلق الله الإنسان وربطه بطبيعته تعالى ونظامه وناموسه الأدبى وكل خروج على هذه الطبيعة وحكمها الأدبى وعدالتها وحقها وقداستها لابد أن ينال الجزاء، والإنسان بهذا المعنى مدين من هامة رأسه إلى أخمص القدم وفى حاجة إلى الخلاص من دين الخطيئة[٥].

يقول بولس فى رسالته الثانية إلى تيموثاوس "الذى خلصنا ودعانا دعوة مقدسة لا بمقتضى أعمالنا بل بمقتضى القصد والنعمة التى أعطيت فى المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية وإنما أظهرت الآن بظهور مخلصنا يسوع المسيح"[٦].

وجاء فى أعمال الرسل عن المسيح (ليس بأحد غيره الخلاص. لأنه ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص)[٧].

---

(١) مزمور ٥١ : ٥.

(٢) ويقصد بالخطية الأصيلة: خطيئة آدم.

(٣) متى ١٨ : ٢٤.

(٤) لوقا ٧ : ٤١.

(٥) القس إلياس مقار: (إيمانى أو قضايا المسيحية الكبرى) ص٢٨٦ ـ ٢٨٧ بتصرف.

(٦) ٢ تيموثاوس ١ : ٩.

(٧) أعمال الرسل ٤ : ١٢.

وفى رسالة بولس إلى أهل رومية (لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت)[١] وهذا الخلاص يتم فى الحال على اعتبار أن الخطيئة دين[٢].

فالخلاص فى هذه الفقرات معناه ـ عند المسيحيين ـ: الخلاص من خطيئة آدم التى ورثها لأبنائه وذريته والجنس البشرى من بعده، وهذا هو الشطر الأول للخلاص من دين الخطيئة.

أما الشطر الثانى فهو الخلاص من الخطايا الأخرى وهذا هو المقصود مما جاء فى رسالة أعمال الرسل "أن كل من يؤمن به ـ أى المسيح ـ ينال باسمه غفران الخطايا"[٣] وفى رسالة يوحنا الأولى (قد غفرت لكم الخطايا من أجل اسمه)[٤] وفى رسالة بولس إلى أهل كولوسى (مسامحا لكم جميع الخطايا)[٥] وغفران الخطايا بالجمع يراد به ـ عندهم ـ غفران جميع الخطايا وليس خطيئة آدم فحسب. ونظرًا لأن هذا الخلاص تم بكفارة المسيح ويحصلون عليه كما يقولون بالإيمان لذلك ترد أفعال الخلاص فى صيغة الماضى والحاضر[٦].

٢ ـ الخلاص من سلطان الخطيئة:

يقول القس إلياس مقار "وهذا ما يحتاجه الإنسان بكل يقين وتأكيد إلى جانب تحرره من دينها البغيض إذ أن طبيعة الإنسان الفاسدة طبيعة مريضة، والمريض المنحرف لا يمكن أن يتصرف تصرفًا سليمًا بل هو مكبل ومقيد بالعادات الشريرة والغرائز الفاسدة وكلما أمعن وأوغل فى الخطيئة كلما ازدادت قسوة هذه العادات والغرائز فى حياته ومنهاج سلوكه ومن ثم رأيناه يصرخ فى أحايين متعددة هذه الصرخة المؤثرة المحزونة" لأنى لست أعرف ما أنا أفعله إذ لست أفعل ما أريده بل ما أبغضه فإياه أفعل.. لأن الإرادة حاضرة عندى وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد... ويحى أنا الإنسان الشقى[٧] وكل هذا لأنه مريض بأقسى مرض، وعنه يقول المسيح

---

(١) رومية ١٠ : ٩.
(٢) المرجع السابق ص٢٨٧.
(٣) أعمال الرسل ٢٦ : ١٨.
(٤) ١ ـ يوحنا ٢ : ١٢.
(٥) كولوسى ٢ : ١٣.
(٦) عوض سمعان: طريق الخلاص ص٢٥ ـ ٢٦.
(٧) رومية ٧: ١٥ ـ ٢٤.

"لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى"[١] ومن ثم فهو ـ أى الإنسان ـ فى حاجة لا إلى الخلاص من الخطيئة كدين بل كمرض أيضًا[٢].

وهذه الفكرة مبنية عندهم على أساس أن الطبيعة الإنسانية طبيعة فاسدة نتيجة لتعلقها بالخطيئة الموروثة عن طريق التوالد الجسدى. وهى فكرة سنناقشها فيما بعد.

يقول عوض سمعان (والمسيح لم يخلصنا فى الماضى من عقوبة الخطيئة الأبدية ويخلصنا فى الوقت الحاضر من سلطة الخطية وتأثيرها على نفوسنا فحسب ولكنه وعد أيضًا أنه سيخلصنا من الطبيعة الخاطئة نفسها أو بالحرى يغير أجسادنا إلى صورة جسد مجده)[٣].

فقد قال بولس "هكذا المسيح أيضًا بعدما قدم مرة لكى يحمل خطايا كثيرة سيظهر ثانية بلا خطية (أو بالحرى بدون أى عمل خاص بالخطيئة) للذين ينتظرونه"[٤] وهذا ما يعبر عنه بالخلاص فى المستقبل عندما يتحرر الإنسان من كل رواسب الخطيئة عندما يصل إلى المجد الأبدى[٥] وهذا ظاهر من قول بولس (فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا)[٦] وقول يوحنا "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية"[٧].

ونخلص من هذا كله إلى تعريف عام للخلاص فى اصطلاح المسيحيين: هو كما يقول أحدهم: تحرير الإنسان الكامل من دين الخطية ومرضها وسلطانها واستعبادها نفسًا وروحًا وجسدًا والأخذ بيده حتى يقف أمام الله فى كمال البر والقداسة والمجد والعزة والبهاء إلى أبدين الآبدين[٨] ويقول آخر: فخلاص الإنسان معناه ليس فقط

---

(١) متى ٩: ١٢.
(٢) قضايا المسيحية الكبرى ص٣٨٧.
(٣) عوض سمعان: طريق الخلاص ص٣٣.
(٤) عبرانيين ٩: ٢٨.
(٥) قضايا المسيحية الكبرى ص٣٨٧.
(٦) رومية ١٣: ١١.
(٧) يوحنا ٣: ١٦.
(٨) المرجع السابق ص٣٨٨.

غفران الخطية ولكن أيضًا خلقة الإنسان خلقة جديدة، ولا يستطيع المخلوق أن يخلق بل لابد أن يخلقه كلمة الله الذى خلقه فى الأصل، وهذا الخلق الجديد لابد أن يتم فى داخل طبيعة الإنسان التى فسدت، بل لابد من إبطال الخطية وإلغاء الفساد والموت داخل الإنسان نفسه لذلك كان لابد للخالق أن يأخذ طبيعة الإنسان ويوحدها بنفسه أى يصير إنسانًا لكى يمكنه من أن يموت بهذا الجسد الذى اتخذه[١].

وجاء فى كتاب (شرح أصول الإيمان).

المراد بالخلاص: نجاة كلية من كل خطية وقوتها ونتائجها ونوال كمال السعادة والراحة الأبديتين[٢]. هذا هو الخلاص فى اصطلاح المسيحيين وهو كما رأينا يختص أساسًا بالخلاص من الخطيئة فى جميع أدوارها وأزمانها ونتيجة لهذا الخلاص ينال الإنسان الحياة الأبدية.

تعريف الفداء:

إن كلمة الفداء قريبة المعنى من كلمة الخلاص وغالبا ما نجد علماء المسيحيين يطلقون على الخلاص فداء وعلى الفداء خلاصًا لذلك كان لابد من تعريف "الفداء حتى يتبين ما بينهما من ارتباط.

الفداء فى اللغة:

يقول ابن منظور (فدى: فديته وفداء، افتديته)

قال الشاعر: **فلو كان ميت يفتدى لفديته بما لم تكن عنه النفوس تطيب**

وإنه لحسن الفدية، والمفاداة: أن تدفع رجلاً وتأخذ رجلاً

والفداء: أن تشتريه، فديته بمالى وفديتى بنفسى. وفى التنزيل العزيز ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ﴾ [سورة البقرة آية ٨٥].

---

(١) باسيليوس: سر الفداء ص١٨.

(٢) د/أندرو وطسون، د/ القس إبراهيم سعيد: شرح أصول الإيمان ص٤٥١.

وقرئ (تفدوهم)[١]. قال أبو معاذ: من قرأ "تفدوهم" فمعناه تشتروهم من العدو وتنقذوهم وأما "تفادوهم" فيكون معناه: تماكسون من هم فى أيديهم فى الثمن ويماكسونكم.

قال الوزير ابن المغربى: فدى إذا أعطى مالا وأخذ رجلاً

وأفدى إذا أعطى رجلاً وأخذ مالا، وفادى إذا أعطى رجلاً وأخذ رجلاً[٢].

وجاء فى المعجم الوسيط. الفداء: ما يقدم من مال ونحوه لتخليص المفدى[٣] فالفداء كلمة تعنى فى معاجم اللغة الاشتراء والإنقاذ والخلاص.

الفداء فى اصطلاح المسيحيين:

جاء فى قاموس الكتاب المقدس، تشير لفظة الفداء فى العهد القديم فى أغلب الأحيان إلى خلاص الجسد، فى سفر التثنية (بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذى أقسم لآبائكم أخرجكم الرب بيد شديدة وفداكم من بيت العبودية من يد فرعون ملك مصر)[٤] "الرب إلهكم الذى أخرجكم من أرض مصر وفداكم من بيت العبودية"[٥].

أما فى العهد الجديد فتشير إلى الخلاص من الخطيئة (الذى بذل نفسه لأجلنا لكى يفدينا من كل إثم)[٦] ومن نتائجها "لأن ابن الإنسان أيضًا لم يأت ليخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين"[٧] وإلى الخلاص من رق الناموس "ولما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودًا من امرأة مولودا تحت الناموس ليفتدى الذين تحت الناموس لننال التبنى"[٨][٩].

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر "أسارى" بألف، و"تفدوهم" بغير ألف، وقرأ نافع وعاصم والكسائى ويعقوب الحضرى "أسارى تفادوهم" بألف فيهما، وقرأ حمزة "أسرى تفدوهم" بغير ألف فيهما. ص٣٣٦٦ لسان العرب.

(٢) ابن منظور: لسان العرب ص٣٣٦٦ ط دار المعارف.

(٣) المعجم الوسيط جـ٢ ص٦٧٨.

(٤) تثنية ٧: ٨.

(٥) تثنية ١٣: ٥.

(٦) تيطس ٢: ١٤.

(٧) مرقس ١٠: ٤٥.

(٨) غلاطية ٤: ٤، ٥.

(٩) قاموس الكتاب المقدس ص٦٧٢.

وفى علم اللاهوت النظامى[١] المراد بالفداء: الإنقاذ من الشر والبلية بتأدية الفدية المعبر بها عن هذا المعنى. فى الأصل اليونانى معناها الأول اشترى ثم اشترى بدفع الثمن فدية (لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه)[٢][٣] فلفظة الفداء يعبر بها عن نتيجة كفارة المسيح باعتبار نسبتها إلى الإنسان لأنه نال بها الفداء أى التخلص من لعنة الشريعة ومن عبودية الخطية ومن القصاص الأبدى بواسطة عمل المسيح الذى دفع عنه فدية دمه[٤] كما قيل "إن ابن الإنسان أتى ليبذل نفسه فدية عن كثيرين"[٥] فالمسيح قدم نفسه ـ كما يقولون ـ فدية عن خطايا العالم أجمع[٦].

وعلى هذا يتبين لنا مدى القرب الشديد لمعنى الفداء من معنى الخلاص فهما يحملان معانى قريبة الشبه وإن كان الفداء كما هو واضح ثمنا للخلاص أو بتعبير آخر مقدمة للخلاص. يقول د/ أندرو وطسون: يراد بالفداء كل بركات الخلاص المعلن فى الكتاب المقدس للخطاة الهالكين[٧].

ويقول آخر: إن عمل الفداء وعمل الخلاص شىء واحد فإن الذى يقال له فى الكتب المقدسة خلاص يقال له أيضًا أحيانًا فداء، وهكذا يقال عن المسيح إنه مخلص شعبه وفاديه، أما عمل الفداء فقد يراد به على حصر المعنى مشترى الخلاص بإعطاء البدل، وعلى ذلك لم يكن زمانه طويلاً لأنه ابتدأ من تجسد المسيح وانتهى عند وقوعه تحت سلطة الموت إلى يوم قيامته الذى فيه أكمل عمل الفداء فتمم المشترى.

---

(١) علم اللاهوت النظامى هو عنوان كتاب أصدرته الهيئة القبطية الإنجيلية بمصر، وهو كما جاء فى التقديم له ـ يعتبر المرجع الوحيد لعلم اللاهوت النظامى فى اللغة العربية وإن كانت قد ظهرت بعض الكتب التى تناقش موضوعات محددة إلا أنه لا يوجد مرجع شامل للبحث اللاهوتى النظامى المتكامل سوى هذا الكتاب، وقد بلغت صفحات هذا المرجع خمسا وعشرين ومائتين بعد الألف. وسمى علم اللاهوت النظامى لأن غايته ـ كما جاء فيه ـ نظام علم اللاهوت على ما يوافق بيان الحق ودفع الضلال. راجع ص١٦.

(٢) سفر أعمال الرسل ٢٠ : ٢٨.

(٣) علم اللاهوت النظامى ص٨٥٨.

(٤) المرجع السابق ص٨٢٩.

(٥) متى ٢٠ : ٢٨.

(٦) يوحنا ٣ : ١٦.

(٧) د/ أندرو وطسون، د/ القس إبراهيم سعيد: (شرح أصول الإيمان) ص٢١٠.

وقد يراد أحيانًا بعمل الفداء على غير وجه الحصر جميع ما يعمله الله لهذه الغاية فلا ينحصر ذلك فى المشترى فقط بل يشمل جميع أعمال الله المعدة للمشترى والمتممة لنجاحه، وعلى ذلك يراد على هذا المعنى بعمل الفداء جميع ما عمله الله فى استعداد فداء المسيح ومشتراه وتخصيصه ونجاحه[١].

فعمل الفداء يراد به بالمعنى الخاص: الثمن الذى اشترى به الخلاص أى أن الخلاص نتيجة لعمل الفداء لذلك غالبًا ما نجد دائمًا عبارة "خلص بالفداء"، وبالمعنى العام يضاهى الخلاص فى معناه، وعلى هذا المعنى ـ المعنى العام ـ لا فرق بينهما.

ويمكن القول إنهما إن اجتماعا فى كلمة واحدة فيكون ذلك مثارًا لأن يكون لكل منهما معنى خاصًا به يترتب على أحدهما الآخر. وإن افترقا يحمل كل منهما معنى الآخر.

(نشأة الخلاص)

تمهيد:

إن الخلاص بمعناه اللغوى العام شائع فى الديانات، لا تخلو ديانة من وجود هذه المعانى، من النجاة من الخطر، والسلامة من الأخطار، سواء أكانت دينية أم دنيوية. والديانات الوثنية التى تسير على غير هدى تجد فى فكرة الخلاص بمعناه الخاص الدينى مرتعًا خصبًا للأمانى الدينية والدنيوية فى المستقبل، وكثيرًا ما تكون هذه الأمانى مرتبطة بالأزمات وأوقات الضيق والشدة.

يقول العقاد: "يدل علم المقارنة بين الأديان على شيوع الإيمان بالخلاص وظهور الرسول المخلص فى زمن مقبل، وظهر من عقائد القبائل الحمر فى القارة الأمريكية أن القبائل التى تؤمن بهذه العقيدة غير قليلة من الأمريكتين وليس فى هذا عجب.. لأن الرجاء فى الخير أصل من أصول الديانة والأمل فى الصلاح مادة من مواد الحياة الإنسانية فى طلب الكمال والخلاص من العيوب وقد يشتد هذا الأمل حين تشتد الحاجة إليه، فكان المصريون الأوائل يترقبون "المخلص" المنقذ بعد زوال الدولة القديمة، وكان البابليون يؤمنون بعودة "مردخ" إلى الأرض فترة لقمع الفتنة وتطهيرها

(١) القس إنسطاسى شفيق: الفداء فى إنجيل لوقا ص٢٦.

من الفساد، وكان المجوس يؤمنون بظهور رسول من إله النور كل ألف سنة ينبعث فى جسد إنسان وقيل إنه هو زرادشت[١].

قالديانات وإن اتفقت فى الرجاء فى الخير كمعنى عام للخلاص إلا أنها تختلف فى المعانى الاصطلاحية والتفصيلية التى تجعلها معنى خاصًا بها.

الخلاص اليهودى:

مما لاشك فيه أن المسيحية حلقة من حلقات ديانة بنى إسرائيل، وأن المسيح عيسى بن مريم واحد من أنبياء بنى إسرائيل فهو يقول وهو يحدد معالم دعوته للاثنى عشر "إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامرين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة"[٢] ثم يعلنها المسيح صراحة حين خرجت عليه هو وتلاميذه امرأة كنعانية[٣] تلتمس منه الشفاء لابنتها "فلم يجبها بكلمة فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين اصرفها لأنها تصيح وراءنا فأجاب وقال لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة"[٤].

فهذه الفقرة أفادت أن المسيح مرسل إلى خراف بيت إسرائيل الضالة وفى نفس الوقت نفت إرسال المسيح إلى غيرهم، لقد حددت هذه الفقرة التى قالها المسيح من هم المرسل إليهم. والمسيح بين لتلاميذه أن دعوته ليس المقصود منها ديانة جديدة وشريعة جديدة وإنما بين لهم أنه يسير فى نفس الطريق الذى رسمه أنبياء بنى إسرائيل فهو يقول (لا تظنوا أنى جئت لأ نقض الناموس بل لأكمل)[٥].

يقول بنيامين بنكرتن فى تفسير هذه الفقرة:

كان الناموس نيرا لم يستطع إسرائيل أن يحمله (أعمال ١٥ : ١٠) وطالما وبخهم الأنبياء على مخالفتهم إياه ولكن بدون نتيجة حسنة، ولم يزل الناموس حاكما عليهم (غلاطية ٣ : ١٠) وأما الآن فقد حضر المسيح بينهم ليعلمهم، فهل يا ترى

---

(١) العقاد: حياة المسيح ص٢٨.

(٢) متى ١٠ : ٦.

(٣) امرأة كنعانية كما فى إنجيل متى ١٥ : ٢١ ولكن إنجيل مرقس قال إنها فينيقية أى سورية ٧ : ٢٦.

(٤) متى ١٥ : ٢١ ـ ٢٤.

(٥) متى ٥ : ١٧ ـ ١٨.

ينسخ الناموس؟ أو يخفف مطالبه عنهم؟ إنه لا يعمل هذا ولا ذاك لأن الناموس صالح ومقدس وعادل[١] وليس اللوم عليه بل عليهم. إذن لم يأت المسيح لينقض شيئًا من الناموس أو الأنبياء، أما قوله "لأكمل" فمعناه:

أولاً: أنه لا يبطل سلطان الناموس أو الأنبياء بل يبقيه فى وضعه الإلهى.

ثانيًا: أنه هو بذاته تكميل الناموس أو الأنبياء[٢].

وعلى ذلك: فإن أى تاريخ لأى فكرة من أفكار العقائد المسيحية لابد أن يبدأ أولاً بما لدى اليهود من معان لهذه العقيدة حتى يتبين لنا مدى تطبيق "لم آت لأنقض الناموس"، وحتى يظهر لنا: هل قبل المسيحيون عقيدة الخلاص اليهودى أم لا؟ وما سبب القبول أو عدم القبول؟

والخلاص اليهودى يقوم على أساس أن هناك مخلصا منتظرًا يأتى ليخلصهم "وكان اليهود يحدثون مواطنيهم عن النبى المنتظر وكانوا يعللون أنفسهم بهذا الحديث كلما ضاقت بهم السبل"[٣].

أسباب قول اليهود بالخلاص على يد المخلص

السبب الأول: كان السبب الأول الذى جعل اليهود ينتظرون مخلصا هو اعتقادهم بأنهم شعب الله المختار اختارهم وحدهم شعبًا خالصًا له دون سائر الشعوب.

ففى سفر الخروج "أنتم تكونون لى مملكة كهنة وأمة مقدسة"[٤].

وفى سفر التثنية "مباركًا تكون فوق جميع الشعوب لا يكون عقيم ولا عاقر فيك ولا فى بهائمك. ويرد الرب عنك كل مرض وكل أدواء مصر الرديئة التى عرفتها لا يضعها عليك بل يجعلها على كل مبغضيك. وتأكل كل الشعوب الذين الرب إلهك يدفع إليك. لا تشفق عيناك عليهم"[٥].

---

(١) رومية ٧: ١٢.

(٢) بنيامين بنكرتن: تفسير إنجيل متى ص٧٣ ـ ٧٤.

(٣) د/ رفقى زهران: قصة الأديان ص١٨٩.

(٤) خروج ١٩: ٦.

(٥) تثنية ٧: ١٤ ـ ١٦.

فقد رأوا أن يتحدثوا عن أنفسهم بأنهم شعب الله الذى اختارهم على علم على العالمين وأنهم أبناء الله وأحباؤه فأطلقوا على الله لقب "الآب" وأطلقوا على أنفسهم لقب "الأبناء" وكتبوا فى توراة موسى عليه السلام أن الله خاطبهم بقوله "أنتم أولاد للرب إلهكم. لا تخمشوا أجسادكم ولا تجعلوا قرعة[١] بين أعينكم لأجل ميت. لأنك شعب مقدس للرب إلهك وقد اختارك الرب لكى تكون له شعبًا خاصًا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض"[٢]، [٣].

يقول العالم الإنجليزى (ولز):

إن فكرة المسيح عند اليهود كانت خطوة طبيعية ناشئة عن خطوات سبقتها، وتلك الخطوات هى الاعتقاد بأن الخلق أجمعين ليسوا من أبناء إبراهيم وإنما هم أمم وقبائل، وأن الشعب اليهودى أرقى هذه الأجناس وتلك الأمم وأن إلههم يهوه أعظم وأقوى آلهة القبائل خطرًا، وانتهى الأمر بالشعب اليهودى أن اقتنعوا ـ على بكرة أبيهم ـ بأنهم الشعب المختار للرب الأوحد للأرض قاطبة.

ونشأت عن هذه الأفكار الثلاثة فكرة المسيح المنقذ رجاء أن يحقق لليهود ما ترامى به الزمن من وعود يهوه التى طال عليها الأمد[٤].

ويضاف إلى ذلك أن فكرة انتظار المخلص لدى اليهود كانت مرتبطة بفكرة تجديد العهد مع الرب لكى تصبح أمة الله جديرة به وتصبح أورشليم مدينة لا تبارى"[٥].

فاليهود اعتقدوا أنهم شعب مميز اختاره الرب ليكون شعبه المقدس لذلك كان لابد أن يرسل الرب ـ فى نظرهم ـ مخلصًا لهم ليجدد العهد وليبرأهم مما هم فيه كما سيأتى فى السبب الثانى.

---

(١) أى حلق شعر الرأس، وكان حلق شعر الرأس عند العبرانيين من علامات الحزن (إشعياء ٣: ٢٤) أو الخجل (حزقيال ٧: ٨) أو إتمام نذر (عدد ٦: ١٩) راجع قاموس الكتاب المقدس ص٧١٧.

(٢) تثنية ١٤: ١، ٢.

(٣) د/ أحمد السقا: أقانيم النصارى ص١١، ١٢.

(٤) ولز: معالم تاريخ الإنسانية المجلد الثانى ص٢٩٩، ٣٠٠.

(٥) نورمان كانتو: التاريخ الوسيط. ترجمة د/ قاسم عبده قاسم ص٥٦.

استولت هذه الفكرة ـ القائلة بالانتساب إلى شعب مختار ـ على لب اليهود الذين ظلوا فى بابل ووصل الأدب الخاص بها إلى اليهود الذين كانوا مستقرين فى مصر آنذاك كما أنها أثرت فى الشعب المختلط الذى أسكن السامرة (وهى العاصمة القديمة لملوك إسرائيل) "عندما أبعدت القبائل العشر[١] إلى ميديا وهى التى أوحت إلى عدد كبير من البابليين وغيرهم أن يدعوا فى إبراهيم أبا لهم وأن يفرضوا أنفسهم على اليهود العائدين"[٢].

ويشير العلامة (ولز) إلى أن فترة السبى البابلى كان لها أكبر الأثر فى ترسيخ هذه الفكرة فى أذهان اليهود فيقول:

"والحقيقة المجردة المستخلصة من رواية الكتاب المقدس هى أن اليهود ذهبوا إلى بابل همجًا وعادوا منها ممدينين، خرجوا جمهورًا مختلطًا منقسمًا على نفسه لا يربطه وعى ذاتى بوطنه وعادوا بروح قومية شديدة وجنوح إلى الاعتزال جعلهم ينأون بجانبهم عمن عداهم"[٣].

ويبين د/ القس فهيم عزيز أن اليهود تأثروا بالأدب اليونانى فى إطلاق لفظ الآب على الله فيقول (أما فى اليهودية فإننا نجد فى كتب الأبوكريفا[٤]

---

(١) المراد بالقبائل العشر: الأسباط العشرة إذ المعروف أن بنى إسرائيل اثنا عشر سبطا ولم يكن سبط لاوى محسوبا منهم لأنه قد تعين للخدمة. وبقى الأسباط الاثنا عشر مرتبطين فى مملكة واحدة حتى مات الملك سليمان فحدثت بينهم مشاحنات وحدثت خصومة بين يهوذا وأفرايم (٢ صموئيل ٢: ٤ ـ ٩، ١٩: ٤١ ـ ٤٣) انتهت إلى انقسام المملكة إلى قسمين فانحاز يهوذا وبنيامين إلى رحبعام ابن الملك سليمان ودعوا مملكتهما باسم مملكة يهوذا أو المملكة الجنوبية. وانحاز الأسباط العشرة الباقون إلى يربعام ابن نباط ودعوا أنفسهم مملكة "إسرائيل" أو المملكة الشمالية "وأسماء أسباط بنى إسرائيل حسب الترتيب الأبجدى: أشير، أفرايم، بنيامين، جاد، دان، رأوبين، زبولون، شمعون، لاوى، منسى، نفتالى، يساكر، يهوذا، راجع قاموس الكتاب المقدس ص٤٥٦، تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص٤٢.

(٢) ولز: معالم تاريخ الإنسانية المجلد الثانى ص٣٠٠.

(٣) المرجع السابق ص٢٩٨.

(٤) أبو كريفا: كلمة يونانية معناها "مخفى" أو "مخبأ" أو "سرى" وقد وردت فى سفر دانيال فى الترجمة السبعينية فى ١١: ٤٣ للتعبير عن الكنوز المخفية؛ كما وردت فى دانيال ٢: ١٩ للدلالة على معرفة الأسرار المخفية عن علم البشر.

وقد كان هناك نوعان من المعرفة الدينية عند اليونان فى ذلك الحين. النوع الأول كان يشمل عقائد وطقوسا عامة لجميع طبقات البشر معرفتها وممارستها. أما النوع الثانى: فقد كان يشمل حقائق عميقة غامضة لا يمكن أن يفهمها أو يدرك كنهها إلا قلة من الخاصة ولذلك بقيت "مخفية" أو "أبو كريفية" عن العامة. وقد أطلقت فى العصور المسيحية الأولى على بعض الكتب غير القانونية فى العهد القديم وكذلك فى العهد الجديد. قاموس الكتاب المقدس ص ١٨.

وغيرها بضعة شواهد حيث ينادى الله بلقب الآب ولكنها متأثرة بالأدب اليونانى)[١].

ولعل اختلاط اليهود بالشعوب المختلفة فى فترة السبى كان لها أكبر الأثر فى تأثر اليهود بعقائد وأفكار هذه الشعوب. ولعل اليهود أيضًا تأثروا ببعض أطراف فكرة ـ شعب الله المختار ـ وذلك مثل إطلاق لفظ الآب وغير ذلك.

السبب الثانى: ما أصاب اليهود من نكسات ومن هزائم وقتل وتشريد على يد البابليين والرومانيين مما جعلهم يفكرون ـ بعد اعتقادهم أنهم شعب متميز ـ فى هذا المخلص المنتظر وجعلوه خاصًا بهم، فبعد أن مات سليمان فى سنة ٩٣٥ ق.م انقسمت المملكة إلى قسمين[٢]:

مملكة الجنوب وتدعى يهوذا وعاصمتها أورشليم ولقد ملك عليها من سنة ٩٣٥ ق.م إلى سنة ٥٨٦ق.م عشرون ملكا وكلهم من عشيرة داود إذا استثنينا أخزيا بن يهورام إذ أن أمه عثليا كانت بنت عمرى ملك إسرائيل[٣] وقد شمل هذا القسم كل بيت يهوذا وسبط بنيامين.

والقسم الثانى: هو مملكة إسرائيل فى الشمال وعاصمتها السامرة، وكان هذا القسم يشمل عشرة أسباط، وأول ملك على إسرائيل بعد الانقسام فى مملكة الشمال هو يربعام الذى عمل عجلى ذهب وقال لإسرائيل "هوذا آلهتك يا إسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر. ووضع واحدًا فى بيت إيل وجعل الآخر فى دان"[٤].

وبذلك أراد يربعام أن يمنع شعب إسرائيل عن الذهاب إلى أورشليم وتقديم الذبائح هناك، حتى لا يرجع قلب هذا الشعب إلى رحبعام، وأن يقطع كل صلة

---

(١) د/ القس فهيم عزيز: المدخل إلى العهد الجديد ص١٩١.

(٢) نبدأ هنا بعهد الانقسام: إذ هو الذى يهمنا فى بحثنا. المعروف أن تاريخ بنى إسرائيل القديم فى فلسطين ينقسم إلى ثلاثة أقسام ـ أو عصور ـ متميزة هى: ١ـ عهد القضاة ٢ـ عهد الملوك ٣ ـ عهد الانقسام فزوال ملك بنى إسرائيل.

(٣) الملوك الثانى ٨: ٢٥ ـ ٢٨.

(٤) الملوك الأول ١٢: ٢٨، ٢٩.

يمكنها أن تربط شعب الجنوب (يهوذا) بشعب الشمال (إسرائيل)، وبذلك ازدادت شقة الخلاف واتسعت الفجوة بين الشعبين، وأصبحا كفريستين بين مخالب الأمم التى تحيط بهما[١].

لقد كان الصراع بين هذين الشعبين فى أحيان كثيرة عنيفًا حتى إنه تطور إلى حروب وقتال وتشريد، وهكذا نرى أن إسرائيل ويهوذا المملكة المنقسمة عاشت فى صراع وحروب وقتال ولم تعرفا السلام إلا فى فترات قصيرة وعابرة "وكانت حرب بين رحبعام ويربعام كل الأيام"[٢] ولقد استمرت هذه الحالة وسيطرت على المملكة المنقسمة من سنة ٩٣٥ إلى ٧٢١ق.م أى سنة السبى الأول لإسرائيل[٣].

يتحدث سفر الملوك الأول والثانى وسفر الأيام بإفاضة عن المعارك التى تكاد تكون متصلة بين دولتى اليهود من جانب ومجاوريهم من جانب آخر، وكذلك عن الوقائع الغادرة بين دولة يهوذا ودولة إسرائيل وطالما استعانت إحدى هاتين الدولتين على الأخرى بدولة مجاورة، وكان وقوع دولتى اليهود بين مصر من جهة وآشور وبابل من جهة أخرى مثارًا لحروب طويلة[٤].

وبعد أن ذاق هذا الشعب مرارة الانقسام والانشقاق الذى دام أكثر من مائتى عام (٩٣٥ ـ ٧٢١ ق. م) نراه يدخل فى محنة جديدة أو بالمعنى الأصح يزج به فى معصرة تعصر لحمه وعظمه بلا شفقة ولا رحمة، ولقد بدأت هذه الكارثة بشعب إسرائيل أولاً عندما جاء "تغلث فلاسر" ملك آشور وهجم على إسرائيل "وأخذ عيون وآبل بيت معكة ويانوح وقادش وحاصور وجلعاد والجليل وكل أرض نفتالى وسباهم إلى آشور"[٥]. هذا هو السبى الأول الذى سبى فيه حوالى ٢٧.٢٩٠ يهوديا فيما بين سنتى ٧٣٤ ـ ٤٣٢ ق. م ولم يكن هذا السبى إلا فاتحة لسلسلة طويلة من السباء فى المملكتين. (ثم فى سنة ٧٢٤ ق. م) جاءت الجيوش الآشورية وحاصرت مدينة السامرة

---

(١) د/ القس حنا جرجس الخضرى: تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص٤٢.

(٢) الملوك الأول ١٤: ٣٠، ١٥: ٦ أخبار الأيام الثانى ١٢: ١٥.

(٣) المصدر السابق ص٤٣.

(٤) د/ أحمد شلبى: اليهودية ص٨٨.

(٥) الملوك الثانى ١٥: ٢٩.

التى بذلت كل ما فى وسعها للمقاومة والصمود ضد العدو، إلا أن الحصار استمر حوالى ثلاث سنوات فلم تستطع المدينة مقاومة الأعداء الذين كانوا يحصرونها من الخارج وإمداد السكان بالطعام والشراب من الداخل فاضطرت السامرة فى نهاية الأمر إلى أن تسلم للعدو الآشورى، وهكذا سقطت السامرة فى يد سرجون الثانى سنة ٧٢١ ق. م بعد حصار طويل، ولم يكتف الآشوريون بدخول المدينة وتخريبها بل سبوا الإسرائيليين وطردوهم من بلادهم[١].

وفى سنة ٦٠٨ ق. م زحف "نخاو" فرعون مصر على مملكة يهوذا فاحتلها[٢] وأصبح ملك يهوذا تابعًا يدفع الجزية لمصر[٣] واستمر فى زحفه فاحتل مملكة إسرائيل التى كانت قد سقطت تحت سلطة الآشوريين وقد ثار لذلك ملك بابل (نبوخذ نصر) الذى آل له السلطان على آشور وزحف على فلسطين فهزم فرعون مصر واستعاد مملكة إسرائيل ثم احتل مملكة يهوذا وقتل صدقيا بن يواقيم آخر ملوك يهوذا ونهب أورشليم ودمرها ودمر معبد سليمان وسبى أكثر السكان إلى بابل وفر بعضهم إلى مصر وغيرها من الأقطار وأقام بختنصر على فلسطين واليًا من قبله[٤] "ولم يشفق على فتى أو عذراء ولا على شيخ أو أشيب بل دفع الجميع ليده، وجميع آنية بيت الله الكبيرة والصغيرة وخزائن بيت الرب وخزائن الملك ورؤسائه أتى بها جميعًا إلى بابل، وأحرقوا بيت الله وهدموا سور أورشليم وأحرقوا جميع قصورها بالنار وأهلكوا جميع آنيتها الثمينة، وسبى الذين بقوا من السيف إلى بابل فكانوا له ولبنيه عبيدا إلى أن ملكت مملكة فارس"[٥].

وحدث أن تعرضت المملكتين بعد السبى الأول إلى سبى ثان فى سنة ٥٩٧ ق. م وسبى ثالث ٥٨١ ق. م وتعرضت البلاد فيها إلى أنواع التدمير وتعرض أهلها للقتل وسفك الدماء وللتشريد خارج بلادهم.

---

(١) تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص٤٣ ، ٤٤.
(٢) اليهودية ص٨٩.
(٣) إرميا ٤٦ : ٢.
(٤) د/ أحمد شلبى : اليهودية ص٨٩ ، ٩٠.
(٥) أخبار الأيام الثانى ٣٦ : ١٧ ـ ١٩.

وقد استمرت الإمبراطورية البابلية الثانية تحت حكم نبوخذنصر الملقب بالثانى (بختنصر) وخلفائه حتى سنة ٥٣٨ ق. م حين انهارت أمام هجمات كورش مؤسس الدولة الفارسية[١]، ومن ثم أصبح له السلطان على أرض يهوذا وسمح كورش لليهود بالعودة إلى بلادهم ولكن أكثر اليهود كانوا قد ألفوا الحياة البابلية وامتدت بها أعراقهم وعرفوا بها خصب العيش والتجارة الرابحة ومن ثم فقد ترددوا طويلاً فى العودة للقفار والصراع حول المدينة المقدسة وبعد هذا التردد استقر رأى الأغلبية الساحقة على البقاء، ولم تقبل العودة إلى فلسطين إلا قلة بدأت رحلتها بعد سنتين من مجئ كورش[٢].

ولم ينعم اليهود كثيرًا بحكم بلادهم فقد دخل الإسكندر الأكبر فلسطين واحتل القدس سنة ٣٣٢ ق. م، وبعد وفاته سنة ٣٢٣ ق. م صارت فلسطين فى أيدى السلوقيين وظلت مسرحًا للاضطرابات يتداولها السلوقيون والبطالسة حتى وقعت البلاد تحت حكم الإمبراطورية الرومانية. وفى فترة السبى تلك وبسببه أيضًا تولدت، أو ثبتت ـ لدى اليهود فكرة المخلص الذى يخلصهم مما هم فيه.

يقول د/ حنا جرجس الخضرى: "وهناك فى السبى بدأ الشعب يحلم بمخلص وبملك يخلصهم من سبيهم ويحررهم من عبوديتهم ويخرجهم لا من مصر وحدها كما كان يحلم الشعب قديما بل من بابل والمدن الأخرى التى تشتتوا فيها[٣] فإرميا يقول: "ها أيام تأتى يقول الرب وأقيم لداود غصن بر فيملك ملك وينجح ويجرى حقا وعدلاً فى الأرض. فى أيامه يخلص يهوذا ويسكن إسرائيل آمنا"[٤].

يقول العقاد: "ثبتت فكرة (المسيح المنتظر) فى عقائد بنى إسرائيل بعد زوال ملكهم وانتقالهم إلى الأسر البابلى"[٥] "كما أن الحوادث الجسام التى تعرض لها اليهود أثناء السبى البابلى جعلتهم يتعلقون بهذه الفكرة"[٦] حيث كانوا يترقبون

---

(١) معالم تاريخ الإنسانية المجلد الأول ص١٦٣.

(٢) اليهودية ص٩٢.

(٣) تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص٥٠.

(٤) إرميا ٢٣: ٥، ٦.

(٥) العقاد: الله ص١١١.

(٦) التاريخ الوسيط ص٥٦.

مخلصا معينا: مسيحا يخلص البشرية بطريقة محببة إليهم تنطوى على استرجاع ما كان لداود وسليمان من مجد أسطورى ووضع العالم آخر الأمر تحت أقدام اليهودية[١]، مخلصا يجمع شتاتهم ويرد عليهم ما سلبت يد الدهر منهم بعد أن وقع بهم ما وقع على أيدى جيرانهم الأقوياء من أسر وتقتيل وتشريد[٢].

إن المخلص المنتظر بحسب المفهوم اليهودى يجب أن يكون إنسانًا ومولودًا بطريقة بشرية، ولم يفكر أى يهودى فى أية لحظة من لحظات تاريخه فى السبى أو بعده بأن المخلص هو كائن سماوى أو آت من عالم آخر، بل كان الأمر المهم بالنسبة لكل يهودى أن المسيا المنتظر لابد وأن يكون من نسل داود؛ لكى يحرر الشعب من الاستعباد والاحتلال الأجنبى ويجلس على كرسى داود أبيه[٣].

ولما كانت فكرتهم عن المخلص تتركز أساسًا على الخلاص من الوهدة السياسية ومما هم فيه من ضعف وذلة ومهانة تحت أيدى البابليين فإنه لما أتى كورش المجوسى مؤسس الإمبراطورية الساسانية فى بلاد فارس وحارب البابليين وهزمهم وفك أسرى اليهود فى بابل وسمح لهم بالعودة إلى أورشليم وإعادة بناء الهيكل فرح اليهود بذلك فرحًا شديدًا واعتقدوا أن كورش الوثنى هو المسيح المخلص الذى أرسله يهوه لإنقاذهم من أيدى البابليين فأطلقوا عليه لقب المسيح فهو مسيح الله - فى نظرهم - الذى أمسك الرب بيمينه ليدوس به الأمم ويحطم الملوك.

يقول إشعياء "هكذا يقول الرب لمسيحه لكورش الذى أمسكت بيمينه لأدوس أمامه أمما وأحقاء ملوك أحل لأفتح أمامه المصراعين والأبواب لا تغلق"[٤].

ولم يهنأ اليهود بفترة الهدوء والراحة والحرية طويلاً إذ نهضت الإمبراطورية الرومانية وقامت بشتى الحروب على الشعوب المجاورة بقصد التوسع، فضمت بلاد اليهودية ضمن ما ضمت من مستعمرات، وأذاقوا اليهود من العسف الكثير، كما

---

(١) ولز: معالم تاريخ الإنسانية المجلد الثانى ص٦٨٦.

(٢) عبد الكريم الخطيب: المسيح فى القرآن والتوراة والإنجيل ص٥٢٥.

(٣) تاريخ الفكر المسيحى ص٣٢.

(٤) إشعياء ٤٥: ١.

قتلوا الرجال، واستحيوا النساء، وحرموا عليهم أى نقاش فى السياسة وشئون الحكم، يحسبون على الناس كلماتهم وألفاظهم وحركاتهم وسكناتهم، بل ويعدون عليهم الأنفاس والخلجات، فعادت باليهود أفكارهم وسرحت بهم أحلامهم إلى ظهور الشخص المخلص، أى مسيحا من سلالة ملوكهم يخلصهم من ظلم الرومان واستعبادهم، ويعيد إليهم مجدهم وحريتهم، ويعود بهم شعبًا ممتازًا، وعنصرًا مميزًا بين شعوب الأرض، حتى يعيدوا مملكة داود وعرش سليمان التى قاعدتها فى أورشليم. تجددت باليهود الأحلام والأوهام وكثرت الأقاويل والتكهنات، وتعددت الأساطير والأقاصيص فى هذا المسيح المخلص[١].

يقول د/ رأفت عبد الحميد "تشتت اليهود فى كل ولايات الإمبراطورية الرومانية، وضربت عليهم الذلة والمسكنة أينما ثقفوا، ونظر اليهود إلى ماضيهم فأنفوا أنفسهم وقد تعرضوا لتاريخ طويل من الإذلال والشتات، بدأ بالآشوريين فالبابليين فالفرس فالإغريق ثم فى النهاية الرومان، ومن ثم **تولد لدى اليهود كبير أمل** وتوقع محدد صريح أن إلههم لابد وأن يخلصهم يومًا من التبعية السياسية للسيد الأجنبى. والوسيلة الوحيدة لذلك ـ حسبما جاء فى نبوءات أنبياء بنى إسرائيل ـ أن يرسل يهوه مسيحا مخلصا لهذا الغرض؛ يخرجهم من الظلمات إلى النور ـ المادى والحسى ـ ويعيد لهم على الأرض مملكة داود وسليمان، ويحقق لهم عهدًا جديدًا من السلام والرخاء، من القوة والعظمة، وينهى بقوته وإلى الأبد حالات الحزن والقنوط والتبعية والإذلال، وأن يهوه لابد وأن يعيد إلى شعبه ميراثه الصحيح ووضعه المرموق[٢].

ونستطيع أن نقول إنه تجدد الأمل لدى اليهود فى أن يرسل الله مخلصا يخلصهم بعد أن تولدت لديهم هذه الفكرة أثناء وبعد السبى البابلى، وليس صحيحا ما قاله الدكتور رأفت عبد الحميد بأن فكرة المخلص تولدت أثناء تشتتهم فى ولايات

---

(١) المسيح إنسان أم إله ص١٥، ١٦، محمد عزت الطهطاوى: الإسلام والنصرانية ص٢٢٣، إبراهيم خليل أحمد: محمد فى التوراة والإنجيل والقرآن ص٥٥،

(٢) د/ رأفت عبد الحميد: الدولة والكنيسة جـ٢ ص٢٣، ٢٢ ط دار المعارف.

الإمبراطورية الرومانية، والأصح كما قلنا إنه تجدد لدى اليهود الأمل فى المخلص ليخلصهم من الخضوع للأجنبى، ومخلصا لهم من التبعية لغيرهم، لذلك عندما جاء المسيح عيسى بن مريم عليه السلام لم يعتبروه مخلصا "إذ أن المخلص كان فى نظر اليهود منقذًا قوميًا"[١] غير أن اليهود أصيبوا بخيبة أمل بالغة عندما جاءهم المسيح يزين لهم ملكوت المسيح، ويعدهم وعدًا حسنًا فى الدار الآخرة، ومن ثم كفروا بالمسيح وراحوا يألبون عليه[٢]. لم يؤمن اليهود به وتعللوا بأن الشروط التى وردت عند الأنبياء السابقين حول المخلص المنتظر لم تتحقق فيه[٣].

رفض اليهود الدعوة الجديدة حيث تعارضت تمامًا مع آمالهم وأحلامهم:

١ـ فلم تحقق لهم الملك المادى الذى كانوا يحلمون به حيث انتظروا بناء دولة إسرائيل على يد النبى الجديد فلم يحقق لهم هذا المطلب.

٢ـ ولم يخلصهم من الأسر الرومانى والذل والاستعباد وغير ذلك... ومن أجل هذا كله دخل اليهود فى صراع مع عيسى[٤].

وهذه الفكرة ـ فكرة المخلص كما فهمها اليهود ـ ليست خالصة لهم وحدهم بل هناك من سبقوهم وخاصة الفارسيين الذين اختلط بهم اليهود.

إن فكرة المخلص برزت فى الفكر اليهودى فى وقت متأخر، ومراجعة الكتاب المقدس تقرر لنا أن هذه الفكرة لم تظهر إلا بعد سقوط دولتهم وأسرهم فى بابل ثم خضوعهم إلى الفرس[٥] وهذا التوقيت دفع كثيرين من الباحثين إلى الاعتقاد بأن فكرة المنقذ المخلص مستعارة من الزرادشتية التى يدين بها الفرس، ويشرح "جوجنبيرت" العلاقة بين الفكر الفارس والفكر اليهودى فى مسألة المخلص فيقول: إن الاتجاه الفارسى كان يبرز انتصار الخير على الشر فى الصراع الطويل بينهما وذلك الذى سماه الفرس خيرًا هو نفسه ما أسماه اليهود (المسيح)[٦].

---

(١) نورمان كانتو: التاريخ الوسيط ص٥٦.
(٢) الدولة والكنيسة جـ٢ ص٢٣.
(٣) التاريخ الوسيط ص٥٦.
(٤) د/ سعد الدين صالح: مشكلات العقيدة النصرانية ص٥٢.
(٥) راجع سفر دانيال.
(٦) د/ أحمد شلبى: اليهودية ص٢١٩ بتصرف شديد.

والعالم الإنجليزى (ولز) يقرر أن تأثر اليهود بفترة السبى واضح فيقول: ولكن الأسر البابلى وحدهم فعادوا إلى بلادهم شديدى اليقظة إلى أدبهم، عادوا شعبًا متأجج الوعى الذاتى مشربًا بالنزعات السامية[١] ويقرر ـ كما سبق أن أوردنا ـ أن اليهود ذهبوا إلى بابل همجًا وعادوا منها ممدينين، والعقل اليهودى ما لبث فى أثناء مدة الأسر أن خطا إلى الأمام خطوة عظيمة.

وإذا تقرر تأثر اليهود بفترة السبى فإننا نضيف: لعل من الأفكار التى تأثر بها اليهود فكرة المخلص خاصة وأنها تولدت فى تلك الفترة.

يقول د/ عزت زكى "وإبان السبى الفارسى يبدو أن اليهودية قد تمثلت شيئًا من ديانة فارس"[٢].

تعليق عام على الخلاص اليهودى

إن الدلائل فى التوراة التى أنزلت على موسى ـ وحتى بعد تحريفها ـ والتى تدل على بعث نبى منتظر كانت شائعة بين اليهود، وكانت هذه الدلائل والبشائر مما يقلق بال اليهود؛ لأن من أهم صفات النبى المنتظر أنه من أبناء إسماعيل جد العرب وليس من أبناء إسحاق جد اليهود، فما أن وقعت باليهود الجرائم من أسر وتقتيل وتشريد، وحدث لهم ما حدث على يد الآشوريين فالبابليين فالفرس حتى وجدوا الفرصة قد هيأت لهم بعد أن اطلعوا على الأفكار العامة لدى الأديان الشرقية التى كانت تؤمن بالمنقذ المخلص، وما أن عاد اليهود بعد فترة السبى إلى بلادهم إلا وقد تهيأت أذهانهم لقبول أفكار تعلموها على يد من اختلطوا بهم، وجدوا الفرصة سانحة لهم لأن لقبول موازين الأمور، ويقلبوا فكرة النبى المنتظر إلى مسيح مخلص منقذ على هيئة المنقذين لدى الأديان الشرقية، والتمسوا لها الأسباب حتى تم لهم ذلك، خاصة وأن كثيرًا من المؤرخين قرروا أن اليهود ضاعت منهم التوراة الأصلية وكتبوا التوراة الجديدة بعد فترة السبى البابلى وأضافوا إليها ما يتفق وأفكارهم الجديدة.

---

(١) ولز: موجز تاريخ العالم ص٩٠.

(٢) د/ عزت زكى: الأخلاقيات فى محيط الفكر والديانات ص١٢٠.

ولما كان لقب المسيح (مسيح الله لقبًا معظمًا فى بنى إسرائيل يتفاخر بحمله الملوك والعلماء والأنبياء لقبوا النبى المنتظر الذى تحدث عنه موسى ـ عليه السلام ـ بقوله: "يقيم لك الرب إلهك نبيا.." [١] لقبوه بلقب المسيح وقالوا: نحن فى انتظار المسيح، وفى مدينة بابل أراد اليهود قصر شريعة التوراة وأرادوا أن يصدوا الناس عن محمد صلى الله عليه وسلم إذا جاء، كرها فى العرب الذين خذلوهم فى حربهم "لبنوخذنصر" ملك بابل، فأوهموا الناس أن المسيح الذى ينتظرونه ليس من العرب أبناء إسماعيل، بل سيظهر من اليهود، ونشروا الإشاعة هذه فى كل مكان حلوا فيه، وهذا أول مكان ظهرت فيه فكرة المسيح المنتظر فى العالم على أنه سيظهر من اليهود[٢].

أساس عقيدة الخلاص المسيحى

إن الخلاص المسيحى يختلف فى أسسه وأسبابه عن الخلاص اليهودى، فبينما كان الخلاص اليهودى يقوم أساسًا على التخلص من الوهدة السياسية والقسوة التى كان يعامل بها اليهود نجد الخلاص المسيحى يعتمد على أسس أخرى أهمها ما يلى:ـ

الأساس الأول: وحدة الجنس البشرى:

الأساس العام الذى تقوم عليه عقيدة الخلاص المسيحية يتلخص فى أن البشر من أصل واحد وهذا الأصل هو "آدم وحواء" وهما قد أخطآ نتيجة أكلهم من الشجرة المحرمة، والبشر مخطئون لأنهم متوالدون منهما.

جاء فى "علم اللاهوت النظامى":

إن للبشر أصلاً واحدًا أى أن جميعهم متناسلون من رجل وامرأة اسم الرجل (آدم) ومعناه إنسان (تكوين ٥: ٢) واسم المرأة حواء وسميت بذلك لأنها أم كل حى (أى كل حى من البشر) تكوين ٣: ٢٠. وإنه لما كان الجنس البشرى كله متناسلاً منهما سقط بسقوطهما بدليل قول بولس "بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم

---

(١) تثنية ١٨: ١٥ ـ ٢٢.

(٢) د/ أحمد السقا فى مقدمته لكتاب "الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام" للقرطبى ص٢٩.

والموت نتيجة تلك الخطية اجتاز إلى كل البشر"[١] وقيل "إن الله خلق من دم واحد كل أمة من الناس"[٢].

فيتضح من ذلك أن تعليم المسيحية فى الخطية وكيفية دخولها فى العالم وتأثيرها فى كل البشر مبنى على أنهم من أصل واحد ونوع واحد وكذلك تعليمها فى المسيح أنه تجسد ومات لأجل جنس واحد هو الإنسان.

وقد اعتقدت الكنيسة المسيحية ذلك منذ نشأتها وحسبته من تعاليم الكتاب المقدس. يقول د/ فهيم عزيز: إن الخطية دخلت إلى العالم بإنسان واحد والذى هو آدم[٣]. ويقول، (فالخطية قد ملكت على العالم نتيجة لخطيئة آدم لأن البشرية كانت واحدة فيه، هذه الوحدة بين البشرية فى آدم عنصر هام جدًا فى مفهوم بولس فهو يؤكد أن الجميع سواء أكان لديهم ناموس أو بدون ناموس مكتوب عليهم[٤] "قد ملك عليهم الموت نتيجة للخطية لأنهم أخطأوا بخطيه آدم"[٥].

وعلى ذلك فالخلاص المسيحى لازم للإنسان لأنه سقط بسقوط آدم وحواء.

ولنا أن نقول: إن البشر وإن كان لهم أصل واحد ـ وهو آدم وحواء ـ فإن صفاتهم ونواياهم وأهدافهم تختلف من إنسان لآخر.

فمن ناحية الصفات الجسدية والمادية نرى اختلافا كبيرا من إنسان لآخر، ففى الوقت الذى نرى فيه إنسانا أبيض اللون، نرى آخر أسود اللون، وآخر أحمر اللون وهكذا. وفى الوقت الذى نرى فيه إنسانا طويلا، نرى آخر قصيرا، نرى إنسانا سمينا، والآخر نحيفا، وهذا ظاهر وواضح.

وكذلك أيضا نرى اختلافا كبيرا فى نوايات وأهداف بنى الإنسان، حيث تختلف أعمالهم من إنسان لآخر، ففى الوقت الذى نرى فيه رجلا يعمل الخير، نرى آخر يعمل الشر ويصر عليه إصرارا.

---

(١) رومية ٥ : ١٢.

(٢) أعمال الرسل ١٧ : ٢٦.

(٣) د/ القس فهيم عزيز: المدخل إلى العهد الجديد ص٣٨٦.

(٤) رومية ٥ : ١٢.

(٥) المصدر السابق ص٣٨٧.

وإذا اختلف بنو الإنسان فى الصفات الجسدية ـ التى توالدت من آدم وحواء ـ فبالأولى والأحرى أن يختلفوا فى مدى صلتهم بالأعمال الحسنة والأعمال السيئة، وليس ذلك لأن أصلهم آدم وحواء، بل لأن طبيعتهم المركبة من الخير والشر تقتضى ذلك/ فالأصل واحد، والنوع واحد، لكن الصفات الجسدية والنفسية تختلف من إنسان لآخر، وهذا أدعى إلى الاختلاف فى الأعمال والأفعال التى تصدر عن الإنسان، وسنناقش بالتفصيل فى الفصول التالية فكرة توارث الخطيئة.

المهم هنا أن نقول: إن التوالد الطبيعى لا يمكن أن يكون مقياسا لصلاح إنسان أو فساده.

ففى الوقت الذى نرى فيه رجلا صالحا وبارا، نرى ابنه غير صالح، وغير بار، نراه فاسدا كل الفساد، ولا يمت إلى الصلاح بأى صلة.

وفى الوقت الذى نرى فيه رجلا فاسدا كل الفساد، نرى ابنًا له يتصف بكل صفات الصلاح والهدى والتقى.

وفى تاريخ الأنبياء السابقين ما يشير إلى هذه الحقيقة الواضحة.

الأساس الثانى: التوافق بين صفتى العدل والرحمة:

يعتقد المسيحيون أن من صفات الله العدل والرحمة، وبمقتضى صفة العدل كان على الله أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة التى ارتكبها أبوهم وطرد بها من الجنة، واستحق هو وأبناؤه البعد عن الله بسببها، وبمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئات البشر، ولم يكن هناك طريق للجمع بين العدل والرحمة ـ فى نظرهم ـ إلا بتوسط ابن الله وحيده وقبوله أن يظهر فى صورة إنسان وأن يعيش كما يعيش الإنسان ثم يصلب ظلمًا ليكفر عن خطيئة البشر.

يقول القس/ إبراهيم لوقا: إن المسيحية تعلم أن الله ـ لكى يجمع بين عدله ورحمته فى تصرفه مع الإنسان عقب سقوطه ـ دبر طريقة فدائه بتجسد ابنه الحبيب وموته على الصليب نيابة عنا، وبهذا أخذ العدل حقه، واكتملت الرحمة، فنال البشر العفو والغفران[1].

---

(١) القس/ إبراهيم لوقا: المسيحية فى الإسلام ص١٧١.

ويقول القس/ إلياس مقار: لماذا يهتم الله بهذا الخلاص وتدبيره وترتيبه للإنسان مهما تكن مشقة هذا التدبير والثمن الذى يبذل أو يدفع فيه؟ ولماذا لا يترك الله الإنسان الساقط ليتحمل جزاء خطيئته؟. من الواضح أن الله باعتبار الحاكم الأدبى كان من الممكن أن يترك الجنس البشرى لينال جزاءه العادل على ما يرتكب من خطايا وآثام دون أن تكون هناك أدنى شبهة من حيف أو ظلم. ولكن المعلوم أن الله ليس هو الحاكم الأدبى فقط، بل هو الآب المحب أيضًا، فإذا كانت عدالته تحتم وتؤكد عقاب الخطية، فإن رحمته وجوده وحنانه ولطفه ومحبته تحتم وتؤكد تدبير الخلاص أيضًا، فإذا كان من المسلم به أن عدالة الله كاملة وأن محبته كاملة كذلك وأنه لا يمكن أن يكون هناك تناقض بين العدالة والمحبة كان لنا أن نتوقع حتمًا أن العدالة تعمل حيث يكون الجزاء، وإن المحبة تعمل حيث يكون الفداء والخلاص أيضًا، وإذا كان من الواضح أنه بسبب أكلة واحدة تعدى فيها آدم أمر الله ألحقت العدالة الإلهية بالجنس البشرى كله ما نرى من جزاء وعقوبة كان لابد لنا أن نتصور أن محبة الله من الجانب الآخر تبذل كل شيء لفداء الإنسان[1].

وتعليق بسيط على هذه الفكرة حتى لانتركها هكذا لأننا سنناقش فيما بعد بالتفصيل أطراف عقيدة الخلاص.

إن ما أورده المسيحيون من أجل تحقيق العدل والرحمة لا يتحقق فيه العدل والرحمة؛ حيث إن المسيح الذى لم يرتكب خطأ عوقب، وهل فى عقاب غير المخطئ عدالة أو رحمة؟

إن المسرحية التى ألفوها لتحقيق العدل والرحمة لم تفلح لا فى تحقيق العدل ولا الرحمة، فلم يتحقق واحد منهما، بل انتفى كلاهما، وبدلاً من أن يوصف الإله بالعدل والرحمة معا وصم بالظلم والقسوة جميعًا ـ تعالى الله على ذلك علوا كبيرًا ـ أما العدل فلم يتحقق؛ لأن ألف باء العدالة تقتضى أن يتحمل الجانى مسئولية جنايته فلا ينزل العقاب بغيره، بل ينزل به هو فإذا ما خرج الأمر عن ذلك كان ظلمًا وليس عدلاً. فإذا ما تصورنا ـ أن زيدًا من الناس قد ارتكب جناية ثم نزل عقابها على

---

(١) القس إلياس مقار: "إيمانى" أو "قضايا المسيحية الكبرى" ص٣٨٨.

عمرو فإن أقل العقول ذكاء تجزم بأن ذلك ليس من العدل فى شىء على الإطلاق، وكذلك لم تتحقق الرحمة؛ لأن الرحمة تقتضى العفو عن الجانى بمعنى أن يكون هناك جان يستحق العقاب فنعفو عنه كلية أو نخفف عن عقابه المستحق شيئًا. ولكن القضية التى معنا ترك فيها الجانى الحقيقى، ثم أخذ مكانه البرئ وتحمل العقاب من لا يستحق، فأين هى الرحمة؟ إن تحمل البرئ عقاب ذنب لم يرتكبه لا يسمى رحمة[١].

نشأة الخلاص المسيحى

قد تبين مما سبق أن اليهود كانوا يؤمنون بمخلص منقذ ينقذهم مما هم فيه من الضعف والانحلال الذى صاحبهم خلال أسرهم وخضوعهم للإمبراطوريات الثلاث الآشورية فالبابلية فالرومانية، ولم يؤمن اليهود بالمسيح لأنه لم تتوافر فيه ما يرغبون منه، والفرق بين اليهود الذين لم يؤمنوا بالمسيح واليهود الذين آمنوا به أن هؤلاء لم يؤمنوا بالمسيح لأنه ليس هو المنقذ، أما الذين آمنوا به فإنهم آمنوا به كمخلص منقذ ولكن بنوع آخر يختلف عن الخلاص الذى كان يؤمن به اليهود لذلك فإن للخلاص المسيحى نشأة أخرى.

والخطوة الأولى فى نشأة الخلاص المسيحى هو النظر فى أقوال المخلص نفسه عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ هل نسب إلى نفسه الخلاص أم لا؟ إننا إذا نسبنا إلى شخص عقيدة معينة لابد وأن يقرر الشخص هذه العقيدة وإلا فيكون هذا القول افتراء عليه. فالطريق الطبيعى أولاً هو النظر فى أقوال المسيح عيسى عليه السلام.

يقرر أكثر الباحثين أنه لم توجد كلمة للمسيح يفسر فيها الخلاص.

يقول ولز: (يعسر عليك أن تجد كلمة تنسب فعلاً إلى يسوع فسّر فيها مبادئ الكفارة والفداء أو حض فيها أتباعه على تقديم القرابين أو تناول سر مقدس.

كذلك لا يبرز هو دعواه أنه "المسيح" ولا يضفى على اشتراكه مع الله فى الربوبية أى ثوب بارز، ربما أحسسنا أنه لم يكن ليفوته أن يضيفه لو أنه كان يراه أمرا فى

---

(١) د/ محمود مزروعة: دراسات فى النصرانية ص١١٢.

الدرجة الأولى من الأهمية، ومن أشد ما يحير اللب قوله "حينئذ أوصى تلاميذه أن لا يقولوا لأحد إنه يسوع المسيح"[١] فمن العسير أن يفهم الإنسان السر فى هذا المنع إذا فرضنا أنه كان يعد هذه الحقيقة من ضروريات الخلاص[٢].

وفى تعليق لصاحب كتاب (الفارق بين المخلوق والخالق) على ما جاء فى إنجيل متى (حينئذ أوصى تلاميذه أن لا يقولوا لأحد إنه يسوع المسيح) يقول: وهنا "دقيقة" تاهت فيها أفكار الأولين وتحيرت عندها آراء الآخرين وهى معرفة السبب الذى ألجأ المسيح لكتمان حاله على الناس عمومًا مع أن خلاص الناس متوقف على الإيمان بمعرفة أنه رسول الله ليتبعوا قوله وفعله، وأى شيء أراد بهذا وإنجيل يوحنا يصرح أن الله تعالى أرسل يوحنا المعمدان ليصرخ فى البرية بظهوره[٣]، فهل نسى الإله ذلك أم بدا له غير ما هنالك، وقد نسى المترجم[٤] أنه ذكر عن عيسى عليه السلام قوله (لاتخافوهم لأن ليس مكتوم لن يُستعلن ولا خفى لن يعرف. الذى أقوله لكم فى الظلمة قولوه فى النور والذى تسمعونه فى الأذن نادوا به على السطوح[٥]،[٦].

ويقول (لو صحت فى عيسى عليه السلام دعواكم الباطلة من كونه إلها تجسد فى بطن العذراء من أجل خطيئة آدم لكان ذلك أول أوامره ومفتاح تعليمه لأنها أساس العقيدة الدينية بزعمكم وهذه الأناجيل على أنها محرفة ـ لم يكن فيها شيء من دعواكم الباطلة[٧].

ويقول ولز: "لو اطلعنا على الأناجيل الأربعة لوجدنا فيها شخصية عيسى وتعاليمه ولم نعثر إلا على النزر اليسير من مذاهب الكنيسة المسيحية"[٨].

---

(١) متى ١٦ : ٢٠.

(٢) معالم تاريخ الإنسانية المجلد الثالث ص٦٩٢ ـ ٦٩٣.

(٣) يشير بذلك إلى ما جاء فى إنجيل يوحنا ١ : ٢٣.

(٤) يقصد مترجم إنجيل متى لأنه يعتقد أن المترجم هو الذى كتب إنجيل متى وليس متى الحوارى.

(٥) متى ١٠ : ٢٦ ـ ٢٧،

(٦) عبد الرحمن باجة جى زادة: الفارق بين المخلوق والخالق ص١٢١.

(٧) المرجع السابق ص٦٩ بتصرف شديد.

(٨) ولز: موجز تاريخ العالم ص١٧٨.

ويشير "أدولف هرنك" ـ أستاذ تاريخ الكنيسة بجامعة برلين ـ إلى حقيقة خلو بعض الرسائل المسيحية الهامة من أى ذكر للصلب ونظرية الفداء والكفارة فيقول:

"لا يوجد فى أى مكان من تعاليم الاثنى عشر أى ذكر للخلاص الذى يقدمه المسيح وحتى إعلان الإنجيل (المتعلق بموته وقيامه) لم يلاحظ شىء عنه.

إن كتابات "هرمس"[١] المطولة تبين أن ذلك لم يكن حادثًا وقع ولا يوجد فيها أى ذكر على الإطلاق لميلاد يسوع وموته وقيامته.. إلخ رغم أن المؤلف كانت عنده المناسبة التى يذكرها فيها ذلك إنه يصف عمل يسوع بأنه:

١ ـ حفظ الشعب الذى اختاره.

٢ ـ تنقية الشعب من الخطية.

٣ ـ تعريفهم طريق الحياة ونشر الناموس الإلهى[٢].

يقول د/ رؤوف شلبى "وإذا درسنا ما قام به هؤلاء الحواريون من أعمال فإننا لا نجد أنهم فكروا فى إنشاء كنيسة فقد ظلوا على إخلاصهم للدين اليهودى"[٣] ومعروف أن قوام الكنيسة هو التركيز على ألوهية المسيح وصلبه وقيامته الذى هو أساس عقيدة الخلاص.

إن عقيدة الخلاص هى أساس المسيحية ورسول المسيحية هو المسيح عيسى ـ عليه السلام ـ فإذا لم يبين عيسى ولا الحواريون أساس الديانة فلابد أنها جاءت من مصدر آخر له نفس منزلة عيسى بن مريم سواء أكانت هذه المنزلة أصيلة أم مفتعلة وإن كانت فيما نحن بصدده مفتعلة[٤].

إن الباحثين المسيحيين وغير المسيحيين يتفقون على أن لبولس منزلة كبرى فى المسيحية. تأسست المسيحية على يده بنوع خاص مخالف لتأسيس المسيح لها.

---

(١) إن كتاب هرمس هذا كما يقول أحد علمائهم (كان إيرينوس يقتبس منه باعتباره واحدًا من الكتب المقدسة واعتقد أوريجين أنه من أكثر الكتب فائدة وأنه كتب بوحى إلهى. ويقرر إيزبيوس أنه على الرغم من عدم قانونيته فقد كان يقرأ علانية فى الكنائس وهو الأمر الذى عززه جيروم وكذلك نجد اثناسيوس ينقل عنه ويعتبره أهم عمل ذا فائدة. نقلاً عن المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص٢٧٥.

(٢) أحمد عبد الوهاب: المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص٢٧٥.

(٣) د/ رؤوف شلبى: المسيحية الرابعة ص١١٦.

(٤) (مفتعلة) لأن تقرير عقيدة لابد وأن يكون لرسول بوحى من الله.

يقول بنيامين بنكرتن: "ولو جاز إنتساب الكنيسة لأحد من الرسل لانتسبت ـ لبولس لأنها تأسست على يده بنوع خاص"[١] ويقول ولز: "إن كثيرًا من الثقات العصريين يعتبرون بولس المؤسس الحقيقى للمسيحية"[٢] ويقول "مايكل هارت": المسيحية لم يؤسسها شخص واحد وإنما أقامها اثنان: المسيح عليه السلام، والقديس بولس ولذلك يجب أن يتقاسما شرف إنشائها هذان الرجلان.

فالمسيح قد أرسى المبادئ الأخلاقية للمسيحية وكذلك نظرتها الروحية وكل ما يتعلق بالسلوك الإنسانى، أما مبادئ اللاهوت فهى من صنع بولس، فالمسيح هو صاحب الرسالة الروحية ولكن بولس أضاف إليها عبادة المسيح كما أنه هو الذى ألف جانبًا كبيرًا من "العهد الجديد" وكان المبشر الأول للمسيحية فى القرن الأول للميلاد. إن عددا من الباحثين يرون أن مؤسس هذه الديانة هو بولس وليس السيد المسيح وليس واضحًا ما كان سيئول إليه أمر المسيحية لولا بولس[٣].

ويقول: "وبولس هذا هو المسئول عن تحويل الديانة المسيحية من مجرد طائفة يهودية إلى ديانة كبرى... وهو المسئول الأول عن تأليه المسيح... بل إن بعض فلاسفة المسيحية يرون أنه هو الذى أقام المسيحية وليس المسيح"[٤]. ويقول السير آرثر فندلاى: "إن بولس هو الذى وضع أساس الدين الذى يسمى بالدين المسيحى"[٥].

ويقول د/ أحمد شلبى فيما ينقله عن (بيرى) من كتاب (أديان العالم): كان عيسى يهوديا وقد ظل كذلك أبدا ولكن شاول كون المسيحية على حساب عيسى، فشاول ـ الذى سمى فيما بعد بولس ـ هو فى الحقيقة مؤسس المسيحية[٦].

ويقول شارل جنيبير: ولكن بدون بولس كان من المحتمل أن لا توجد المسيحية[٧] فبولس فى نظر الباحثين الثقات يعتبر المؤسس الحقيقى للمسيحية الحالية وإذا كان

---

(١) بنيامين بنكرتن: تفسير إنجيل متى ص١٦٠.

(٢) معالم تاريخ الإنسانية المجلد الثالث ص٧٠٥.

(٣) مايكل هارت: الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله (ص): ترجمة أنيس منصور ص٢٣ ، ٢٤.

(٤) المصدر السابق ص٣٦.

(٥) آرثر فندلاى: الكون المنشود ترجمة د/ على على راضى ص١١٧.

(٦) د/ أحمد شلبى: المسيحية ص٨٤.

(٧) شارل جنيبير: المسيحية نشأتها وتطورها ص١١١.

الأمر كذلك فإننا ولا شك نجد عنده العقيدة الأساسية للمسيحية الحالية وهى عقيدة الخلاص.

يقول د/ القس فهيم عزيز (إن مركز فكر بولس يتلخص فى تحقق العصر الجديد عصر الفداء الذى فيه يتمم المسيح عمله، بل إن العنصر الأساسى والرئيسى فى كرازة[١] العهد الجديد هو إتمام النبوات الخاصة بالخلاص التاريخى الذى بدأ بمجئ المخلص)[٢].

ويعلن الأسقف المسيحى (بولس إلياس الخورى) فى جرأة أن بولس هو مبتدع عقيدة الخلاص وقد حمل هو وتلميذه الحبيب (لوقا) لواء الدعاية لها فقال: "ومما لا ريب فيه أن الفكرة الأساسية التى ملكت على بولس مشاعره فعبر عنها فى رسائله بأساليب مختلفة هى فكرة رفق الله بالبشر، وهذا الرفق بهم هو ما حمله على إقالتهم من عثارهم، فأرسل إليهم ابنه الوحيد ليفتديهم على الصليب وينتقل بهم من عهد الناموس الموسوى إلى عهد النعمة وهذه الفكرة عينها هى التى هيمنت على إنجيل لوقا"[٣].

ويقول (بيرى): "إن بولس بدأ يذيع أن عيسى منقذ ومخلص وسيد استطاع الجنس البشرى بواسطته أن ينال النجاة"[٤].

ويقول (ولز): "علم بولس الناس أن عيسى لم يكن المسيح الموعود فحسب ولا زعيم اليهود الموعود فقط بل إن موته كان تضحية ـ مثل ممات الضحايا القديمة المقربة إلى الآلهة أيام الحضارات البدائية ـ من أجل خلاص البشر"[٥].

ويقول مايكل هارت: "نجح بولس فى تبشيره بالمسيحية بين غير اليهود حتى وصفوه بأنه داعية الأمميين أى غير اليهود ولم يستطع أحد أن يقوم بمثل هذا الدور

---

(١) الكرازة: تقديم الإنجيل إلى الناس وإعلان ما فعله الله فى المسيح لكى يصالح العالم نفسه (المدخل إلى العهد الجديد ص٨٧).

(٢) د/ القس فهيم عزيز: الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس ص٥٣.

(٣) نقلاً عن النصرانية والإسلام: محمد عزت الطهطاوى ص٤٨.

(٤) د/ أحمد شلبى: المسيحية ص٨٤.

(٥) ولز: موجز تاريخ العالم ص١٧٨.

من قبله أو من بعده... ومن أهم أفكاره: أن يسوع المسيح لم يكن فقط نبيا بشرًا بل كان إلها حقا وأنه مات من أجل التكفير عن خطايا البشر"[١].

ويقول: هنتر ـ عميد كلية المسيح بجامعة ابردين بإنجلترا ـ عن مفهوم بولس للمسيحية "إن شخص المسيح يقف فى قلب مفهوم بولس للمسيحية كعقيدة خلاص"[٢].

ويقول فرويد: ويبدو أن جوهر الخلاص هو ما أضافه بولس إلى المسيحية فقد كان إنسانًا له موهبة الدين بأصدق معنى الجملة"[٣] ويقول: "وصارت الخطيئة الأصلية والخلاص بالموت الكفارى أساس الديانة الجديدة التى أرسى بولس قواعدها"[٤].

ويقول برتراندرسل "تشتمل رسائل بولس على كثير من اللاهوت خصوصًا فيما يتعلق بالخلاص"[٥] فبولس الذى له منزلة كبرى فى المسيحية وبين المسيحيين هو الذى ظهرت عقيدة الخلاص على يده فى المسيحية، وكانت أفكاره الرئيسية تقوم على خدمة هذه العقيدة ـ عقيدة الخلاص ـ من حيث الخطيئة وإرثها ومن حيث تأليه المسيح وصلبه وقيامته فداء للبشر من الخطيئة[٦].

يقول أرنست دى بونس الألمانى فى كتابه عن "الإسلام": إن روايات الصلب والفداء من مخترعات بولس ومن شابهه"[٧].

ومن الثابت أن بولس لم يكن تلميذا من تلاميذ المسيح ـ فى حياة المسيح ـ ولا من رسله ولم ير المسيح ولو مرة واحدة.

---

(١) مايكل هارت: الخالدون مائة أعظمهم محمد (ص) ص٣٦.

(٢) حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر: ص٤٣.

(٣) فرويد: موسى والتوحيد، ترجمة د/ عبد المنعم الحفنى ص١٧٩.

(٤) نفس المصدر ص٢٦١.

(٥) تاريخ الفلسفة الغربية (الكتاب الثانى) ص٣٩.

(٦) راجع فى هذا: د/ رؤوف شلبى: المسيحية الرابعة ص٨١ ـ ٨٨، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ص٩٧ ـ ١٠١، د/ محمود مزروعة دراسات فى النصرانية ص٩٩، أحمد عبد الوهاب: المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص٢٧٥.

(٧) الفارق بين المخلوق والخالق ص١٥ ـ ٢٨٨.

يقول ولز: "وكان بولس من أعظم من أنشأوا المذهب المسيحى وهو لم ير المسيح قط ولا سمعه يبشر الناس"[١]:

"والثابت لدى الباحثين بوجه عام أن بولس لم ير المسيح ولم يعرفه وإن كان يدعى أنه عرف المسيح من قبل"[٢] فهذا قول منه يخالف ما أجمع عليه الباحثون من عدم معرفته له[٣]. يقول شارل جنيبير (ويجب أن نشير هنا إلى أن بولس لم يلتق بالمسيح مدة حياته لذلك لم تكن تأملاته عن شخص الأستاذ وتعاليمه لتحدها آفاق الذكريات والواقع كما كان الحال بالنسبة للاثنى عشر من الحواريين الذين بدأوا الدعوة)[٤].

فبولس ليس من تلاميذ المسيح ولكنه اشتهر فى زمانه بتعصبه ليهوديته واضطهاده للمسيحيين، وكان فى صدر حياته من أشد أعداء المسيحية. وسفر الأعمال يذكر ذلك الاضطهاد فى مواضع كثيرة منها قوله "وحدث فى ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التى فى أورشليم فتشتت الجميع فى كور اليهودية والسامرة ما عدا الرسل. وحمل رجال أتقياء إستفانوس وعملوا عليه مناحة عظيمة. وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ويجر رجالاً ونساء ويسلمهم إلى السجن"[٥].

وفى تفسير (باركلى) لأعمال الرسل يقول عن هذه الفقرة:

"وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة، وكلمة "السطو" فى اللغة الأصلية تفيد عملاً وحشيًا كما ينقض وحش على فريسته"[٦].

---

(١) ولز: موجز تاريخ العالم ص١٧٨.

(٢) وذلك إشارة إلى قول بولس (وإن كنا قد عرفنا المسيح حسب الجسد لكن الآن لا نعرفه بعد) ٢ كورنثوس ٥: ١

(٣) د/ محمد أبو الغيط الفرت: بولس المسيحية ص٣٦.

(٤) المسيحية نشأتها وتطورها ص٦٩ ـ ٧٠.

(٥) أعمال الرسل ٨: ١ ـ ٣.

(٦) باركلى: تفسير العهد الجديد (أعمال الرسل) ص١٠٦.

ومنها: أما شاول فكان لم يزل ينفث تهددًا وقتلاً على تلاميذ الرب فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناسا من الطريق رجالاً أو نساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم[١].

عرف بولس أن بعض المسيحيين هربوا إلى دمشق فطلب رسائل للتعريف بمهمته ليذهب إلى دمشق لتسليم هؤلاء الفارين[٢].

ويعترف بولس بهذا الاضطهاد للمسيحيين كما فى سفر أعمال الرسل ـ فيقول (أنا رجل يهودى ولدت فى طرطوس كيليكية ولكن ربيت فى هذه المدينة عند رجلى غمالائيل على تحقيق الناموس الأبوى، وكنت غيورًا لله كما أنتم جميعكم اليوم. واضطهدت هذا الطريق حتى الموت مقيدًا ومسلمًا إلى السجون رجالاً ونساء كما يشهد لى أيضًا رئيس الكهنة وجميع المشيخة الذين إذ أخذت أيضًا منهم رسائل للإخوة إلى دمشق ذهبت لآتى بالذين هناك إلى أورشليم مقيدين لكى يعاقبوا)[٣] وهو إنما يذكر ذلك ليبرز لقارئيه تحوله المفاجئ من العداوة الشديدة لهم إلى الدعوة الخاصة بالمسيح[٤] ولكن سفر الأعمال يقول إن ذلك الرجل الذى كاد للمسيحية هذا الكيد وآذى أهلها ذلك الإيذاء قد انتقل من الجبت والطاغوت إلى المسيحية فجأة من غير مقدمات تقدمت ذلك الانتقال ولا تمهيدات مهدت له[٥] "وفى ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتًا قائلاً له شاول، شاول: لماذا تضطهدنى؟ فقال: من أنت يا سيد، فقال الرب أنا يسوع الذى تضطهده، صعب عليك أن ترفس مناخس. فقال وهو مرتعد ومتحير يارب ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له الرب قم وادخل إلى المدينة فيقال لك ماذا

---

(١) أعمال الرسل ٩: ١، ٢.

(٢) تفسير العهد الجديد (أعمال الرسل) ص١١٦.

(٣) أعمال الرسل ٢٢: ٣ ـ ٥.

(٤) د/ محمد الفرت: بولس والمسيحية ص٣٧.

(٥) الإمام محمد أبو زهرة: محاضرات فى النصرانية ص٨٥.

ينبغى أن تفعل، وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحدًا. فنهض شاول عن الأرض وكان هو مفتوح العينين لا يبصر أحدًا فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق وبقى ثلاثة أيام لا يبصر فلم يأكل ولم يشرب"[١].

وهنا وقفه لابد منها ذلك أن سفر أعمال الرسل عاد ليحدثنا مرة أخرى عن تلك الرؤيا - التى اقتحم بها بولس ليجعل نفسه مبشر المسيحية الأكبر فيما بعد - فيعرض لنا ما يخالف روايته السابقة فهو يقول هذه المرة على لسان بولس "أبرق حولى من السماء نور عظيم فسقطت على الأرض وسمعت صوتا: قال إنى أنا يسوع الناصرى... والذين كانوا معه نظروا النور... لكنهم لم يسمعوا صوت الذى كلمنى"[٢].

فعلى حسب الرواية الأولى نجد أن المسافرين مع بولس: سمعوا الصوت لكنهم لم ينظروا النور. أما حسب الرواية الثانية: فإنهم نظروا النور ولكنهم لم يسمعوا الصوت[٣].

فأيهما أصح الرواية الأولى أم الثانية؟ ثم ننتقل بعد ذلك إلى الواقعة ذاتها يقول ول ديورانت وهو يصف الحالة التى كان عليها بولس: "وليس فى وسع أحد أن يعرف العوامل التى أحدثت هذه التجربة وما أعقبها من انقلاب أساسى فى طبيعة الرجل، ولعل ما قاساه من التعب فى سفره الشاق[٤] الطويل فى شمس الصحراء اللافحة، أو لعل ومضة برق فى السماء ناشئة من شدة الحرارة، لعل شيئًا من هذا أو ذاك كله قد أثر فى جسم ضعيف ربما كان مصابًا بالصرع وفى عقل يعذبه الشك والإجرام فدفع بالعملية التى كانت تجرى فى عقله الباطن إلى غايتها، وأصبح ذلك

---

(١) أعمال الرسل ٩: ٣ - ٩.

(٢) أعمال الرسل ٢٢: ٦ - ٩.

(٣) أحمد عبد الوهاب: الوحى والملائكة ص٥٢.

(٤) يقول باركلى: الطريق من أورشليم إلى دمشق حوالى ١٤٠ ميلاً، والرحلة تأخذ أسبوعًا تقريبًا (تفسير العهد الجديد: أعمال الرسل ص١١٦).

المفكر الشديد الإنفعال أقدر الداعين إلى مسيح **استفانوس**[١] **وكان الجو اليونانى** الذى يحيط به بولس فى طرسوس يتحدث عن منقذ ينتشل البشرية كما كانت علوم بنى جنسه من اليهود تتحدث عن حياة (مسيح) منتظر، ولم لا يكون يسوع صاحب الشخصية العجيبة الغامضة الفتانة الذى لا يتردد الناس فى استقبال الموت من أجله هو ذلك المسيح المنتظر؟ فلما أحس فى آخر سفره وهو لا يزال ضعيفًا وأعمى بيدى يهودى مهتد رحيمتين تلمسان وجهه وتسكنان ألمه "فللوقت وقع من عينيه شىء كأنه قشور فأبصر فى الحال وقام واعتمد وتناول طعامًا فتقوى "وبعد بضعة أيام من ذلك الوقت دخل مجامع دمشق وقال للمجتمعين فيها إن عيسى ابن الله"[٢].

---

(١)استفانوس: اسم معناه "تاج" أو "إكليل من الزهور" وهو اسم أول شهداء المسيحية وبما أن اسمه يونانى فيرجح أنه كان هيلينيا (أى أنه لم يكن يونانى الجنس بل يونانى اللغة والثقافة) أو أنه كان يهوديا يتكلم اليونانية، ولما اشتكى الهيلينيون المسيحيون فى أورشليم من أن أراملهم كن يهملن (أعمال ٦: ١) انتخب سبعة رجال من ضمنهم إستفانوس ليقوموا بأمر الخدمة اليومية وتوزيع التقدمات على الفقراء المسيحيين (أعمال ٦: ٢ ـ ٦) وهؤلاء الرجال السبعة يعرفون بأول شمامسة فى الكنيسة المسيحية ويصف الكتاب المقدس إستفانوس بأنه رجل ممتلئ من الإيمان والروح القدس (أعمال ٦: ٥) وأنه كان يصنع قوات وعجائب (أعمال ٦: ٨) وكان ينادى بالرسالة بحكمة (أعمال ٦: ١٠) ولما لم يتمكن بعض من هؤلاء اليهود الهيلينيين أن يجاوبوا إستفانوس ويقاوموا قوة الحكمة والروح التى كانت فيه اخترعوا ضده شكايات زور فدسّوا رجالاً مأجورين يقولون: إننا سمعناه يجدف على الله وعلى موسى وأنه تكلم ضد الشريعة وضد الهيكل وقدمت هذه الشكاوى إلى مجمع السنهدريم (أعمال ٦: ٩ ـ ١٤) وقد سجل لنا سفر أعمال الرسل ملخصًا للدفاع الذى قدمه إستفانوس (أعمال ٧: ١ ـ ٥٣) وقد رفض المجلس أن يستمع لإستفانوس بعد هذا، أما هو فقال إنه يرى السموات مفتوحة وابن الإنسان قائمًا عن يمين الله (أعمال ٧: ٥٤: ٥٦) عندئذ أخرجوه خارج المدينة ربما من الباب الذى يدعى اليوم باب إستفانوس ورجموه وكانوا وهم يرجمونه يقول (أيها الرب يسوع اقبل روحى) ثم طلب من الرب غفران خطيئتهم بسبب رجمه، وشاول الذى أصبح فيما بعد بولس كان راضيًا برجم إستفانوس (أعمال ٨: ١) وكان يحرس ثياب الذين رجموه (أعمال ٧: ٥٨) ولقد كانت شهادة إستفانوس من أكبر العوامل لإعداد شاول لكى يقبل المسيح (أعمال ٢٢: ٢٠)أ. هـ قاموس الكتاب المقدس ص٦٢ ـ ٦٣. وتعليق بسيط على هذه الحادثة أنهم رجموه وذلك من أجل الأفكار التى كان ينادى بها. وكان أهمها المناداة بأن يسوع هو ابن الإنسان قائمًا عن يمين الرب وقالوا عنه إنه كان يجدف على الله وعلى الشريعة وهذا دليل على أن مسيحى تلك الفترة كانوا لازالوا على إيمانهم بدين عيسى الحقيقى لذلك حين خرج إنسان بأفكار جديدة رجموه.

(٢) ول ديورانت: قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الثالث ص٢٥٣.

فبولس بعد أن كان من ألد أعداء المسيحية، ولاقى المسيحيون على يديه ألوانا عدة من التعذيب والتنكيل، نجده ينقلب فجأة وبدون مقدمات إلى إعلان أن المسيح "ابن الله".

وبعد أن حدث لبولس ما حدث رجع إلى أورشليم وذلك بعد مدة تزيد على الثلاث سنوات وحاول أن يتصل بتلاميذ المسيح لكنهم أوجسوا منه خيفة ولم يصدقوا إيمانه ولكن برنابا شهد له، يقول سفر الأعمال: (ولما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل وحدثهم كيف أبصر الرب فى الطريق وأنه كلمه وكيف جاهر فى دمشق باسم يسوع، فكان معهم يدخل ويخرج فى أورشليم)[١].

وفى تفسير هذه الفقرة يقول "باركلى": ففى حين وقف الجميع من حوله ينظرون إليه شذرا فى شك ويظنون به الظنون أخذه برنابا بيده ووقف مسندا له، فبينما نظر الباقون إلى بولس على اعتبار أنه جاسوس أو عميل مدسوس عليهم وثق به برنابا كمؤمن حقيقى أمين"[٢] فلولا برنابا لما استطاع بولس حتى الاتصال بهذا المجتمع[٣]. ومن ذلك الوقت صار بولس القوة الفعالة والحركة الدائبة فى الدعاية للمسيحية كما تدل على ذلك عبارات سفر الأعمال. وهنا نجد حلقة مفقودة فلم يبين لنا سفر الأعمال على من تلقى مبادئ المسيحية الذى أخذ يبشر بها والتى دونها فى رسائله؟ ولعلهم يعتقدون أنه ليس فى حاجة إلى التلقى لأنه انتقل من مرتبة الكافر المناوئ إلى مرتبة الرسل فى المسيحية وصار ملهما ينطق بالوحى فى اعتقادهم فلم يكن فى حاجة إلى التعليم والدراسة[٤].

هذا هو بولس الذى يعتبر من المؤسسين الحقيقيين للمسيحية الحالية، كان كافرًا بالمسيح وأذاق أتباعه ألوانًا من العذاب انقلب إلى المسيحية وصار أكبر دعاتها بل

---

(١) أعمال الرسل ٩: ٢٦ ـ ٢٨.

(٢) تفسير العهد الجديد (سفر أعمال الرسل) ص١٢٤.

(٣) شارل جنيبير: المسيحية نشأتها وتطورها ص١٠٢.

(٤) الإمام محمد أبو زهرة: محاضرات فى النصرانية ص٨٦.

ورأس الدعاة. وعلامة استفهام توضع: كيف يكون لبولس هذا القدر الرفيع والنصيب الكبير فى المسيحية وهو لم ير المسيح وليس تلميذا من تلاميذه؟

وكذلك ما رأى بولس أحدًا من تلاميذ المسيح المختارين سوى بطرس ويعقوب وذلك بعد مدة تزيد على الثلاث سنوات كان قد بدأ فيها الدعوة إلى عقيدته الجديدة بتعليمه الخاص غير منتظر مواعظ أو تعاليم من تلاميذ المسيح ورسله[١] وفى هذا يقول بولس عن نفسه:

"ولكن لما سر الله الذى أفرزنى فى بطن أمى ودعانى بنعمته أن يعلن ابنه فىّ لأبشر به بين الأمم للوقت لم استشر لحما ودما ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلى بل انطلقت إلى العربية ثم رجعت أيضًا إلى دمشق ثم بعد ثلاث سنين صعدت إلى أورشليم لأتعرف ببطرس فمكثت عنده خمسة عشر يومًا ولكن لم أر غيره من الرسل إلا يعقوب أخا الرب"[٢] ولقد استمر بولس فى الدعوة بطريقته الخاصة ما يزيد على أربعة عشر عامًا حتى حدث ما اضطره أن يعود مرة ثانية إلى أورشليم ليعرض على كبار التلاميذ التعاليم التى بشر بها.

يقول بولس (ثم بعد أربع عشرة سنة صعدت أيضًا إلى أورشليم مع برنابا آخذًا معى تيطس أيضًا وإنما صعدت بموجب إعلان وعرضت عليهم الإنجيل الذى أكرز به بين الأمم ولكن بالانفراد على المعتبرين لئلا أكون أسعى وقد سعيت باطلاً)[٣].

إننا نريد أن نسأل النصارى عن الإعلان الذى بموجبه صعد بولس إلى أورشليم ليعرض عليهم الإنجيل الذى يعظ به ويبشر به بين أمم العالم؟ ولماذا عرض بولس إنجيله الذى كتبه بنفسه على الرؤساء المعتبرين؟ ولماذا يريد أن يحظى بتأييدهم ومساعدتهم إياه، كما قال؟ مما لا مراء فيه: أن اجتماعه سرًا وعلى انفراد بالمعتبرين - ليعرض عليهم مبادئه الجديدة التى بشر بها فى رحلته التبشيرية الأولى[٤] ونتائجها

---

(١) أحمد عبد الوهاب: الوحى والملائكة ص٥٣.

(٢) غلاطية ١: ١٥ - ٢٢.

(٣) غلاطية ٢: ١ - ٣.

(٤) إن عودة بولس هذه المرة إلى أورشليم كانت بعد رحلته التبشيرية الأولى حيث إن هذه العودة كما قلنا كانت بعد أربع عشر سنة والتى تجول فيها فى إنطاكية وقبرص (أعمال ١٤: ٥٤) ومدن آسيا الصغرى ترواس، مقدونية، فيلبى، تسالونيكى، أثينا، كورنثوس. أعمال إصحاح (١٦، ١٧، ١٨) ثم انتقل بولس إلى أورشليم سنة ٥٣م ليسلم على الإخوة هناك (أعمال ١٨: ١ - ٢١).

من دخول عدد كبير فى المسيحية قبل أن يذيعها بين الأمم الأخرى ـ دليل على أن المبادئ الجديدة تختلف تمامًا عن المبادئ التى جاء من أجلها المسيح، وإلا لماذا صعد؟ ولماذا انفرد؟ ولماذا على انفراد؟

ويصرح بولس بأن الإنجيل الجديد الذى يبشر به ليس هو الإنجيل الذى تركه المسيح ـ عليه السلام ـ بل هو إنجيل تلقاه بإلهام من المسيح أى أنه لا يبشر بما ترك المسيح بل يدعى أنه يبشر بإلهام المسيح له بالتعاليم الجديدة[١].

يقول بولس "وأعرفكم أيها الأخوة الإنجيل الذى بشرت به إنه ليس بحسب إنسان لأنى لم أقبله من عند إنسان ولا علمته بل بإعلان يسوع المسيح"[٢].

وهؤلاء المعتبرون الذين اجتمع بهم بولس على انفراد لم يحظ بتأييدهم كلهم[٣] "ولا غرابة أن نرى الحواريين الاثنى عشر وهم الذين أشربوا بتعاليم عيسى وظلوا على يهوديتهم العميقة يستكفون كثيرًا من مثل هذه النتائج التى توصل إليها بولس ويبدون أمامها ترددًا قويًا إلا أنه فرضها عليهم فرضًا إذ استطاع إيجاد البراهين المقنعة بشأنها معتمدًا على تحليل أوجه النجاح الذى لمسها خلال رحلته التبشيرية الأولى فى ربوع آسيا الصغرى، ثم إن مجتمع القدس كان يظن أن روحًا إلهية تسير الحوارى الثالث عشر فيما يقوم به من أعمال، وكان هذا المجتمع فقيرًا وكانت كنائس بولس تضم أحيانًا بين أتباعها ثراة القوم وكرامتهم.. وكان بولس خبيرًا بأساليب حثهم على مساعدة الكنيسة الأم"[٤].

وهنا نرى أن جل اعتماد بولس على إقناع الحواريين هو نجاحه فى دعوته بين الأمم التى بشر فيها، وكان نجاحه بالتبشير وسط هذه الأمم يرجع إلى أن الأفكار والعقائد التى كان يبشر بها كانت هى السائدة فى هذه المجتمعات.

ويكفى أن نقول هنا: إن بولس الذى ظهرت على يديه عقيدة الخلاص لم يلتق بالمسيح مدة حياته ولم يتتلمذ عليه، بل لم ير من تلاميذ المسيح سوى بطرس

---

(١) من تعقيب د/ أحمد السقا على كتاب الإمام الجوينى: شفاء الغليل فى بيان ما وقع فى التوراة والإنجيل من التحريف والتبديل ص٦٨ ـ ٦٩.
(٢) غلاطية ١: ١١ ـ ١٢.
(٣) المصدر السابق ص٦٩.
(٤) شارل جنيبير: المسيحية نشأتها وتطورها ص١٠٤.

ويعقوب، ولقد عمل بولس على أن يضع تلاميذ المسيح أمام الأمر الواقع، خرج يبشر بتعاليمه، ثم رجع بعد أربع عشرة سنة ليعرض عليهم نجاحه بتعاليمه لا نجاحه بالدعوة إلى دعوة عيسى، وكان انتشار دعوة بولس بين الأمم التى بشر فيها بالمسيح سبيلاً إلى الغلبة على تلاميذ المسيح المعتبرين.

انتشار عقيدة بولس فى الخلاص

إن عقيدة الخلاص التى قال بها بولس كان لها نصيب من الانتشار الواسع حتى أصبحت أساس المسيحية؛ وذلك يرجع إلى الأسلوب الذى استخدمه بولس فى نشر المسيحية والطريقة التى سار عليها، إذ أنه رأى أن يخرج بالمسيحية من دائرتها الضيقة فى بيت المقدس إلى الميدان الواسع فى البيئات غير اليهودية من ناحية، وبين اليهود الذين يعيشون خارج دائرة أورشليم من ناحية أخرى، إذ أنهم وجدوا فيها ـ بعد الإصلاحات التى أدخلها بولس فى نظره ـ ديانة تفى بحاجاتهم من حيث الانتساب إلى دين يستوعب كل مزايا ديانات العصر جميعًا[١].

التبشير بالمسيحية بين غير اليهود[٢]:

يقول شارل جنيبير: "كان أصحاب عيسى يهودًا سذجًا بسطاء، ليس لهم شأن فى قومهم، ولا يمتازون بثقافة كبيرة، فآفاقهم الفكرية لم تكن بأوسع أو أبعد حدودًا من أفق عيسى، واقتصر طموحهم على الرغبة فى دفع "الخراف الضالة من بيت إسرائيل" نحو طريق النجاة، وجميع الدلائل تحملنا على الاعتقاد بأنهم كانوا شديدى التعصب لبنى جلدتهم من اليهود ـ على الأقل فى بدء الدعوة ـ وفاقوا فى ذلك عيسى نفسه، وكانت فكرة تبشير الوثنيين بعيدة كل البعد عن عقولهم، بل الواقع أنه كان من ضروب المستحيل أن يتصوروا إمكان انتشار الإنجيل بين رجال لم يؤمنوا بالعقيدة اليهودية قبل ذلك[٣].

---

(١) نورمان كانتو: التاريخ الوسيط ترجمة د/ قاسم عبده قاسم ص٥٩.

(٢) وقولنا "غير اليهود" عامة تشمل غير اليهود أصلاً وغير اليهود المحافظين على يهود يتهم.

(٣) المسيحية نشأتها تطورها ص٥٥ ـ ٥٦.

إن التبشير بالمسيحية بين غير اليهود كان بعيدًا عن فكر تلاميذ عيسى؛ لأنهم سمعوا من عيسى: إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامرين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة[١].

يقول برتراند رسل: كان الذين يبشرون بالمسيحية أول الأمر هم اليهود أنفسهم: يبشرون بها اليهود على أنها العقيدة اليهودية دخلها الإصلاح، وقد أراد القديس جيمس (يعقوب) كما أراد القديس بطرس بدرجة أقل ـ أن يقف أمر المسيحية عند هذا الحد، وقد كان من الجائز أن يسود رأيهما لولا بولس الذى صمم على قبول غير اليهود[٢] ويقول: "ولا شك فى أن الجماعات المسيحية التى أنشأها بولس فى أماكن كثيرة قد كان قوامها المرتدين عن اليهودية من جهة، وغير اليهود الذين كانوا ينشدون دينا جديدًا من جهة أخرى"[٣].

والمرتدون عن اليهودية الذين مهدوا قبول المسيحية لغير اليهود هم: "الذين أقاموا زمنًا طويلاً بمختلف البلاد اليونانية، ثم عادوا إلى وطنهم ليعيشوا فيه ما بقى لهم من عمر، وكانوا أيضًا وعلى الأخص من يهود المهجر الذين يتوافدون إلى القدس فى الأعياد الكبرى والمواسم، **وامتازوا جميعًا بروح أكثر مرونة وتقبلاً للتجديدات من إخوانهم** الفلسطينيين، فلا غرابة إذن فى أن يكون عدد معين منهم قد استمع إلى أحاديث أصحاب عيسى وآمن بدعوتهم ولكنهم عندما اعتنقوا الإيمان بعيسى المسيح لم يتخلوا من أجل ذلك عن روحهم المرنة المجددة"[٤].

"لقد كان هناك نوعان من اليهود":

يهود أورشليم، ويهود فلسطين. أما يهود أورشليم فهم أولئك الذين كانوا يتكلمون الآرامية المنحدرة من لغتهم الأصلية وكانوا يفتخرون بأنهم لم يختلطوا بأحد.

---

(١) متى ١٠: ٦.

(٢) تاريخ الفلسفة الغربية (الكتاب الثانى) ص٣٦.

(٣) نفس المصدر ونفس الصفحة.

(٤) المسيحية نشأتها وتطورها ص٨٨ ـ ٨٩.

أما اليهود الآخرون فكانوا من بلاد أخرى، جاءوا يوم الخمسين، وبقوا فى أورشليم، واختبروا شخص المسيح، وعدد كبير منهم عاش خارج فلسطين أجيالاً طويلة، فنسوا لغتهم العبرية، وكانوا يتكلمون باليونانية، وكان طبيعيًا أن اليهود الأصليين يحتقرونهم لأنهم أجنبيون[١].

فاليهود الذين لم يعودوا إلى بلادهم بعد السبى البابلى الذين ألفوا الحياة البابلية كان تمسكهم بيهوديتهم أقل تعصبًا من هؤلاء الذين عادوا إلى فلسطين، ولذلك كان قبولهم للأفكار الجديدة على اليهودية أكثر من الجامدين على يهودية عيسى، وكان تحررهم عن اليهودية أصبح مألوفًا لديهم، بسبب الفترة التى عاشوها فى بلاد اليونان والفرس. وبسبب مجاورتهم ومشاهداتهم لآلهتهم وعباداتهم. "فاليهود فى بعض مناطق المهجر لم يكتفوا بالتطور الاجتماعى وفقا للبيئة التى يعيشون فيها، ولم يكتفوا بإعادة تنظيم عقيدتهم الدينية أو ـ على الأقل ـ تفسيرها لأنفسهم بما يتفق وثقافتهم مع صيانة جوهرها كاملاً، لم يكتفوا بذلك، بل راحوا يخلطون باليهودية بعضًا من أفكار ومعتقدات المشركين الوثنيين المحيطين بهم، فى نفس الوقت الذى كانت فيه طوائف من المشركين الوثنيين تعتنق الكثير من المعتقدات اليهودية الأساسية لتمزجها بأديانها المختلفة"[٢] وكان قبول هؤلاء اليهود للمسيحية ودخولهم فيها بداية طريق آخر لهذه الديانة فقد انتشرت بانتشارهم فى البلاد التى عاشوا فيها، وكان هذا تمهيدًا لقبول غير اليهود من الأمميين واليونانيين لها، لذلك بدأ بولس حياته التبشيرية فى بلاد طرسوس وإنطاكية وبلاد اليونان ووجد تربة خصبة لإثراء المسيحية بالأعداد الكبيرة: يقول سفر أعمال الرسل عن بولس (فكان معهم يدخل ويخرج فى أورشليم ويجاهر باسم الرب ويسوع وكان يخاطب ويباحث اليونانيين فحاولوا أن يقتلوه فلما علم الإخوة أحد روه إلى قيصرية وأرسلوه إلى طرسوس)[٣]:

---

(١) تفسير العهد الجديد (أعمال الرسل) ص ٨٦.
(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص٦١.
(٣) أعمال الرسل ٩: ٢٨ ـ ٣٠.

"قدم بولس تصوره عن المسيح بالصورة التى رسم صورتها الهيلينيون فى موطنه، وهى التى رسمت فى ذهنه، ولكن هذه الصورة رفضها اليهود فى أورشليم، وأثارت ضجة أدت إلى تعقبه لقتله مما اضطر معه إلى الهروب مرتحلاً إلى طرسوس وإنطاكية.

ولكن بولس لم تهن عزيمته فى دعوته لعيسى فى صورته الجديدة، فإذا كان مجتمع اليهود[١] رفضه لفكرته الجديدة عن المسيح فإن هناك من يقبل هذه الدعوة، فبدأ حياة عنيفة كمبشر بهذه الدعوة فى آسيا الصغرى وبلاد اليونان[٢].

ومن خلال رحلات بولس التبشيرية[٣] فى إنطاكية وآسيا الصغرى دخل المسيحية عدد كبير من غير اليهود فأحدث بذلك "ترددًا قويا من الشيوخ بالنسبة لقبول هؤلاء فى زمرة المؤمنين، ولكن بولس بما أوتى من قوة الحجة وصلابة العزم أقنعهم من خلال تجربته التبشيرية بأنه إذا لم تنتشر دعوة المسيح فى غير اليهود فإن الدعوة ستظل حبيسة بين فئة اليهود فقط سوف يقضى عليها فى هذا الانحصار الضيق فى وقت قصير"[٤] هكذا أقنع بولس تلاميذ المسيح معتمدًا على النجاح الملموس الذى حققه من خلال رحلاته التبشيرية من ناحية، ومن ناحية أخرى على ما كان يساعد به الكنيسة الأم من مال عن طريق هؤلاء الأغنياء والأثرياء الذين كانوا ينتمون إلى كنيسة بولس.

بعض الإصلاحات التى أدخلها بولس على المسيحية لتخدم عقيدته:

ولكى تكون الدعوة المسيحية مقبولة لدى غير اليهود أجرى بولس بعض الإصلاحات فى نظره ـ إن صح هذا التعبير ـ فى الديانة المسيحية لكى تناسب هذا المجتمع الجديد.

---

(١) أى يهود أورشليم المتعصبين ليهوديتهم.
(٢) بولس والمسيحية ص٥١.
(٣) لقد ذكر سفر أعمال الرسل رحلات بولس التبشيرية بالتفصيل.
(٤) المصدر السابق ص٥١ ـ ٥٢.

وكانت أفكار بولس ـ كما سبق أن بينا ـ تدور حول فكرة الخلاص وكانت هى العقيدة الأساسية التى كان يبشر بها خارج أورشليم. ولما كان الهدف قبول عدد كبير فى المسيحية والسبيل إلى ذلك إرضاء هؤلاء تبعًا لأفكارهم فإن التساهل فى ـ العقائد الموروثة من موسى وعيسى أصبح واضحًا، وإن استدعى الأمر تغييرها فلا مانع مادام ذلك يرضى هؤلاء.

فلقد رأى بولس بوضوح: أن الأتباع الجدد من المشركين لم يكونوا ليتقبلوا كل القبول (فضيحة الصليب) وأنه يجب تفسير ميتة عيسى المشينة، تفسيرًا مرضيًا يجعل منها واقعة ذات مغزى دينى عميق.

لقد تجاهل فكرة "عيسى الناصرى" التى أغرم بها الاثنا عشر ولم يتجه إلا إلى "عيسى المصلوب" فتصوره شخصية إلهية تسبق العالم نفسه فى الوجود وتمثل نوعًا من التشخيص لروح إله تصوره "رجلاً... رجلا سماويًا" احتفظ به إلى جانبه أمدا طويلاً حتى نزل إلى الأرض لينشئ فيها حقًا بشرية جديدة يكون هو "آدمها"[١].

هكذا أصبح موت عيسى فى تصور بولس واضح المفهوم:

إن بنى الإنسان لينؤون بثقل خطاياهم فلا يجدون سبيلاً إلى النور الإلهى، وقد أراد المسيح أن يهديهم السبيل فحمل عنهم آثامهم وكفرّ عنهم بعذابه وموته، وهكذا أصبحت (الفضيحة الكبرى) المزعومة هى هى: السر الأعظم والهدف والعلة الأولى لمجئ عيسى برسالته[٢].

يقول ولز: "أمد بولس الناصريين بقوة جارفة، لأنه جاءهم بتفسيره هذا المقنع تمامًا لكارثة الصلب وكان تفسيره ذاك نورًا ساطعًا وسط دياجير الحيرة المطلقة التى رانت على عقول الناس"[٣].

---

(١) المسيحية نشاتها وتطورها ص١٠٥.

(٢) المصدر السابق ص١٠٨.

(٣) معالم تاريخ الإنسانية المجلد الثالث ص٧٠٦.

ويقول القس/ دوم كولومبا مرميون: "إذا أمعنا النظر فى التصميم الإلهى على ضوء رسائل بولس نرى أن الله يريد ألا نبحث عن الخلاص والقداسة إلا فى دم ابنه، لأنه لا فادى سواه، ولأن لموته فاعلية عجيبة"(١).

وهكذا فسر بولس (الصلب) تفسيرًا رضى به هؤلاء، ولكى تكتمل الحلقة كاملة جاء بولس إلى الشعائر والطقوس وفسرها تفسيرًا تكميليا لعملية الصلب". "وشعر بولس بضرورة الكشف عن المغزى العميق لتقليد (تناول الخبز جماعة)، ولقد وجد له تفسيرًا ربطه برباط لا ينفصم عن عذاب عيسى الذى تحمله لتخليص البشرية، وغمره غمرًا بذلك المفهوم الخصب للتضحية من أجل التكفير ومن أجل التقرب والمشاركة فى الذات الإلهية، فجعل منه غاية لسر رفيع وتذكرة ورمزًا حيًا ـ أرادهما عيسى لنفسه ـ فيما زعم بولس لنا فيه من عذاب الصليب"(٢).

يقول بولس (إن الرب يسوع فى الليلة التى أسلم فيها أخذ خبزًا وشكر فكسر وقال خذوا وكلوا هذا هو جسدى المكسور لأجلكم، اصنعوا هذا لذكرى، كذلك الكأس أيضًا بعدما تعشّوا قائلاً هذه الكأس هى العهد الجديد، بدمى اصنعوا هذا كلما شربتم لذكرى، فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجئ)(٣).

وكذلك أيضًا اتخذت طقوس التعميد معنى يقرب من معنى العشاء الربانى.

يقول "لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح"(٤) وعلى هذا فقد ظهرت معالم عقيدة الخلاص بعد التعديلات التى أدخلها بولس فى المسيحية وقوامها: (المسيح تجسد وصلب وقام من أجل الخلاص) المسيح إله متجسد فى صورة بشرية، تحمل ذنوب البشر على الصليب وذلك من أجل أن يخلصهم.

---

(١) دوم كولومبا مرميون: المسيح حياة النفس. ترجمة: المطران نصر الله صغير. ص٧٥.
(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص١٠٩.
(٣) رسالة كورنثوس الأولى ١١: ٢٣ ـ ٢٦.
(٤) غلاطية ٣: ٢٧.

والتعميد والعشاء الربانى يمثلان صلة روحية بعقيدة الخلاص. وأصبحت هى العقيدة الأساسية والركيزة الأولى للمسيحية، لأنها تمثلت فى رسائل كتبها بولس بينما كانت السمة الغالبة على تعاليم عيسى والحواريين أحاديث شفهية.

يقول ول ديورانت: ولم يشعر معاصرو بولس بأثره فى التو والساعة لأن الجماعات التى أنشأها كانت أشبه بجزائر صغرى فى بحر الوثنية الواسع الخضم ولأن كنيسة رومة كانت من صنع بطرس وبقيت وفية لذاكره ومن أجل هذا ظل بولس مائة عام كاملة بعد موته لا يكاد يذكره إنسان فلما انقضت الأجيال الأولى من المسيحيين وأخذت أحاديث الرسل الشفهية تضعف ذكراها فى الأذهان وأخذ العقل المسيحى يضطرب بمئات من عقائد الزيغ والضلال، لما حدث هذا أضحت رسائل بولس إطارًا لمجموعة من العقائد أضفت على الجماعات المتفرقة اتزانا وألفت منها كنيسة واحدة قوية[١] وآلت القيادة لرسائل بولس لدحض أفكار الخارجين والمارقين عن هذه المسيحية.

إن الدعوة المسيحية بعد السيد المسيح كانت ترجع إلى مركزين: أحدهما برئاسة جيمس (يعقوب)[٢] المسمى بأخى الرب ومقره بيت المقدس والثانية برئاسة بولس ومريديه ومقرها خارج فلسطين بعيدًا عن سلطان الهيكل. وقد كانت شعبة بيت المقدس أقرب إلى المحافظة والحرص على شعائر العهد القديم ملحوظة المكانة فى العالم المسيحى داخل فلسطين وخارجها من بلاد الدولة الرومانية كما يظهر من وصايا ومن أجوبة المسيحيين فى الخارج عليها وكلها وصايا تحث على رعاية الشعائر الإسرائيلية.

وظلت الرئاسة على العالم المسيحى معقودة لهذه الشعبة المقيمة فى بيت المقدس حتى تهدم الهيكل[٣] وتقوضت مدينة بيت المقدس وتبددت الجماعة فى أطراف البلاد، وآلت قيادة الدعوة إلى الشعبة التى كانت تعمل فى خارج فلسطين فكان لذلك أثر كبير فى أسلوب الدعوة وفى اختيار وسائل الإقناع إذ اختلف الأسلوبان

---

(١) قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الثالث ص٢٦٩.

(٢) أشار العقاد إلى اليهود المحافظين على يهوديتهم، ولقد ذكر (ول ديورانت) فى النص السابق على رأس هؤلاء المحافظين (بطرس) ووضع (العقاد) على رأسهم (يعقوب) وهو الصواب ـ فى نظرنا ـ حيث إن يعقوب كان أكثر حرصًا على يهوديته من بطرس.

(٣) وذلك فى سنة ٧٠م حيث هدمه الرومان.

بين الخطاب الموجه إلى اليهود وحدهم، والخطاب الموجه إلى الأمميين النافرين من اليهود، فبينما كان الخلاص على يد فرد من بنى إسرائيل لإنقاذهم دون غيرهم أمرًا مفروغًا منه بين اليهود، كان العالم الخارجى بحاجة إلى صفات إلهية فى الرسول المخلص يقبلها الأمميون ولا يتقيدون فى قبولها بالشروط والعلاقات التى يلتزمها المتشبثون بحرف الناموس[١].

وظل أمر هذه الشعبة الثانية فى القيادة والدفاع بهذه الأفكار حتى قننت لاهوتيا وأصبح لها قداسة العقائد اللاهوتية وذلك فى القرن الرابع الميلادى حين قرر مجمع نيقية سنة ٣٢٥م ألوهية المسيح وتجسده من أجل الخلاص.

ونص دستور الإيمان المسيحى الذى قرره مجمع نيقيه والمجامع التى تلته: "نؤمن بإله واحد ضابط الكل، خالق السماء والأرض، كل ما يرى ومالا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوللآب فى الجوهر، الذى به كان كل شىء فى السماء وعلى الأرض، الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد، من الروح القدس ومن مريم العذراء تأنس، وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطى، وتألم وقبروقام فى اليوم الثالث على ما فى الكتب، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الآب، وأيضًا يأتى بمجد ليدين الأحياء والأموات الذى لافناء لملكه، وبالروح القدس الرب المحيى المنبثق من الآب الذى هو مع الآب والابن مسجود له وممجد، الناطق بالأنبياء، وبكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية، ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا ونترجى قيامة الموتى والحياة فى الدهر الآتى"[٢].

فالقضايا الأساسية فى شأن الله والمسيح انجلت بواسطة البحث المستوفى من أشخاص أكثرهم من الأصل اليونانى وحكم بها قانونيا فى المجامع التى التأمت فى الشرق فى غضون القرن الرابع وما يتلوه، فتحدد لاهوت المسيح ومساواته للآب فى

---

(١) العقاد: حياة المسيح ص١٩.

(٢) علم اللاهوت النظامى ص١٧٣، سر التدبير الإلهى (التجسد) ص١٠٤ ـ ١٠٥، تاريخ الفكر المسيحى ص٦٣١.

الجوهر فى مجمع نيقيه سنة ٣٢٥م وأقنومية الروح القدس ولاهوته فى المجمع القسطنطينى الأول سنة ٣٨١م[١] وتوالت بعد ذلك المجامع لتناقش الآراء حول طبيعة السيد المسيح. وفى الفترة الواقعة بين ما بعد عصر بولس ومجمع نيقية حدث أن ظهرت عقائد كثيرة خاصة بالمسيح تباعدت وتقاربت أطلق المسيحيون عليها هرطقات ولم يتقرر لاهوت فى تلك الفترة لذلك يقول المسيحيون: "فى القرون الثلاثة الأولى كان جل اهتمام أهل الكنيسة قائمًا بالمحاماة عن حقائق المسيحية وحمايتها من قذف غير المؤمنين ومناضلة الارتقات الغنوصتية التى تولدت من أصول الفلسفة الشرقية وحل القضايا التى دار عليها الجدال عن أقانيم اللاهوت الأقدس وتقريرها.

ولا يظهر للباحثين فى تاريخ تلك القرون أن أهلها قرروا شيئًا بالضبط من التعاليم اللاهوتية فى أصل خطية الإنسان وشأنها ونتائجها ولا فى شأن النعمة الإلهية وعملها ولا فى حقيقة المسيح وكيفية تخصيصه بواسطة الروح القدس والحصول عليه بواسطة الإيمان[٢].

وكان ظهور هذه الأفكار بسبب عدم وجود النص الأساسى للإنجيل وبسبب ـ الاضطهادات والأحداث التى وقعت بالمسيحيين الأوائل والتى كان لها الأثر الواضح فى أن يحتفظ كل مسيحى بتعاليمه وعقائده سرًا لا يجاهر بها أحدًا حتى المسيحى (ومادام قوم يتسترون ولا يجهرون بدعوتهم ولا عقيدتهم فإن هذه العقيدة سيدخلها كثير من الباطل ولذلك لما رفع عنهم البلاء وجهر كل إنسان بعقيدته وجدوا أن بينهم من الخلاف مالا يقل عن الخلاف الموجود بين دين ودين)[٣].

فلقد قالوا فى المسيح ـ عليه السلام ـ قبل مجمع نيقية أقوالاً كثيرة حتى اشتد الاختلاف بين الطوائف المسيحية الأولى وتباعدت مسافات الخلف تباعدا شديدًا لا يمكن أن يكون معه وفاق، وكان الاختلاف يدور حول شخص المسيح أهو

---

(١) علم اللاهوت النظامى ص١٣٤.

(٢) المرجع السابق ص١٣٢.

(٣) د/ بركات عبد الفتاح دويدار: الوحدانية ص١٤٧ ، ١٤٨.

رسول من عند الله فقط من غير أن تكون له منزله أكثر ممن له شرف السفارة بين الله وخلقه؟ أم له بالله صلة خاصة أكبر من رسول فهو من الله بمنزله الابن وأنه خلق من غير أب ولكن ذلك لا يمنع أنه مخلوق لله لأنه هو كلمته، ومن قائل إنه ابن الله له صفة القدم كما لله تلك الصفة، وهكذا تباينت نحلهم واختلفت وكل يزعم أن نحلته هى المسيحية الصحيحة التى جاء بها المسيح ودعا تلاميذه من بعده[١].

ولما كان هذا الاختلاف العقائدى الواسع المدى كان لابد من نصرة لأحدهم على الآخر ومادام قد فقد النص المقدس السماوى فإن الغلبه لمن معه اليد القوية التى لها قوة السلطان. "أما الطبقة الحاكمة فقد كانت ميولها فى جانب بولس وأتباعه، وابتداء من مطلع القرن الرابع برزت هذه الميول، وأصبحت تأييدًا صريحًا لاتجاهات بولس وإلزاما للناس باتباعها"[٢].

فمنذ ظهور المسيحية مرت الكنيسة بأوقات عاصفة وأوقات هادئة إلى أن جاء قسطنطين[٣] "ولو كان قسطنطين أبى أن يعترف بالديانة المسيحية ضمن الديانات المسموح بها فى الدولة أو لو أنه لم يعقد مجمع نيقية الذى حدد مذهب ألوهية المسيح لتغير مجرى التاريخ كله تغيرًا تامًا"[٤] وليس فى استطاعة باحث أن يجرؤ على الجزم بأن ذلك الإمبراطور العسكرى القادر الفاره كان على الدين المسيحى[٥] مع أن الإمبراطور لم يعتنق المسيحية رسميًا ولم يسمح بتعميده ألا وهو على فراش الموت سنة ٣٣٧م[٦] فإنه بذل كل ما لديه من سلطة ونفوذ فى خدمة الديانة التى جاءت له بالظفر بأرجاء إيطاليا من تورين إلى فيرونا[٧] ولذا أدت به الضرورة السياسية إلى أن

---

(١) الإمام محمد أبو زهرة: محاضرات فى النصرانية ص١٤٦.
(٢) د/ أحمد شلبى: المسيحية ص١١٣.
(٣) د/ القس حنا جرجس الخضرى: تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص٦١٨.
(٤) فشر: تاريخ أوربا (العصور الوسطى) ترجمة د/ محمد مصطفى زيادة، والأستاذ السيد الباز ص٢.
(٥) المصدر السابق ص٦.
(٦) نفس المصدر ونفس الصفحة، موجز تاريخ العالم ص١٨١.
(٧) تاريخ أوربا (العصور الوسطى) ص٦.

يجعل من نفسه راعيًا للمجامع الدينية وفيصلاً فى المنازعات بين المذاهب ومشيرًا مطاعًا فى تقرير عقائد الكنيسة[١] فكان قسطنطين يرى فى هذه الانقسامات والمعارك اللاهوتية عاملاً خطيرا وهداما لوحدة الإمبراطورية الرومانية[٢].

كان قسطنطين هو الفيصل بين المسيحيين فى تقرير عقائد الكنيسة.

وهنا يرد على الذهن سؤال:

كيف يكون الوثنى هو المشير المطاع فى تقرير عقائد المسيحية وهى الديانة التى ينسبونها إلى أنها أنزلت من عند الله؟ ولقد ساعد تقرير قسطنطين العقائد الكنيسة أن أصبح التحول من الوثنية إلى المسيحية أمرًا عاديًا.

يقول: فشر: "غير أنه ليس ثمة شك فى اتخاذ المسيحية ـ فيما بعد ـ ديانة رسمية للبلاد ساعد على ازدياد صفوف المسيحيين زيادة سريعة لاسيما أن التحول عن الوثنية إلى المسيحية لم يكن انتقالاً إلى جو غريب تمام الغرابة أو شعور بانقلاب باغت مفاجئ بل بدا الولوج فى المسيحية عملية رقيقة فى كثير من التدرج الشعورى أو العاطفى إذ شابهت طقوس الديانة المسيحية وأسرارها المقدسة ما للديانة القديمة من طقوس وأسرار[٣].

وعلا صوت المسيحية بلاهوتها الجديد المشابه للديانات السائدة بفضل يد السلطان القوية ونفوذه ورغبته فى أن تسود آراء المسيحيين التى تتفق ومفهومه عن الدين "إذ بات الإمبراطور يؤمن بالمسيح وبإله الشمس القهار، فحبا المسيحيين بكثير من التسامح على حين احتفظ لنفسه بمنصب الكاهن الأعظم، وهو المنصب الإمبراطورى فى الديانة الرومانية الوثنية، ثم إن العملة فى أيام قسطنطين ضربت وعلى وجه منها علامة الصليب، وعلى الوجه الآخر شعار عبادة الشمس"[٤].

وعلى أساس هذه العقيدة ـ عقيدة مجمع نيقية ـ انتشرت المسيحية واندثرت العقائد الأخرى، إذ أن هذا المجمع هو الذى فرض على الناس الأناجيل والرسائل التى تتفق وهذه العقيدة وأمر بحرق الكتب[٥] الأخرى التى تخالف العقيدة التى اتخذها المجمع.

---

(١) المصدر السابق ص٩.
(٢) تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص٦٢٥.
(٣) تاريخ أوربا (العصور الوسطى) ص٨.
(٤) نفس المصدر ونفس الصفحة.
(٥) محاضرات فى النصرانية ص١٥٣.

دعوى أن الخلاص هبة الله

يعتقد المسيحيون أنه كان من الضرورى بل من اللازم لإتمام عمليه الخلاص أن يكون هناك مخلص، وأن يكون فى هذا المخلص مشتركًا من اللاهوت ومشتركًا أيضًا من الجنس البشرى، كان لابد أن يكون إلها وإنسانًا فى نفس الوقت حتى يستطيع أن يصالح الإنسان والله[١].

وهذا المخلص هو المسيح ولا خلاص بدون المسيح.

يقول لوقا (وليس بأحد غيره الخلاص لأنه ليس اسم آخر تحت السماء ممنوحًا للناس به ينبغى أن نخلص)[٢].

والإنسان فى حاجة إلى الخلاص يقول القس إلياس مقار: "وما من شك بأن الحاجة إلى الخلاص حاجة عامة عند جميع الناس"[٣] وذلك على أساس ـ دعواهم ـ أن الإنسان متلبس بالخطية، وهذه الحاجة ـ فى نظرهم ـ ليست مجرد حاجة جماعية عامة بل هى حاجة كل إنسان على حدة من المهد إلى اللحد فى حاجة إلى الخلاص، فالملك والصعلوك والذكر والأنثى والمتعلم والجاهل والغنى والفقير والكبير والصغير والأبيض والأسود جميعهم فى حاجة متساوية إلى الخلاص من غير تمييز أو تفرقة أو استثناء[٤] وذلك على أساس أن الخلاص يتناول الحياة الحاضره الأبدية.

كما أن قول متى (أن ابن الإنسان قد جاء ليخلص ما قد هلك) [٥] يدل ـ فى نظرهم ـ على أن الصغار كالكبار يحتاجون إلى مخلص لأنهم على حالة الهلاك وذلك لنسبتهم إلى آدم الأول ووراثتهم لطبيعته الساقطة (روميه ٥: ١٢) وهم يدعون أنه لا يجوز أن ننسب خلاص الذين يموتون فى طفوليتهم إلى طهارة طبيعية فيهم لأن ذلك ضد كلمة الله على خط مستقيم (من يخرج الطاهر من النجس؟ لا أحد) [٦] ويدعون أن شهادات أخرى تصرح أن الجميع هالكون بحسب حالتهم الطبيعية ويصدق عليهم قول الرب (ينبغى أن تولدوا من فوق) [٧]

---

(١) تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص٤٣٤.
(٢) أعمال الرسل ٤: ١٢.
(٣) القس إلياس مقار: قضايا المسيحية الكبرى ص٣٨٢.
(٤) نفس المصدر ونفس الصفحة.
(٥) متى ١٨: ١١.
(٦) أيوب ١٤: ٤، (انظر أيضًا مزمور ٥١: ٥).
(٧) يوحنا ٣: ٧.

ويقولون لا نقدر أن نعلق خلاصهم أيضًا على إيمان والديهم لأن الرب إنما يعلق ذلك على شخصه قائلاً (لأن ابن الإنسان قد جاء ليخلص ما قد هلك)[١] وعلى هذا فالخلاص ـ فى نظرهم ـ هبة من الله لاحتياج البشر إلى الله ولأن أى فرد لا يستطيع أن يقوم به إلا الله.

يقول القس/ فهيم عزيز: وهبات الله نوعان: ـ هبات عامة.. وهبات خاصة. من الهبات العامة: الخلاص من الخطية[٢]. هذا الخلاص مع كل ما يتعلق به من بركات روحية وذلك فى مقابل ما ورثناه من آدم من خطية وموت.

ويلخص بولس ذلك فى قوله: (لأن أجرة الخطية هى موت وأما هبة الله فهى حياة أبدية بالمسيح يسوع)[٣]،[٤].

وعلى ذلك أيضًا فالخلاص لجميع الناس على أساس أنه هبة من الله والهبة من الله عامة، ولكننا نجد لدى المسيحيين ما قد يقلل من شأن هذه الهبة وهو ما يسمى "بعقيدة الاختيار للخلاص" وهى تعنى أن الله اختار أناسا لكى يخلصهم المسيح من خطاياهم. وكلمة "اختيار" كما وردت فى رسالة بولس إلى رومية هى كما يذكر فهيم عزيز[٥]:

كلمة تعبر عن الطريقة التى بها يجرى الله قصده الأسمى لفداء البشرية فإذا كانت كل الخليقة تفدى من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله فذلك مبنى على قصد الله فى الاختيار. ولكن هناك اختيار فى الاختيار ففى العهد القديم اختار الله أناسا من الشعب لخدمته كإبراهيم، وموسى، وداود. وفى هذا المعنى فقد اختيرت إسرائيل نفسها لكى تحمد الرب، كورش اختاره الرب وهو لم يكن يعرف الرب[٦]، وبهذه الكيفيه يعلن العهد القديم الاختيار الذى يفوق عقولنا. فالاختيار العام ـ أى ـ للفداء

---

(١) بنيامين بنكرتن: تفسيرات إنجيل متى ص٣١٩.

(٢) يقول بولس فى رسالته إلى أهل رومية (ولكن ليس كالخطية هكذا أيضًا الهبة لأنه إن كان بخطيه واحدة مات الكثيرون فبالأولى كثيرًا نعمة الله والعطية بالنعمة التى بالإنسان الواحد يسوع المسيح قد ازدادت لكثيرين، وليس كما بواحد قد أخطأ هكذا العطية لأن الحكم من واحد للدينونة وأما الهبة فمن جرّى خطايا كثيرة للتبرير. رومية ١٠: ٥ -١٧..

(٣) رومية ٦: ٢٣.

(٤) د/ القس فهيم عزيز: مواهب الروح القدس ص٨.

(٥) رومية ٨: ١٨ ـ ٣٠، ٩: ٢٩ ـ ٣٦.

(٦) إشعياء ٤٥: ٤.

والخلاص. أما الخاص فإنما يشير إلى الوراء إلى السر الأزلى لسلطان الله ومعرفته السابقة وتعيين النعمه المتفاضلة ولكن الاختيار يشير أيضًا إلى المستقبل إلى مجد الكمال أى إلى الوقت الذى تصبح فيه الكنيسة فى صورة ابنه[١]،[٢].

يقول كلايد تارنر:

إن عقيدة الاختيار فى الكتاب المقدس كانت حجر عثرة للكثيرين، فالأسفار المقدسة تعلن أن الله قد اختار أفرادا معينين للخلاص حتى قبل أن يولدوا. ثم يذكر الدلائل على ذلك ففى الرسالة إلى رومية: لأنه هما لم يولدا بعد ولا فعلا خيرًا أو شرًا لكى يثبت قصد الله حسب الاختيار ليس من الأعمال بل من الذى يدعو، قيل لها إن الكبير يستعبد للصغير، كما هو مكتوب أحببت يعقوب وأبغضت عيسو)[٣].

والعبارة الواردة فى "أفسس" أقوى من هذه العبارة أيضًا "كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قد يسين وبلا لوم قدامه فى المحبة، إذ سبق فعيننا للتبنى بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته"[٤] وفى رسالة بولس الثانية إلى تسالونيكى "وأما نحن فينبغى لنا أن نشكر الله كل حين لأجلكم أيها الإخوه المحبوبون من الرب أن الله اختاركم من البدء للخلاص بتقديس الروح وتصديق الحق"[٥] وهناك فقرات أخرى كثيرة يمكن اقتباسها من الكتاب المقدس تظهر فيها عقيدة أو تعليم الاختيار.

ثم يعلق على ذلك قائلا: ترى هل يبين لنا مثل هذا التعليم محاباة من جانب الله وهدمًا لحرية الفرد، لا ينكر أحد أن هناك بعض الغموض فى هذه العقيدة وهذا التعليم، وبالطبع لا يستطيع أحد الادعاء بشرحها شرحًا وافيًا، ولكن الأسفار المقدسة تقول إن الاختيار قائم على سابق علم الله[٦] واختيار الله لا يلغى حرية

---

(١) رومية ٨: ٩.

(٢) القس فهيم عزيز: المدخل إلى العهد الجديد ص٣٨١ ـ ٣٨٢.

(٣) رومية ٩: ١١ ـ ١٣.

(٤) أفسس: ١: ٤ ـ ٥.

(٥) ٢ تسالونيكى ٢: ١٣.

(٦) رومية ٨: ٢٩ (لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكرًا بين إخوة كثيرين).

الإنسان فى الاختيار كما أنه عالم بما سيختار الإنسان وهذه الفقرات المأخوذه من الأسفار المقدسة تلقى بعض الضوء على هذه العقيدة الصعبة ولكن لا تشرحها شرحًا وافيًا[١].

فعقيدة الاختيار كما هى لدى المسيحيين لم يستطيعوا شرحها شرحا وافيا، وهى قائمة بجانب علم الله على إيمان المخلصين بالمسيح، فهى خاصة بالمسيحيين.

تعقيب:

وأفهم مادام الخلاص هبة عامة فلابد أن يكون للبشر أجمعين، كالماء والهواء، لا ينحصر بفئة دون أخرى، ولا بقوم دون آخرين، حتى ولو لم يؤمنوا بالمسيح، لأنهم لم يكونوا مع آدم حين أخطأ، وأنتم قد نسبتم خطيئة آدم إلى البشر أجمعين فلابد أن يأتى المسيح بالخلاص للبشر أجمعين لا لقوم مختارين، وإلا فما ذنب هؤلاء الذين ورثوا الخطيئة عن آدم ولم يخلصوا؟ يقولون: ذنبهم أنهم لم يؤمنوا بالمسيح!!!

نقول وما ذنب هؤلاء الذين ماتوا قبل المسيح ولم يعرفوه حتى يؤمنوا؟

وما ذنب هؤلاء الصغار الذين ماتوا قبل أن تنضج عقولهم فيؤمنوا بالمسيح؟ خاصة وأنكم تقولون إن خلاصهم يكون بإيمانهم لا بإيمان آبائهم.

يقولون عن هؤلاء الذين ماتوا قبل المسيح إن المسيح نزل إلى الجحيم وخلصهم. يقول د/ القس حنا جرجس الخضرى (يعتقد بعض المسيحيين ـ الكاثوليك والأرثوذكس[٢] ـ أن المسيح بعد قيامته وقبل صعوده وجلوسه عن يمين الرب أنه نزل إلى الجحيم لتبشير المسجونين، وأن تبشيره فى الجحيم كان موجها إلى كل من الأموات يهودا كانوا أم أمما، بل لقد ذهب كل من هرمس وإكليمندوس الاسكندرى إلى أبعد من ذلك، فلقد نادى كل منهما بأن الرسل أنفسهم قد بشروا بعد موتهم وأثناء إقامتهم فى الشيول ـ أى الجحيم ـ برسالة الخلاص وعمدوا كل الذين قبلوا

---

(١) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص١١٦ ـ ١١٧.

(٢) وموقف الكنيسة الإنجيلية يختلف عن هؤلاء فى هذا الاعتقاد حيث إنهم لا يقولون بذلك (تاريخ الفكر المسيحى ص٣٦٧).

الخلاص وأحضروهم معهم إلى السماء)[١] ويقول "إن الله سيقدم فرصة أخرى فى العالم الآخر حتى يوصل رسالة الخلاص إلى كل الذين لم تتح لهم فرصة سماع إنجيل المسيح على الأرض فى أثناء حياتهم لأن مسرة قلب الله الآب هى خلاص كل البشر" الذى يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون"[٢]، [٣].

وهل هذا مقبول ومعقول فكيف تكون دار الجزاء دارًا للإيمان؟ والمسيح فى أناجيلكم يقول "فإنه تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئًا كما أسمع أدين ودينونتى عادلة لأنى لا أطلب مشيئتى بل مشيئة الآب الذى أرسلنى"[٤].

فالمسيح يقول لهم إنه فى وقت الدينونة يكون الثواب لمن عمل صالحًا، والجزاء لمن عمل سيئًا، وأنه لا يستطيع أن يغير شيئًا، لأن دينونته دينونة عادلة لأن الله عادل وهو لا يطلب مشيئة أحد وإنما يطلب مشيئة الله.

ويقول بولس "عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته، فى نار لهيب معطيا نقمة للذين لا يعرفون الله والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح الذين سيعاقبون بهلاك أبدى من وجه الرب ومن مجد قوته"[٥] فهو يجازى الذين لا يعرفون الله ولا يؤمنون بإنجيله بنار ملتهبة خالدين فيها أبدا، فلا مجال للقول بأنه يعرض على الأموات إنجيله وإلا فلا عدالة ولا مساواة بين إنسان عاش طوال حياته متمردا غير مؤمن بالله متنعما بالمعاصى، وإنسان عاش طوال حياته مؤمنا بالله محافظًا على شعائره وعباداته يجد المشقة فى العبادة والطاعة، ثم يأتى يوم الحساب يدخل هذا وذاك الذى آمن بالمسيح بعد الموت الجنة، فلا مساواة إذن ولا عدالة حتى ولو قالوا إن هناك تفاوتا فى درجات النعيم.

---

(١) تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص٣٦٦ ـ ٣٦٧.
(٢) الرسالة الأولى إلى تيموثاوس ٢ : ٤.
(٣) تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص٣٦٨.
(٤) يوحنا ٥ : ٢٨ ـ ٣٠.
(٥) رسالة بولس الثانية إلى تسالونيكى ١ : ٧ ـ ٩.

وهناك تساؤل أهم: وهو هل تتاح فرصة الخلاص ـ بعد الموت ـ لمن لم يؤمن بالمسيح فى حياته لكى يتساوى مع من مات قبل ظهور المسيح، فى فرصة الإيمان بعد معاينته الجحيم؟ إذا كان الجواب نعم: فما فائدة ظهور المسيح فى الدنيا؟ وإذا كان لا فالظلم واضح فى وقوعه على من ظهر لهم المسيح فى هذه الدنيا، وكان يكفى للخلاص أن يذهب المسيح إلى "الجميع" فى "الجحيم".

أما قول بعضهم إن المسيح نزل إلى الجحيم بعد صلبه لتبشير المسجونين وتخليصهم فإننا نرد عليهم بقول القس عوض سمعان:

"ليست هناك فقرة فى الكتاب المقدس تدل على أن المسيح نزل إلى الجحيم بعد موته الكفارى على الصليب، وأن الفرصة التى يمكن للمرء أن يتمتع فيها بالخلاص هى فرصة الحياة الحاضرة؛ لأنها هى الفرصة التى يستطيع فيها أن يتوب عن الخطيئة ويؤمن بالمسيح إيمانًا حقيقيًا يولد به من الله ولادة روحية"[١] وإذا لم يكن هناك نص ولا دليل من الكتاب المقدس فبأى دليل يستدلون؟.

طريقة نوال الخلاص

اختلف المسيحيون فى طريق نوال الخلاص اختلافًا كبيرًا، والاختلاف ينحصر فى هل يكون الخلاص بالإيمان؟ أو بالأعمال؟ يقول القس لبيب ميخائيل:

هل الخلاص بالإيمان؟ أو بالأعمال؟ أو بالإيمان والأعمال معًا؟

حاول أن تسأل الكثيرين من المسيحيين الاسميين هذا السؤال وستسمع ألوانًا من الإجابات الخاطئه تتردد على شفاههم.

يجيبك واحد قائلاً:

إن الشخص ينال الخلاص بأعمال البر والصلاح، وأنه ليس على المرء إلا أن يصوم ويصلى ويدفع صدقات للفقراء والمساكين ويعمل الخير للناس ثم ينتظر بعد ذلك الرحمة من الله فإما أن يرسله إلى السماء أو يلقى به فى الجحيم...

---

(١) عوض سمعان: الخلاص بين المفاهيم البشرية ص١٠٠.

ويقول لك آخر: إن الإنسان يخلص إذا حفظ ناموس الوصايا العشر ولم يحد عنها.

ويقول لك ثالث: إن الإنسان يخلص بالإيمان والأعمال معًا[١].

وهذا الاختلاف بين المسيحيين حول طريق نوال الخلاص. هل هو بالإيمان أو الأعمال؟ ليس حديث النشأة وإنما يرجع إلى العصور الأولى للمسيحية وذلك حين ألغى بولس "الختان".

يقول سفر الأعمال "وانحدر قوم من اليهودية، وجعلوا يعلمون الإخوة أنه إن لم تختتنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلصوا، فلما حصل لبولس وبرنابا منازعة ومباحثة ليست بقليلة معهم رتبوا أن يصعد بولس وبرنابا وأناس آخرون منهم إلى الرسل والمشايخ إلى أورشليم من أجل هذه المسألة"[٢].

اجتمع رؤساء الكنيسة ومشايخها لينظروا فى هذا الأمر... وكان بطرس ويعقوب يخالفان بولس فى هذا الأمر. ويحكى بولس ذلك فى رسالته إلى أهل غلاطية فيقول: "فإن هؤلاء المعتبرين لم يشيروا علىّ بشيء بل العكس إذ رأوا أنى أؤتمنت على إنجيل الغرلة[٣] كما بطرس على إنجيل الختان، فإن الذى عمل فى بطرس لرسالة الختان عمل فى أيضًا للأمم. فإذ علم بالنعمة المعطاة لى يعقوب وصفا ويوحنا المعتبرون أنهم أعمدة أعطونى برنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم وأما هم فللختان، غير أن نذكر الفقراء وهذا عينه كنت اعتنيت أن أفعله. ولكن لما أتى بطرس إلى إنطاكيه قاومته مواجهة لأنه كان ملومًا لأنه قبلما أتى قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأمم ولكن لما أتوا كان يؤخر ويفرز نفسه خائفًا من الذين هم من الختان. وراءى معه باقى اليهود أيضًا حتى إن برنابا أيضًا انقاد إلى ريائهم. لكن لما رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الإنجيل قلت لبطرس قدام الجميع إن كنت وأنت يهودى تعيش أمميًا لا يهوديًا فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا. نحن بالطبيعة يهود ولسنا

---

(١) القس لبيب ميخائيل: يقين الخلاص ص٩.

(٢) أعمال الرسل ١٥: ١ ـ ٣.

(٣) أغرل: غير المختون، والغرلة: غير الختان (قاموس الكتاب المقدس ص ٣٥٧).

من الأمم خطاة. إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس بل بإيمان يسوع المسيح آمنا نحن أيضًا بيسوع المسيح لنتبرر بإيمان يسوع لا بأعمال الناموس لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما"[١].

خالف بطرس ويعقوب بولس لأنه خالف ما جاء فى ناموس موسى الذى قال عنه المسيح (ما جئت لأ نقض المسيح).

يقول الأب/ متى المسكين (اكتشاف بولس هذا يعتبر خطيرًا للغاية لأنه أحدث نقطة التحول العظمى من العبادة اليهودية إلى العبادة المسيحية التى أنهت على التبرير[٢] بالناموس إلى الأبد، ولقد كانت وقفة بولس فى وجه بطرس فى هذا الأمر من أخطر الوقفات فى تاريخ الكرازة باسم المسيح إذ أعلن فى صراحة ولأول مرة فى الإنجيل كله "وإذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس بل بإيمان يسوع المسيح.." [٣]. وعليه فبولس قد أعلن أن الخلاص ليس بأعمال الناموس بل بالإيمان وسار على رأيه معظم المسيحيين. يقول سبينوزا: ولكى يثبت بولس الناس فى الدين ويبين لهم أن الخلاص لا يتم إلا بالفضل الإلهى علمهم إنه لا يحق لأحد أن يتفاخر بأفعاله بل بإيمانه فقط وأن الأعمال لا تنقذ أحدًا[٤] ويقول مايكل هارت وهو يعدد أهم أفكار بولس: ومن أهم أفكاره أن الإنسان لا يستطيع أن يحقق هذا الخلاص من الخطايا بالإيمان بالكتب المقدسة فقط وإنما بالإيمان بيسوع وإذا آمن الإنسان بيسوع فسوف تغفر خطاياه[٥].

يقول د/ فهيم عزيز: كيف ينال الإنسان الخلاص؟

إن الجواب الوحيد لبولس على ذلك هو الإيمان. إنه يكرر هذه الكلمة فى هذا الجزء ـ رسالته إلى أهل رومية ٣: ٢١ ـ ٣١ أكثر من سبع مرات: الإيمان بيسوع

---

(١) غلاطية ص٢: ٧ـ١٧.

(٢) برّ، ويبرر، تبريرًا: تتضمن كلمة التبرير القانون الأساسى للإيمان المسيحى وهى عكس الدينونة، والتبرير خلاف البراءة أى الحكم بعدم ارتكاب الجريمة. قاموس الكتاب المقدس ص١٦٩.

(٣) الأب/ متى المسكين: التبرير بين الماضى والحاضر ص١٥.

(٤) سبينوزا: رسالة فى اللاهوت والسياسة ص٣٣٥.

(٥) مايكل هارت: الخالدون مائة أعظمهم محمد صلى الله عليه وسلم ص٣٦.

المسيح[١]، الإيمان بدمه[٢]، ثم يكرر كلمة الإيمان مطلقة وذلك لأهميتها القصوى عنده، والذى جعله يشدد هكذا هو جهل اليهود الذين ظلوا يؤكدون على الأعمال... وإتمام الفرائض والطقوس لنوال التبرير[٣].

ويقول: "عندما يتكلم بولس عن الخلاص فإنه يذكر أنه ليس من الأعمال بل هى نعمة الله فى المسيح منذ الأزل"[٤].

ولقد تبع بولس فى هذه العقيدة أكثر المسيحيين. يقول كلايد تارنر: جعل الله طريقة واحدة لجميع البشر "لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم هو عطية الله"[٥] الخلاص بنعمة الله ممكن بالإيمان الشخصى بالرب يسوع هذا، وليس لدى الله طريق آخر للخلاص.

يريدنا البعض أن نؤمن بأن الناس فى العهد القديم كانوا يخلصون بحفظ الناموس ولكن بولس فى رسالته إلى أهل غلاطية يصحح هذا الرأى الخاطئ[٦].

ويقول القس/ صموئيل حبيب: الخلاص من جانب الإنسان إيمان فقط لا أعمال فإن الكثيرين يظنون أنهم عندما يعملون الأعمال الصالحة يخلصون.

ليس الخلاص بالأعمال الصالحة التى تصدر عن طبيعة الفساد والتى فى الإنسان فتكون باطلة فى حد ذاتها فإن يسوع "هو الذى خلصنا ودعانا دعوة مقدسة لا بمقتضى أعمالنا بل بمقتضى القصد والنعمة التى أعطيت لنا فى المسيح يسوع قبل

---

(١) رومية ٣: ٢٢ ـ ٢٦.

(٢) رومية ٣: ٢٥.

(٣) د/ القس فهيم عزيز: المدخل إلى العهد الجديد ص٣٩٠.

(٤) نفس المصدر ص٥٤٣.

(٥) أفسس ٢: ٨.

(٦) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص١٠٠ ـ ١٠١.

الأزمنة الأزلية"[١] فإنه لا بأعمال فى بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى[٢،٣].

ويقول القس/ مرقس عبد المسيح فى جوابه على سؤال طرحه وهو: كيف ينال الخلاص؟ يضع أمامنا بولس فى فقرة فى رسالته إلى أهل أفسس[٤] أمرين.

الأول: سلبى وهو أن الخلاص لا ينال بشىء داخلى فينا أى أننا نحن لسنا مصدر أو سبب هذا الخلاص وأنه ليس بأعمال تقوم نحن بها.

والثانى: إيجابى وهو أن الإنسان يحصل على الخلاص بالنعمة وهذا جانب الله المعطى بالإيمان، وهذا جانب الإنسان الذى ينال العطية[٥].

وبينما يشدد معظم المسيحيين على القول بأن الخلاص إنما يكون بالإيمان نجد أن هناك قولاً آخر ليعقوب فى رسالته عارض به بولس وهو أن الخلاص إنما يكون بالأعمال.

يقول سبينوزا: "أما يعقوب فإنه على العكس من ذلك يدعو فى رسالته إلى أن خلاص الإنسان يتم بأعماله لا بإيمانه فقط"[٦].

يقول يعقوب فى رسالته فى الإصحاح الثانى:

"إن قال أحد إن له إيمانا ولكن ليس له أعمال، هل يقدر الإيمان أن يخلصه، إن كان أخ وأخت عريانين ومعتازين للقوت اليومى فقال لهما أحدكم امضيا بسلام استدفئا واشبعا ولكن لم تعطوها حاجات الجسد فما المنفعة؟ هكذا الإيمان أيضًا إن لم يكن له أعمال ميت فى ذاته، لكن يقول قائل: أنت لك إيمان وأنا لى أعمال. أرنى إيمانك بدون أعمالك وأنا أريك بأعمالى إيمانى. أنت تؤمن أن الله واحد. حسنا

---

(١) ٢ تيموثاوس ١ : ٩.

(٢) تيطس ٣ : ٥.

(٣) القس/ صموئيل حبيب: الخلاص فى مفهومه الكتابى والتطبيقى ص٧٦ وفى هذا المعنى يراجع تفسير إنجيل متى ص١٠٧، ١٠٨.

(٤) وهى "لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم. هو عطية الله، ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد" أفسس ٢ : ٨، ٩.

(٥) القس مرقص عبد المسيح: الخلاص ص٣٤.

(٦) رسالة فى اللاهوت والسياسة ص٣٣٥.

تفعل. والشياطين بؤمنون ويقشعرون، **ولكن هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل أن الإيمان بدون أعمال ميت**، ألم يتبرر إبراهيم أبونا بالأعمال إذ قدم إسحاق ابنه على المذبح[١] فترى أن الإيمان عمل مع أعماله، وبالأعمال أكمل الإيمان، وتم الكتاب القائل فآمن إبراهيم بالله فحسب له برًا ودعى خليل الله، ترون إذًا أنه بالأعمال يتبرر الإنسان لا بالإيمان وحده كذلك راحاب[٢] الزانية أيضًا أما تبررت بالأعمال إذ قبلت الرسل وأخرجتهم فى طريق آخر لأنه كما أن الجسد بدون روح ميت هكذا الإيمان أيضًا بدون أعمال ميت[٣]

لقد عارض يعقوب بولس فى قوله إن الخلاص بالإيمان، ووصف يعقوب هذا القائل بقوله فى الفقرة السابقة "أيها الإنسان الباطل".

ومعروف أن يعقوب أقرب إلى المسيح من بولس، وأزهد وأعبد ، ومع ذلك فقد تبع معظم المسيحيين قول بولس.

يقول القس داود حداد عن "يعقوب"[٤]:

"يعقوب" "أخو الرب"[٥] وكان رأس الكنيسة فى أورشليم فى العصر الرسولى، وكان يلقب "بالبار"، بسبب شدة غيرته على الشريعة، وكان موقفه من المسيح فى حياته على الأرض كموقف إخوته فلم يؤمن به[٦] وقد تضاربت أقوال المسيحيين فى حقيقة نسبة هؤلاء الأخوة إلى المسيح: فمن قائل إنهم أبناء يوسف من زوجة كانت له قبل مريم، ومن قائل إنهم أولاد أخت لمريم، أو أولاد أخ يوسف، وهؤلاء فى عرف اليهود وفى لغتهم يحسبون أخوة.

ومن قائل إنهم أخوة يسوع من يوسف ومن مريم، وبعد "ولادة ابنها البكر" استنادًا إلى بعض الأقوال كالقول "لم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر" والقول "ابنها

---

(١) وذلك على أساس عقيدتهم أن الذبيح هو إسحاق. وستتعرض لهذه الدعوى فى الفصل الرابع من هذا الباب.

(٢) يشير إلى ما جاء فى سفر يشوع (راحاب الزانية فقط تحيا هى وكل من معها فى البيت لأنها قد خبأت المرسلين اللذين أرسلناهما) ٦ : ١٧.

(٣) يعقوب ٢ : ١٤ ـ ٢٥.

(٤) أى يعقوب الذى رجح النصارى أن يكون هو كاتب هذه الرسالة.

(٥) متى ٢٣ : ٥٥، مرقس ٦ : ٣.

(٦) متى ١٢ : ٤٦ ـ ٥٠، مرقس ٣ : ٣١ ـ ٣٥، لوقا ٨ : ١٩، يوحنا ٧ : ٣ ـ ٥.

البكر". والمسيحيون يقولون: لسنا نعلم بالضبط متى وكيف تغير يعقوب واهتدى وصار "عبد المسيح" وعلى الأرجح أن يعقوب اقتيد إلى الإيمان بظهور خاص ظهره له المسيح بعد قيامته، وكانت ليعقوب مكانة مرموقة فى أورشليم عندما زارها بولس للمرة الأولى بعد دخوله المسيحية وكان رئيس المجمع الرسولى وأزال الانشقاق بين المتنصرين من الأمم[١] ولازم التقاليد اليهودية وخدمة الهيكل طالما كان له رجاء بإدخال الأمة اليهودية بأسرها إلى ديانة المسيح، ولكن المتطرفين من اليهود حكموا عليه وقتلوه رجما وكان ذلك على ما يرجح حوالى سنة ٦٢م[٢].

يقول باركلى عن "يعقوب":-

وكان يشغل مركزًا هامًا إذ كان قائد كنيسة أورشليم، ولكنه لم يكن قائدًا معينًا كموظف يقوم بعمل، بل كان قائدًا بحكم شخصيته كرجل مرموق أحبه الناس وأسلموا له القيادة وهو أخو الرب ولقد ظهر له الرب ظهورًا خاصًا[٣] وكان عمودًا فى كنيسة الرب[٤] ولقد كان مواظبًا على الصلاة راكعًا طول الوقت حتى قيل إن ركبتيه كانتا كركبتى الجمل.

ولقد كان يتمتع بسمعة ممتازة حتى اشتهر بيعقوب العادل ولكن الأهم من ذلك أنه كان رجلاً محافظًا يحفظ الناموس[٥].

وليس هذا فحسب - كون يعقوب أقرب إلى المسيح من بولس - بل إن رأى يعقوب يتفق ويتوافق مع نصوص العهد القديم والجديد، فأمثلة العهد القديم ذكرها يعقوب فى قوله السابق.

ومن أمثلة العهد الجديد ما جاء فى إنجيل متى فى الإصحاح التاسع عشر: وإذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية؟ فقال له: لماذا تدعونى صالحًا ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله، ولكن إذا أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا، قال له: أية وصايا؟ فقال يسوع: **لا تقتل، لا**

---

(١) أعمال الرسل الإصحاح الخامس عشر.
(٢) قاموس الكتاب المقدس ص١٠٧٦.
(٣) ١- كورنثوس ١٥ : ٧.
(٤) غلاطية ١ : ١٩.
(٥) تفسير العهد الجديد سفر أعمال الرسل ص١٨٦ - ١٨٧.

تزن، لا تسرق، لا تشهد بالزور، أكرم أباك وأمك، وأحب قريبك كنفسك، فقال له الشاب: هذه كلها حفظتها منذ حداثتى، فماذا يعوزنى بعد؟ قال له يسوع: إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء، فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى[١].

فبين له المسيح أن الحياة المقصود بها الحياة الأبدية تكون عن طريق أن يفعل الأعمال الصالحة.

ويقول متى "ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسى مجده، ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم عن بعض كما يميز الراعى الخراف من الجداء، فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن يساره، ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركى أبى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم، لأنى جعت فأطعمتمونى، عطشت فسقيتمونى، كنت غريبًافآويتمونى، عريانًا فكسوتمونى، مريضًا فزرتمونى، محبوسًا فأتيتم إلى.

فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين: يا رب متى رأيناك جائعًا فأطعمناك، أو عطشانًا فسقيناك؟ ومتى رأيناك غريبًا فآويناك؟ أو عريانًا فكسوناك؟ ومتى رأيناك مريضًا أو محبوسًا فأتينا إليك؟

فيجيب الملك ويقول لهم: الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد أخوتى هؤلاء ـ الصغار فبى فعلتم... إلى آخره[٢].

فبين المسيح أن إرث الملكوت في السموات يوم الحساب والجزاء إنما يكون لمن سلك الطريق المستقيم وعمل صالحًا. ويقول المسيح فيما جاء فى إنجيل متى مدللاً على أن إرث الملكوت إنما يكون لمن حفظ الوصايا وعمل بها "لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل، فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السموات أما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيمًا فى ملكوت السموات"[٣].

---

(١) متى ١٩: ١٦ ـ ٢١.
(٢) متى ٢٥: ٣١ ـ ٤١.
(٣) متى ٥: ١٨ ـ ١٩.

ومما يدل أيضًا على القول بأن الإيمان والأعمال هما أساس الخلاص المسيحى ما جاء أيضًا فى إنجيل متى ولوقا قول المسيح "فكل من يسمع أقوالى ويعمل بها أشبه برجل عاقل بنى بيته على الصخر، فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط، لأنه كان مؤسسًا على الصخر، وكل من يسمع أقوالى هذه ولا يعمل بها يشبه برجل جاهل بنى بيته على الرمل، فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح وصدمت ذلك البيت فسقط، وكان سقوطه عظيمًا"[١].

فنصوص العهد القديم والجديد صريحة فى أن الإيمان والأعمال بهما ينال المرء الحياة الأبدية ـ التى هى إحدى معانى الخلاص كما سبق ـ وبها يرث المرء الملكوت فى السموات.

هذا هو قول العهد القديم والجديد وهما المصدران الأسياسيان للمسيحية فى نوال الخلاص، وهو قول يعقوب الذى قال به.

لكن لما كان بولس هو عقل المسيحية المفكر، وراعيها المدبر، فإن أقواله هى السائدة ـ حتى لو خالفت نصوص المصادر الأساسية ـ حتى إنه كان من دواعى رفض الكنيسة لرسالة يعقوب فى أول الأمر[٢] أنها لا تتناسب مع أفكار بولس. يصرح بذلك الدكتور القس/ فهيم عزيز فيقول:

والتردد فى قبولها ـ أى رسالة يعقوب ـ كان مبنيا على أمرين:

الأول: أنه لا يعرف أى يعقوب بقصد بكاتبها[٣].

الثانى: أنها تختلف عن رسائل بولس فى مسألة التبرير بالإيمان[٤].

---

(١) متى ٧: ٢٤ ـ ٢٨، لوقا ٦: ٤٥ ـ ٤٩ (واللفظ لمتى).

(٢) المعروف تاريخيًا أن الكنيسة فى مجمع نيقية رفضت سبع رسائل مما يحتويه العهد الجديد الآن ولم تعترف بها وتحكم بصحتها إلا فى مجمع لوديسيا سنة ٣٦٤م وهى رسالة بولس إلى العبرانيين ورسالة بطرس الثانية، ورسالة يوحنا الثانية والثالثة ورسالة يعقوب ورسالة يهوذا، ورؤيا يوحنا (راجع المدخل إلى العهد الجديد ص١٥٤، علم اللاهوت النظامى ص٩٨).

(٣) ذلك أن النصارى لا يعرفون من هو "يعقوب" كاتب هذه الرسالة، ذلك أن كاتبها قال فى فاتحتها (يعقوب عبد الله) ١: ١. فلقد أطلق هذا الاسم على ثلاثة أشخاص فى العصور الأولى للمسيحية: يعقوب الكبير ابن زبدى وأحد الاثنى عشر، والأخ الأكبر ليوحنا الرسول (متى ٤: ٢١)، ويعقوب الصغير ابن حلفى وأحد الاثنى عشر أيضًا) (متى ٣٤١٠، مرقس ٣: ١٨، لوقا ٦: ١٥)، يعقوب أخو الرب (متى ٢٣: ٢٥) ولقد رجح النصارى أن يعقوب أخو الرب هو كاتب هذه الرسالة وهو قائم على الظن.

(٤) المدخل إلى العهد الجديد ص١٥٤.

ولنا أن نقول: إن القول بأن الإنسان ينال الخلاص بالإيمان فقط إنما هو قول يحرض على الانحلال والتحلل من الشريعة إذ أن الإيمان بدون أعمال لا فائدة فيه، فالمقصود من الإيمان أن يوقظ القلب والعقل، وأن يهذب السلوك ويطهر الجوارح حتى العبادات المفروضة المقصود منها أساسا قمع الشهوات، وضبط الجوارح عن الأعمال السيئة.

وعلى الجانب الآخر: الأعمال بدون إيمان إنما هو تخبط فى مهاوى الضلال من غير هدى، فالإيمان هو المشعل الذى يضئ طريق الخير، وبالإيمان يستطيع الإنسان التمييز بين سبيل الرشد وسبيل الغى.

وعلى هذا فإن طريق نوال الحياة السعيدة فى الدنيا والآخرة إنما يكون عن طريق الإيمان والأعمال. وإذا كان الأمر كذلك فما الفائدة من قول المسيحيين أن المسيح نزل ليخلص البشرية من الخطايا؟

سنرى فى الفصول القادمة مدى الفائدة فى نظرهم، ولكن لن نترك هذه الفقرة حتى ننبه: إذا كان الإنسان يستطيع أن ينال النعيم والفوز فى الدنيا والآخرة بالإيمان والأعمال فلا فائدة من الطريق الذى رسمه المسيحيون؛ لأن كل فرد ينال حياته السعيدة بإيمانه هو وعمله هو، لا بإيمان ولا بأعمال المسيح.

❖ ❖ ❖

هذا ولما كان الخلاص المسيحى يقوم على خطيئة آدم التى ورثها نسله كما يدعى المسيحيون فإننا رأينا أن ننظر فى خلق آدم وصورته وإيمانه قبل المعصية وبعدها حتى نوازى بينهما وننظر فى طريق الخلاص وماذا ورث نسل آدم منه؟ وطريق الخلاص من هذا الإرث؟

❖ ❖ ❖

الفصل الثانى

حالة الإنسان قبل السقوط
فى الخطيئة
فى التصور المسيحى

تمهيد:

إن تاريخ الخلاص المسيحى يبدأ من آدم ـ عليه السلام ـ والسمة البارزة لطبيعته والصورة الحقيقية لهيكله الإنسانى والروحى.

ولما كانت الدراسة خاصة بالخلاص المسيحى فإن البداية للدراسة يجب أن تبدأ من حيث البداية التاريخية له.

يقول فيكتور هيكو:

تاريخ الخلاص يبدأ بما قبل التاريخ يبدأ بآدم الأب الأول لإسرائيل والجد الأول للمسيح[١].

ودراستنا لآدم ـ عليه السلام ـ دراسة تقتصر على ما يتصل بعقيدة الخلاص.

(خلق الله للعالم)

لقد احتوت الإصحاحات الثلاث الأولى من سفر التكوين على خلق الله للعالم والإنسان. والمراد بالخلق: الإيجاد من العدم لا إبداع شيء من مادة موجودة على مثال جديد، ولذلك يختلف عن النشوء والاستحالة.

لأن الأول: يدل على نمو موجود وتقدمه.

والثانى: يدل على تحول موجود من حال إلى حال، وذلك على وفق طبيعة الناشئ أو المستحيل، وبموجب نواميس مقررة.

والمراد بالخليقة ما خلقه الله[٢].

---

(١) فيكتور هيكو: تاريخ الخلاص ص٥.
(٢) علم اللاهوت النظامى ص٤٢٧.

يقول القس/ حبيب سعيد: قد يكون معنى الخليقة كل المخلوقات[١] أو فعل الخلق ذاته[٢]، [٣]

وتنقسم قصة الخليقة إلى جزءين كل جزء يكمل الآخر.

فالجزء الأول يشتمل على خلق العالم كله من حيوان ونبات وجماد وغيرهم عدا الإنسان، والجزء الثانى يشتمل على خلق الإنسان وإعداده.

أما بالنسبة لخلق العالم: فإننا نجده فى سفر التكوين بروايتين.

يقول موريس بوكاى (يلاحظ الأب ديفو أن سفر التكوين يبدأ بروايتين عن الخلق كل منهما موضوعة بجانب الأخرى[٤].

وتبين الرواية الأولى أن الله خلق السموات والأرض، ثم خلق النباتات، وخلق الشمس والقمر والكواكب والنجوم، ثم خلق الطيور، فالحيوانات، وأخيرًا خلق الله الإنسان الذى هو رأس الخليقة.

وفى الرواية الثانية للخليقة نجد أنفسنا وكأننا أمام قصة أخرى رويت فى كتاب آخر، حيث إنها تبدأ بخلق الإنسان بعد خلق السموات والأرض، ثم خلق النباتات، فالحيوانات. تقول الرواية كما جاءت فى الإصحاح الثانى من سفر التكوين:

يوم عمل الرب الإله الأرض والسموات كل شجر البرية لم يكن بعد فى الأرض، وكل عشب البرية لم ينبت بعد، لأن الرب الإله لم يكن قد أمطر على الأرض، ولا كان إنسان ليعمل الأرض، ثم كان ضباب يطلع من الأرض ويسقى كل وجه الأرض، وجبل الرب الإله آدم..... وأنبت الرب الإله من الأرض من كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل..... وجبل الرب الإله من الأرض كل الحيوانات البرية وكل طيور السماء فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها[٥].

---

(١) رومية ٨: ١٩ (لأن انتظار الخليقة يتوقع استعلان أبناء الله) رومية ٨ : ١٩.
(٢) قاموس الكتاب المقدس ص٣٤٥.
(٣) (ولكن من بدء الخليقة ذكرًا أو أنثى خلقهما الله) مرقس ٦ : ١٠ .
(٤) موريس بوكاى: دراسة فى الكتب المقدسة ص٤٠.
(٥) تكوين ٢ : ٤ ـ ١٩.

يعلق جيمس فريزر على هاتين الروايتين قائلا: "الذين يقرءون الكتاب المقدس قراءة فاحصة لا يمكن أن يغيب عنهم التناقض الصارخ بين قصتى الإنسان اللتين تقعان فى كل من الإصحاحين: الأول والثانى فى سفر التكوين. ففى الإصحاح الأول نقرأ كيف أن الله خلق فى اليوم الخامس من بدء الخليقة السمك والطيور بل كل الكائنات التى تعيش فى الماء والهواء، وكيف أنه خلق فى اليوم السادس كل صنوف الحيوان التى تعيش على وجه الأرض، وأخيرًا خلق الإنسان الذكر والانثى كليهما على صورته.

ثم يذكر أنه من هذه القصة نستنتج أن الله خلق صنوف الحيوان الدنيا أول الأمر ثم أعقبها بخلق الإنسان، وأن الإنسان قد انقسم إلى ذكر وأنثى ثم خلقهما فى آن واحد معا وأن كلا منهما كان يعكس بنفس الدرجة عظمة أصلهما الإلهى، هذا ما نقرؤه فى الإصحاح الأول من سفر التكوين.

فإذا نحن انتقلنا إلى الإصحاح الثانى انتابتنا الحيرة على نحو ما عندما نفاجأ برواية تختلف تمامًا عن هذه الرواية الخطيرة، بل إنها لتتناقض معها كل التناقض إذ نفاجأ فيها بما يثير فينا الدهشة وهو أن الله خلق الإنسان أولاً، ثم خلق صنوف الحيوان الدنيا من بعده أما المرأة فقد خلقها بعد فراغه من كل هذا وشكلها من ضلع انتزعه من الرجل أثناء نومه.

وواضح أن نظام خلق الكائنات من حيث قيمتها معكوس فى كلتا الحالتين[1].

ثم يقول "هذا التناقض البين بين القصتين يفسره ببساطة أن القصتين قد استمدهما الكاتب من مصدرين مختلفين مستقلين أصلاً ثم جمع بينهما فى كتاب واحد ونقلهما معا دون أن يجهد نفسه فى أن يخفف من حدة التناقض فيهما أو يوائم بينهما، فقصة الخلق فى الإصحاح الأول مستمدة مما يسمونه بالمصدر الكهنوتى الذى ألفه كتاب كهنوتيون فى أثناء السبى البابلى أو بعده.

---

(١) جيمس فريزر: الفلكور فى العهد القديم (التوراة) ترجمة د/ نبيلة إبراهيم. الجزء الأول ص٧٩، ٨٠ بتصرف شديد.

وأما قصة الخلق فى الإصحاح الثانى فمستمدة مما يسمى بالمصدر اليهودى الذى ألف قبل المصدر الكهنوتى بمئات السنين أى أنه ألف ـ فيما يبدو ـ فى القرن التاسع أو الثامن قبل الميلاد. والاختلاف بين بين وجهات النظر الدينية لدى كل من الكاتبين"[١]

يقول موريس بوكاى عن هذه الرواية الثانية :

ولنذكر بأن هذه الرواية ترجع إلى تاريخ أكثر قدمًا من الأولى بحوالى ثلاثة قرون، هى رواية قصيرة جدًا ولكنها أكثر إفاضة فيما يخص خلق الإنسان وجنة الأرض مما يخص خلق الأرض والسماء الذى تذكره بإيجاز شديد[٢]. ويقول :

"تلك هى الرواية اليهوية[٣] الموجودة فى نصوص كتب العهد القديم التى نملكها حاليًا، هذه الرواية التى أضيفت إليها فيما بعد الرواية الكهنوتية، هل كانت على هذا القدر من القصر؟

لا يستطيع أحد أن يقول ما إذا كان النص اليهودى قد قطع عبر الأزمنة ولا يستطيع أحد أن يقول ما إذا كانت السطور القليلة التى فى حوزتنا تمثل فعلاً كل ما كان يمكن أن يحتوى عليه أقدم نص للتوراة عن الخلق"[٤].

وعلى كل حال فإن قصة الخلق فى روايتى سفر التكوين ـ بجانب ما فيها من تناقض واضح ـ تشتمل على كثير من الأخطاء العلمية.

فالرواية الأولى على سبيل المثال تذكر أن الله خلق الليل والنهار فى اليوم الأول[٥]، وظهر الليل والنهار بالفعل على الأرض. ثم ذكرت بعد ذلك أن الله خلق الشمس فى اليوم الرابع[٦].

---

(١) المصدر السابق ص٨١.
(٢) دراسة فى الكتب المقدسة ص٤٥.
(٣) أى المنسوبة إلى "يهوا" أى المنسوبة للرب.
(٤) المصدر السابق ص٤٦.
(٥) تكوين ١ : ٢ـ٥.
(٦) تكوين ١ : ١٤ـ١٩.

والثابت علميا أن تكوّن الليل والنهار إنما يكون نتيجة دوران الأرض حول نفسها أمام الشمس، مع أن الشمس التى تحجبها الأرض فى دورانها وينتج عنه ليل ونهار لم تكن قد خلقت بعد طبقا لهذه الرواية، فكيف يتكون الليل والنهار قبل وجود السبب وهو الشمس ؟[١].

وفى الرواية الثانية على سبيل المثال أيضا يأتى ذكر خلق النبات مع خلق الإنسان أو بعده [٢] وهذا من الناحية العلمية خطأ، فالعلم يثبت أن الإنسان ظهر على الأرض حين كانت الأرض منذ زمن بعيد حاملة للنباتات وإن كنا لا نستطيع أن نقول كم من مئات ملايين السنين قد مرت بين الحدثين[٣].

إن التناقض والأخطاء العلمية الواردة فى قصة الخلق فى العهد القديم تعنى أنها بهذه الصورة ليست وحيا من عند الله ؛ إذ لو كانت من عند الله لما وقع فيها مثل هذه الأغلاط والأخطاء.

إننا نعتقد ونؤمن بأن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى موسى عليه السلام التوراة، وفيها قصة الخلق الصحيحة الموحى بها من عند الله، لكن اليهود ضاعت منهم تلك التوراة الصحيحة فى فترة السبى البابلى، فكتبوا توارتهم بأيديهم وأدخلوا فيها ما ليس منها ونسبوها إلى الله ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (سورة البقرة الآية ٧٩).

(خلق الله للإنسان آدم)

إن الله خلق السموات والأرض فى ستة أيام، وإن خلق الإنسان كما فى الإصحاح الأول من سفر التكوين داخل فيما خلق الله فى اليوم السادس[٤].

---

(١) راجع: مصطفى عبد اللطيف درويش: المتناقضات العلمية فى أسفار العهد القديم والجديد ص١٢، دراسة فى الكتب المقدسة ص٤١.

(٢) تكوين ٢ : ٨ ، ٩.

(٣) راجع: دراسة فى الكتب المقدسة ص٤٦.

(٤) راجع تكوين ١ : ٢٤ ـ ٣١.

ثم إن هذا الإنسان هو آدم كما فى الإصحاح الثانى من السفر نفسه (وجبل الرب الإله آدم)[١].

يقول كلايد تارنر: "الإنسان هو الاسم الذى أطلقه الله على أسمى خلائقه وهى بالعبرية (آدم) وهذه الكلمة ليست اسمًا علمًا كقايين أو هابيل[٢] ولو أنها استعملت أحيانًا كذلك كما فى سفر أخبار الأيام الأول[٣].

وآدم كلمة عبرية ترجمت بكلمة إنسان.

وكلمة "آدم" لا تعنى "الرجل" أى للتمييز بين الذكر والانثى، فهناك كلمة أخرى للدلالة على هذا المعنى. أما "آدم" فإنها تعنى كلا الجنسين الرجل والمرأة أى أنها أطلقت لتعنى الجنس البشرى، وهذا واضح فى عبارة سفر التكوين[٤] وقد ترددت الحقيقة ذاتها فى سفر التكوين (يوم خلق الله الإنسان على شبه الله عمله ذكرًا و أنثى خلقه وباركه ودعا اسمه آدم يوم خلق)[٥].

أما المعنى الجذرى للكلمة فهى "التراب الأحمر" وقد يدل هذا على حقيقة خلقه من تراب الأرض"[٦].

ويتضح من هذا القول أمران:ـ

الأول: أن "آدم" ليس علمًا على المخلوق الأول الذى خلقه الله الذى هو رأس الجنس البشرى.

الثانى: أن "آدم" لا تعنى التمييز بين الذكر والأنثى.

أما الأول: فإذا لم يكن (آدم) هو اسم هذا المخلوق فما هو اسمه؟

---

(١) تكوين ٢: ٧.
(٢) تكوين ٤: ١.
(٣) أخبار الأيام الأول ١: ١.
(٤) تكوين ١: ٢٧،
(٥) تكوين ٥: ١ ـ ٢.
(٦) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص٤٦.

وإذا قال إن اسمه هو "إنسان" قلنا: إن "إنسانا" ليس علمًا على شخص بعينه إنما يطلق على كل من الرجل والمرأة وإذا لم يكن إنسان هو اسم هذا المخلوق فما هو؟ ثم إن الكاتب نفسه يقول إنها استعملت علمًا فى الكتاب المقدس فى سفر أخبار الأيام الأول: أليس هذا يعتبر تناقضًا؟

ولا مبالغة فى القول إذا قلنا ـ إن المؤلف قال هذا القول ليخدم فكرة معينة وأصلية فى العقيدة المسيحية والتى تبين أنه إذا كان المخلوق الأول أطلق عليه آدم ـ للدلالة على الجنس البشرى كله فإن المسيح هو "آدم الثانى" كما أعلن ذلك بولس فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس "وصار آدم الإنسان الأول نفسًا حية وآدم الأخير روحًا محييا"(١).

وكذلك فى رسالته إلى أهل رومية(٢).

يقول د/ حنا جرجس الخضرى (ولقد أعطى بولس ألقابًا أخرى للمسيح مثل آدم الأخير والإنسان الثانى)(٣).

وهذه الفكرة يوضحها د/ فهيم عزيز فى تحليله لرسالة بولس إلى أهل كورنثوس فيقول:

"فالإنسان الواحد هو فى آدم الخليقة الجديدة إنسان مائت ولكنه فى المسيح بروح المحيى والخليقة الجديدة إنسان حى"(٤).

أما الثانى: وهو القول بأن (آدم) لا يعنى تمييزًا بين ذكر وأنثى فالمقصود من هذا القول أيضًا أن يخدم الفكرة المسيحية التى سبق أن ذكرناها لأن "آدم الأول به مات الجنس البشرى كله ذكرا وأنثى".

وآدم "الثانى" به حياة الخليقة كلها ذكر وأنثى.

ونلمس فى الاسم "آدم" أنه يطلق على الذكور دون الإناث.

---

(١) ١ـ كورنثوس ١٥: ٤٥.

(٢) رومية ٥: ١٢ ـ ٢١.

(٣) د/ القس حنا جرجس الخضرى: تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص٣٨٨.

(٤) د/ القس / فهيم عزيز: المدخل إلى العهد الجديد ص٤٤٣.

وإذا أطلق هذا الاسم علم أن المقصود به ذكر فهو لا شك فيه تمييز بينه وبين اسم "حواء" التى هى أنثى.

أما معنى اللفظ (آدم) فهو ـ كما يقول القس منسى يوحنا ـ معناه أحمر، وقد قال يوسيفوس إنه سمى بذلك؛ لأنه صنع من التراب الأحمر، وقال غيره لأن جلده كان أحمر أى حسنا[١].

ويقول آخر: إن معنى "آدم" الأحمر أو الترابى؛ لأنه جبل من أديم الأرض من التراب الأحمر لكى يكون متواضعًا ومتذكرًا للموت على الدوام، لأنه خلق من تراب وإلى التراب يعود[٢].

(طبيعة آدم الجسدية)

يقول كلايد تارنر:ـ

إن للإنسان طبيعة مزدوجة جسدية وروحية، أى أن للإنسان جسدًا ونفسًا، ويقول بعض علماء الكتاب المقدس/ بأن للإنسان طبيعة ثلاثية تتألف من جسد ونفس وروح ففى رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكى (وإله السلام نفسه يقدسكم بالتمام ولتحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملاً بلا لوم عند مجئ ربنا يسوع)[٣].

وفى الرسالة إلى العبرانيين "إلى معرفة النفس والروح"[٤].

وبناء على هذا التفسير فإن كلمة "النفس" تشير إلى الإنسان ككائن حى أو كائن ذى وعى ذاتى، بينما تدل "الروح" على أنه كائن ذو إدراك بوجود الله.

وعلى أية حال فإن كلمتى "روح" و"نفس" غير مميزتين بوضوح فى الكتاب المقدس ويظهر أحيانًا أنهما استعملتا مترادفين.

---

(١) القس/ منسى يوحنا: حياة آدم ص٧.
(٢) د/ القس/ إبراهيم سعيد ونخبة من علماء المسيحية: الدين المسيحى ص٢٧.
(٣) ١ ـ تسالونيكى ٥: ٢٣.
(٤) عبرانيين ٤: ١٢.

والدكتور ١. هـ. سترونغ يقول: إن طبيعة الإنسان ليست بيتًا مؤلفًا من ثلاث طبقات بل بيت من طبقتين تحوى الطبقة العلوية منه نوافذ تطل على ناحيتين نحو الأرض ونحو السماء.

إن الوصف الوارد فى سفر التكوين يظهر لنا أن للإنسان طبيعة مزدوجة الجسد والنفس يتحدان فيؤلفان شخصية واحدة[١].

وأن الاسم "آدم" ومعناه السابق يدل على طبيعة آدم الجسدية فهى من تراب كما جاء فى سفر التكوين "وجبل الرب الإله آدم ترابًا من الأرض"[٢].

ويقول "علينا ألا نفكر بأن الله جمع كومة من التراب ثم مثل بها شكل إنسان ثم نفخ فيها الحياة.

ففى وصف هذا الأمر يقول دلتش: "إن صنع الإنسان من التراب ونفخ نسمة الحياة فيه يجب ألا يفهمها فهمًا ميكانيكيًا كأنما الله بنى أولاً شكلاً آدميًا من التراب ثم نفخ نسمة الحياة فى هذه الكتلة الترابية التى صنعها على هيئة الإنسان جاعلاً منها كائنًا حيًا: : : : بقدرته الإلهية الغلابة قام الإنسان من التراب وفى ذات اللحظة التى بها أصبح التراب بقوة الله الخلاقة الغلابة على شكل إنسان منح نسمة الحياة الإلهية وخلق كائنًا حيًا..... وهكذا لا يمكننا القول إن الجسد خلق قبل الروح"[٣].

وهذا القول يكاد يكون مخالفًا لظاهر فقرات سفر التكوين التى تبين أن آدم جبل ترابًا من الأرض، ونفخ الرب فى أنفه، أى أنه كان مكونًا جسديًا حتى إن أعضاءه كانت قد تكونت فيه، فنفخ الرب فى أنفه التى هى أحد أعضاء جسم الإنسان قصار آدم بعد النفخ فى أنفه نفسًا حية (ونفخ فى أنفه نسمة حياة فصار آدم نفسًا حية)[٤].

---

(١) كلايرتارنر: هذه عقائدنا ص٤٩ ـ ٥٠.
(٢) تكوين ٢ : ٧.
(٣) المصدر السابق ص٤٨.
(٤) تكوين ٢ : ٧.

وهذه الفقرة لا تحتاج إلى تعليق لأنها واضحة المخالفة لقول المؤلف المسيحى السابق وإن كان الواضح من الفقرة التى أوردناها من سفر التكوين أن آدم خلق جسديًا مرة واحدة بدون أطوار من تراب فطين فصلصال فحمأ مسنون.

أما اختصاص الأنف بالنفخ فإن الأستاذ/ عصام الدين حفنى يبين لنا أن البدائى كان يظن أن موطن الروح هو الرأس أو الأنف. وأن يكون مخرجها عند الموت من الأنف والفم فى أثناء التنفس. وأن يكون مدخلها منهما إلى الجسم لذلك كانت العرب تقول: مات فلان "حتف أنفه" أو "حتف فيه" أى مات على فراشه من غير قتل ولا ضرب. وأن القول بأن مدخل الروح هو الأنف أو الفم ـ كما يقول الباحث السابق ـ شبيه بما حدث للرجل الطينى (ونفخ فى أنفه نسمة حياة فصار آدم نفسًا حية)، وبما حدث فى الطوفان "كل ما فى أنفه نسمة روح حياة من كل ما فى اليابسة مات"[١]، [٢].

أما حواء التى هى أم كل حى فإن طبيعتها الجسدية ـ كما يذكر المسيحيون ـ أنها جزء من آدم وضلع من أضلاعه يقول سفر التكوين: "فأوقع الرب الإله سباتا على آدم فنام فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما وبنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم فقال آدم هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى هذه تدعى امرأة لأنها من امرئ أخذت"[٣].

(طبيعة آدم الروحية)

لقد انفرد الإنسان عن باقى المخلوقات بأن خلقه الله على صورته "وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى الأرض وعلى جميع الدبابات التى تدب على الأرض فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه ذكرًا و أنثى خلقهم"[٤].

---

(١) تكوين ٧: ١٢.

(٢) عصام الدين حفنى ناصف: اليهودية فى العقيدة والتاريخ ص١١، ١٢.

(٣) تكوين ٧: ٢٢، ٢٣.

(٤) تكوين ١: ٢٦، ٢٧.

يقول المسيحيون:

وهنا نلاحظ:

١ ـ أن كلمة "نعمل" بالجمع تشير إلى الأقانيم الثلاثة.

٢ ـ أن عبارة "على صورتنا كشبهنا" لا يقصد بها الصورة الجسدية لأن الله روح، بل الصورة الروحية والنفسية، فللإنسان روح خالدة لا تفنى، وعقل يدرك الخير والشر، وشعور حسى، وإرادة حرة تقدر على اختيار البر والقداسة، وفى هذا يمتاز الإنسان على سائر الخلائق[١].

أما القول بأن "نعمل" على صيغة الجمع تشير إلى الأقانيم الثلاثة فإن ذلك على أساس أن الأقانيم الثلاثة مشتركة فى عملية الخلق، والاستدلال بلفظ "نعمل" على أساس أنها تدل على الجمع.

ونحن نقول إنها لا تدل على الجمع إذ المعروف لغويا أن النون فى الفعل المضارع فى مثل هذا الموضع للمتكلم العظيم[٢].

إذ لا دلالة على الجمع هنا، لأن الفقرات السابقة على هذا القول، والفقرات التى جاءت بعد هذا القول التى تشير إلى عملية الخلقية، تدل بوضوح على أن الخلق من فعل الله وحده.

(خلق الإنسان[٣] على صورة الله وشبهه)

اختلفت الكنائس حول قول الله ـ حسب رواية سفر التكوين ـ (نعمل الإنسان كصورتنا وشبهنا)

---

(١) د/ القس/ إبراهيم سعيد ونخبه من اللاهوتيين: الدين المسيحى للمرحلة الثانوية سنة ١٩٦١ ص٢٧.

(٢) يقول العلامة علاء الدين الباجى: كيف يحسن أن يقال: وقال الله لنصنع إنسانًا كصورتنا وشبهنا فإن قوله "لنصنع صيغه أمر متوجهة نحو الآمر المتكلم لأن النون فى الفعل المضارع فى مثل هذا الموضع للمتكلم العظيم" (على التوراة ص٢٥).

(٣) يقول اسبيروجبور: إن "آباء الكنيسة لا يفرقون بين الرجل والمرأة فى الخلق على صورة الله ومثاله ويعتبرون الرجل أقنومًا والمرأة أقنومًا ويكرمون طبيعتهما بالتساوى ففضائلهما متساوية ومكافأتهما متعادلة وكذلك دينونتهما، وليست المرأة بضعيفة إذ أن الضعف من فعل الجسد" سر التدبير الإلهى (التجسد) ص٧٨.

هل المراد بهما لفظ واحد فمعناها واحد أما أنهما لفظان لكل منهما معنى خاصًا به؟ فالكنيسة الإنجيلية[١] تقول بأن المراد بلفظتى صورتنا وشبهنا هو واحد، والكنيسة البابوية[٢] تقول لا بل المراد باللفظة الواحدة غير المراد بالأخرى، وأن المراد بصورة الله كون الإنسان عاقلاً مختارًا. وبشبه الله ما ناله من موهبة القداسة الأصلية.

وبنت على هذا التمييز تعليمها أن البر الأصلى وهب للإنسان بعد خلقه على صورة الله.

فالكنيسة الإنجيلية تعتقد أن صورة الله التى خلق عليها الإنسان أصلاً تشمل البر والقداسة.

---

(١) أى الكنيسة البروتستانية وتسمى بالإنجيلية، لأنها نادت بأن الكتاب المقدس هو القانون الوحيد المعصوم الموصى به من عند الله وأنه يحتوى على الإعلان النهائى فعلاً دون توقع لوحى آخر أو إعلان جديد، ولأجل ذلك فإنها رفضت أية محاولة لأية إضافة على هذا الكتاب (القس صموئيل مشرفى: المسيحية بين الكتاب المقدس والتقليد ص٢٦، وقصد بهذه التسمية إلى أن أتباع هذه الكنيسة يتبعون الإنجيل دون غيره ويفهمونه بأنفسهم ولا يخضعون لفهم سواهم له، ولا تختص بفهمه طائفة دون أخرى، فلكل قادر الحق فى فهمه، وجميعهم متساوون ومسئولون أمام هذا الكتاب، وبهذا الاتجاه يعارضون الكنائس الأخرى التى تعتبر فهم الإنجيل وقفًا على رجال الكنيسة والتى لا تعتبر الإنجيل هو المصدر الوحيد للديانة المسيحية بل تضيف إليه الإلهام والتعاليم غير المكتوبة التى يتناقلها البابوات واحدًا عن الآخر. د/ أحمد شلبى: المسيحية ص٢٤٠. ولقد ظهرت "البروتستانتينية" عندما نمت سلطة الإكليروس فى تربة الجهل، ووصلت إلى حد ظهور صكوك الغفران وبيعها، الأمر الذى جعل المؤرخين يطلقون وصف "العصور المظلمة" على العصور الوسطى التى دخلتها الكنيسة وتدهورت حالتها فيها، كما يصفون قيام "لوثر" مع مجموعة رفاقه من المصلحين ببدء "عصر الإصلاح" ويحمل الاسم الظاهرى للبروتستانتينية معنى (الاحتجاج) ولكن عند تحليل اللفظة نفسها نجده يعنى الشهادة لأجل.

القس صموئيل مشرفى: "المسيحية بين الكتاب المقدس والتقليد ص٨.

(٢) والكنيسة البابوية هى الكنيسة الكاثوليكية وتسمى بالباباوية، لأنها تتبع النظام البابوى ويرأسه البابا والكرادلة وهم أصحاب الحق الأول والأخير فى تنظيم الكنيسة، إذ يتكون منهم المجمع الكنائسى الذى يصدر إرادات بابوية سامية هى إرادات إلهية - حسب اعتقادهم - لأن البابا هو تلميذ المسيح الأكبر على الأرض فهو مثل الله ومن هنا كانت إرادته لا تقبل الجدل والمناقشة (محمد فؤاد الهاشمى: الأديان فى كفة الميزان ص٤٤.

وتسمى بالكاثوليكية - أى العامة - ، لأنها تدعى أم الكنائس ومعلمتها، ولأنها وحدها التى تنشر المسيحية فى العالم. وسميت بالكنيسة الغربية أو اللاتينية لإمتداد نفوذها إلى الغرب اللاتينى خاصة إلى بلاد إيطاليا وبلجيكا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال وإن كان لها أتباع فيما عدا ذلك من البلدان، وسميت الكنيسة البطرسية أو الرسولية لأن أتباعها يدعون أن مؤسسها الأول هو بطرس الرسول كبير الحواريين ورئيسهم والبابوات فى روما خلفاؤه. المسيحية د/ أحمد شلبى ص٢٣٧.

والكنيسة البابوية تنكر ذلك وتقول بأن البر والقداسة وشح الله بهما الإنسان بعد خلقه إياه على صورته تعالى[١].

أما الكنيسة الأرثوذكسية[٢] فإنها لا خلاف بينها وبين الكنيسة الكاثوليكية فى المعنى الخاص بصورة الله وشبهه.

ففى كتاب الخلاصة الشهية فى أخص العقائد الأرثوذكسية يقول المؤلف: بعد أن خلق الله العالم أجمع خلق الإنسان أخيرًا على صورته ومثاله وأعطاه نفسًا غير جسمانية وغير مائتة وجعله شريكًا فى صلاحه الإلهى. وأما صورة الله فتوجد فى ذات طبيعة نفسنا وهى تقوم بالنطق والحرية وبالقوى الروحية الموجودة فى الله تعالى نفسه غير أن الإنسان بحسب كونه محدودًا توجد فيه هذه القوى على قدر محدود، فكما أن الله مثلاً هو روح عاقل مطلقًا وبنوع غير محدود كذلك قد زين الإنسان بعقل محدود على نسبة حاله، وكما أن الله طبعًا يختار الخير ويمقت الشر كذلك قد غرس فى الإنسان نزعة غريزية شديدة إلى الرغبة فى الخير ومقت الشر.

كما أن المولى سبحانه هو الولى الأعظم أو السيد الأعلى لجميع البرايا كذلك قد جعل الإنسان أيضًا سيدًا على كل ما فى الأرض، وقس على ذلك باقى القوى الروحية على أنه لما كان الله عز وجل غير جسمانى لم يكن فى الإمكان أن يشترك

---

(١) علم اللاهوت النظامى ص١٦١.

(٢) كانت الكنيسة القديمة إلى أوائل القرن الرابع الميلادى كنيسة واحدة تحمل اسم كنيسة الله ولا تحمل اسما آخر سواه، ولكن بعد أن أضحت المسيحية دين الدولة الرسمى فى عهد قسطنطين بعد عصر الاضطهاد بدأ التحالف بينها وبين الدولة، وحين ظهرت الخلافات العقائدية وخشية أن تؤثر هذه الخلافات فى وحدة الدولة قام الإمبراطور قسطنطين وخلفاؤه من بعده بدعوة أساقفة الكنيسة إلى مجامع مسكونية لمناقشة الأمور التى كانت موضع الخلاف، ظهرت حينئذ لفظة الأرثوذكسية وهى تعنى "استقامة الرأى" للتعبير عن كل من وقف عند حدود ما أقرته تلك المجامع العامة وتميزهم عن أتباع الهراطقة الخارجين على قوانين إيمانها، وظهرت الكاثوليكية فيما بعد وهى لفظة تعنى (الجامعة) بسبب الخلاف الذى تفاقم حول عبارات جدلية فى العقيدة أثناء بحثها فى المجامع المسكونية، وقد بدأ هذا الخلاف بالأكثر فى مجمع خليقدونية المنعقد فى سنة ٤٥١ م بالجدل الذى ثار حول موضوع "الطبيعتين والمشيئتين فى السيد المسيح" ١. هـ القس/ صموئيل مشرقى: المسيحية بين الكتاب المقدس والتقليد ص٧ ولعل القس متعاطف جدًا حين قال (حول عبارات جدلية فى العقيدة) إنما هى اختلافات كبيرة بين الطبيعة الواحد والطبيعتين والمشيئة الواحدة والمشيئتين.

جسدنا فى صورته، وتشمل صورة الله عموم الجنسين[١] أى الرجال والنساء كما يتضح ذلك من الكتاب المقدس[٢].

وأما مثال الله فيعبر به بحسب تعليم آباء الكنيسة عن تقوية وترقية القوى الروحية التى أخذها من الله وذلك يصير بواسطة الفضيلة والقداسة[٣]. فالكاثوليك والأرثوذكس يتفقون فى أن لكل من (صورة الله وشبهه) معنى خاصًا به. أما الكنيسة الإنجيلية فتعتبر الصورة والشبه بمعنى واحد. يقول القس إلياس مقار: "وإذا كان الإنسان قد انفرد فى الخليقة عن سائر المخلوقات فإنه قد اقترب إلى الخالق وصنع على صورته وشبهه والسؤال القائم ولا شك هو: كيف يمكن أن يكون الإنسان على صورة الله وشبهه، وإذا كان من المتفق عليه أن الصورة والشبه يفيدان معنى واحدًا، وإذا كانت كلمة (الشبه) تعتبر تأكيدًا وتخصيصًا للصورة؛ إذ تعبر عن التماثل القوى الكائن بين الأصل والصورة، إلا أن الخلاف قام على نوع التماثل القائم بين الإنسان والله، وقد اتفق الجميع على استبعاد التماثل فى الجانب المادى إذ أن الله منزه عن اللحم والدم وهذا أمر بديهى ولا شك لا يمكن أن يثور معه نزاع"[٤].

ثم يقول:

والرأى المسلم به أن التماثل قائم أولاً بين الإنسان كشخص وبين الله كشخص. وأن الإنسان له مقومات الشخصية الثلاثية: الفكر، الشعور، الإرادة. مع هذا الفارق الحاسم أن الله له هذه المقومات فى كمالها اللانهائى. بينما يحوزها الإنسان فى المعنى الجزئى المحدود.

ويكفى الإنسان مجدًا أن يكون على صورة الله وشبهه فى هذه كلها مهما يكن الفرق بينهما كالفرق بين شعاعة النور والشمس الكاملة[٥].

---

(١) يشير بذلك إلى ما جاء فى تكوين ١ : ٢٧ (صنع الله الإنسان على صورة الله ذكرا وأنثى).

(٢) أفلاطون مطران موسكو: الخلاصة الشهية فى آخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية ترجمة الخورى يوحنا خربون ص٣٦، ٣٧.

(٣) المرجع السابق ص٣٧.

(٤) القس إلياس مقار: قضايا المسيحية الكبرى ص٣٥٩.

(٥) المرجع السابق ص٣٦٤، رجال الكتاب المقدس للمؤلف السابق ص٩، ١٠.

ويقول كلايد تارنر: "لا يظهرأن هناك فرقًا واضحًا بين "صورة" و"مثال" فالإنسان مخلوق على شبه الله. فكيف صنع الإنسان على شبه أو مثال الله؟ هذا بالتأكيد لا يعنى أنها مشابهة جسدية لأن الله روح بلا شكل جسدى فالمشابهة إذن فى طبيعته الروحية"[١].

وقبل أن نشرح المعنى العام لقولهم إن الإنسان مخلوق على صورة[٢] الله لنا على ما سبق من أقوال بعض التعليقات.

لا شك أن الإنسان أفضل مخلوقات الله، ولقد ميزه الله سبحانه وتعالى عن باقى المخلوقات بمميزات لا تتوافر فى المخلوقات الأخرى، وذلك يرجع إلى أن الإنسان هو خليفة الله فى الأرض، وهو الذى حمل لواء التكليف ومهما كانت قيمة وقدرة هذه المميزات فإنها لا ترفعه إلى أن يكون إلها أو كإله فالله سبحانه منزه أن يكون له صورة أو شبه.

يقول العلامة: الباجى: كيف يحسن أن يقال "كصورتنا وشبهنا" مع أن الله سبحانه وتعالى منزه عن الصورة بل هو خالق الصور كلها، والخالق مغاير للمخلوق ومستغن عنه؟ فإن قيل: المراد خلق الإنسان له قدرة على الخير والشر وإرادة.

قلت: هذا إن سلم فلفظ الصورة لا يدل عليه، لأن لفظ الصورة مدلوله الهيئة والشكل كما يقال فلان صورته حسنة، والصورة فى الحائط مليحة، واللفظ الدال على هذا أن يقال: صفاته صفاتنا، فلم عدل عن "اللفظ الحسن الدال على المعنى المراد من غير إيهام للباطل إلى ما يوهمه"[٣].

على أنه إن سلم بأن الإنسان مخلوق على صورة الله على أساس (إن صورة الله عز وجل هى صورة كاملة من الصفات الحسنى فى مثلها الأعلى رحمة وكرم وعلم

---

(١) هذه عقائدنا ص٥٠.

(٢) ونحب أن ننبه أن الحديث النبوى الذى رواه الإمام مسلم (أن الله خلق آدم على صورته) يختلف كل الاختلاف عن اعتقاد النصارى ذلك أنهم يعتقدون أن آدم على صورة الله ولكن الحديث يعنى أن الله خلق آدم على صورته (والضمير يعود على آدم لا على الله تعالى).

(٣) الباجى: على التوراة ص٢٥ ـ ٢٦.

وعمل ومشيئة ومجد وعظمة وفتح وإبداع وإنشاء وكل صفة من هذه الصفات مطلوبة من الإنسان على غاية ما يستطيع لا يرتقى ذلك المرتقى الذى لا يدرك بالإبصار ولا بالعقول ولكنه يرتقى قادرًا على الارتقاء من التراب إلى السماء أوجا فوق أوج فى طريق عسر طويل هو طريق النهوض بأمانة التكاليف. مخلوق تهبط به أمانة التكليف إلى أسفل سافلين وترتفع إلى أعلى عليين[١].

إنه إن سلم ذلك فإن كلمة (كشبهنا) تنقض هذا المعنى لذلك يقول ابن حزم :ـ

"لو لم يقل إلا" كصورتنا" لكان له وجه حسن ومعنى صحيح وهو أن نضيف الصورة إلى الله تعالى إضافة الملك والخلق، كما تقول هذا عمل الله وتقول للقرد وللقبيح والحسن هذه صورة الله، أى تصوير الله والصفة التى انفرد بملكها وخلقها، لكن قوله (كشبهنا) منع التأويلات وسد المخارج وقطع السبل وأوجب شبه آدم لله عز وجل ولابد ضرورة، وهذا يعلم بطلانه ببديهة العقل، إذ الشبه والمثل معناهما واحد، وحاشا لله أن يكون له مثل أو شبه"[٢].

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

أما إذا كان المراد بصورة الله هو المسيح كما يقول المسيحيون فغير مسلم على المعنى الذى أراده المسيحيون.

يقول المسيحيون "إن المسيح هو صورة الله الحقيقية"[٣].

وبولس يخبرنا أن آدم الأول هو "مثال الآتى"[٤] لذلك يسمى المسيح "آدم الأخير"[٥] كما أنه أخبر فى رسالته إلى أهل أفسس[٦] أن المرأة رمز الكنيسة التى سيحضرها المسيح لنفسه بلا عيب ولا لوم، فآدم إذن ـ كما يقولون ـ رمز المسيح صورة الله والمرأة رمز الكنيسة وهى على صورة الله[٧].

---

(١) العقاد: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص٩٤.

(٢) ابن حزم: الفصل فى الملل والنحل جـ١ ص١١٧، ١١٨.

(٣) ف. وجرنت: سفر التكوين فى ضوء العهد الجديد ص٣١.

(٤) رومية ٥: ١٤.

(٥) ١ ـ كورنثوس ١٥: ٤٥.

(٦) أفسس ٥: ٢٥ ـ ٣٢.

(٧) المصدر السابق ص٤٣.

ويرد على ذلك الباجى فيقول: "ولئن قيل: المراد صورته سبحانه التى يظهر فيها عندما يحل فى بدن عيسى ـ عليه السلام ـ كما يزعمون، أى صورة عيسى، قلت: هذا ممنوع، وإن سلم على معتقدهم لكان حاصله: قدرته سبحانه على حلوله فى زمن مستقبل فى صورة من الصور، وقدرته سبحانه على هذا التقدير ليست مخصوصة بحلوله فى بدن عيسى عليه السلام ـ وحده، بل هو سبحانه قادر على حلوله فى كل صورة، وظهوره فى كل مظهر، وأن كنا ننزهه عن ذلك.

فإن كانت قدرته على حلوله فى صورة عيسى ـ عليه السلام ـ موجبة لجعل صورة عيسى صورة له سبحانه لزم جعل جميع الصور صورة له سبحانه لعموم القدرة ـ كما بينا ـ فيفوتهم المعنى المقصود.

وأيضًا: فإنه على مقتضى معتقدهم لا يمكن أن يقال: إن صورة عيسى صورة متأصلة لله سبحانه حتى يتفرع على ذلك: أن يخلق آدم على صورتها[1] فلا اختصاص للمسيح بما ذكر على كل تقدير حق وباطل، بأى تفسير فسر قوله (سنخلق بشرًا على صورتنا وشبهنا) لم يخص ذلك المسيح[2].

"والقول بكون المسيح هو صورة الله يعنى أن المسيح هو غير الله سبحانه وتعالى لأن كون الشيء على صورة شيء لا يقتضى أنه هو، بل بالعكس يفيد أنه غيره، فمثلاً صورة الآلهة المعبودة من دون الله هى بالقطع ليست عين الإله المعبود، بناء على هذا المثال فإن القول بأن المسيح (هو صورة الله) يفيد بلا شك أنه غيره لاعينه"[3].

◆ ◆ ◆

أما استدلالهم بهذه الفقرة من سفر التكوين على الثالوث فى المسيحية بمعنى أن التماثل بين الله والإنسان من ناحية ثلاثية الأقانيم والإنسان فهو غير صحيح ويظهر ذلك من قول القس إلياس مقار السابق الذى يذكر فيه أن البعض فسر هذا التماثل بين الله والإنسان من ناحية أن الإنسان له نفس وروح وجسد وهى تشبه الثلاثة أقانيم: الآب، والابن، والروح القدس. والثلاثة تكون شخصًا واحدًا.

---

(١) الباجى: على التوراة ص٢٦.

(٢) ابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٢ ص٢٣١.

(٣) بحث للمستشار عزت الطهطاوى فى مجلة الوعى الإسلامى العدد ٢٢٤ شعبان سنة ١٤٠٣ ص٣٣.

ويبين أن الكثيرين أبوا أن يسلموا بهذا التشبيه، لقصوره شكلاً وموضوعًا عن تعيين التماثل بين الإنسان والله، إذ أن النفس والروح والجسد ليست فى ذات المساواة القائمة بين الآب والابن والروح القدس فى الجوهر الإلهى العظيم، كما أن العلاقة القائمة بينهما جميعًا تقوم على التدرج فالجسد أدنى الجميع وفى خدمة الجميع وفى خدمة الكل، والروح أعلاها مما يمتنع معه التشبيه من هذا القبيل...

يضاف إلى ذلك أن الكثيرين لا يسلمون على الإطلاق بأن الإنسان ثلاثى الطبيعة يقوم على ثلاثة عناصر هى النفس والروح والجسد، بل هو ثنائى يقوم على اثنين لا ثالث لهما هما الجسد والروح، وأنه إذا كان قد جاء فى الكتاب ألفاظ مختلفة عن النفس والروح فإن الاثنين يفيدان معنى واحد[١].

وكفانا المؤلف المسيحى بهذا ردًا على من يقول بأن التماثل قائم بين الله والإنسان على أساس أن الإنسان له نفس وروح وجسد ويجعل من هذا دليلاً على القول بالتثليث من العهد القديم.

ثم بعد ذلك نجد أن هذا القس يجعل التماثل الثلاثى بينهما من نوع آخر فيقول: الرأى المسلم به أن التماثل قائم أولاً بين الإنسان كشخص وبين الله كشخص، وأن الإنسان له مقومات الشخصية الثلاثية الفكر والشعور والإرادة"[٢].

وتعقيبنا على مثل هذا القول يتلخص فى:-

أولاً: جاء فى قاموس الكتاب المقدس الذى أسهم فى تأليفه سبع وعشرون باحثًا مسيحيًا متخصصًا - تحت لفظ تثليث (والكلمة نفسها "التثليث" أو "الثالوث" لم ترد فى الكتاب المقدس، ويظن أن أول من صاغها واخترعها واستعملها هو "ترتليان" فى القرن الثانى للميلاد، ثم ظهر سبيليوس ببدعته فى منتصف القرن الثالث وحاول أن يفسر العقيدة بالقول "إن التثليث ليس أمرًا حقيقيًا لكنه مجرد إعلان خارجى فهو حادث مؤقت وليس أبديا" ثم ظهرت بدعة "أريوس" الذى نادى بأن الآب وحده هو الأزلى بينما الابن والروح القدس مخلوقان متميزان عن سائر الخليقة، وأخيرًا ظهر

---

(١) القس إلياس مقار: قضايا المسيحية الكبرى ص٣٥٩ بتصرف شديد.
(٢) المصدر السابق ص٣٦٣.

اثناسيوس داحضًا هذه النظريات وواضعًا أساس العقيدة السليمة التى قبلها واعتمدها مجمع نيقية فى سنة ٣٢٥م[١].

وواضح من النص السابق أن لفظ "الثالوث" لم يرد فى الكتاب المقدس ولم يظهر هذا اللفظ إلا بعد عصر المسيح والحواريين، ويظهر أيضًا من النص: أن التثليث من اختراع أفراد واجتهادات فردية تمت الموافقة عليها فى مجمع نيقية الذى لم يسلم من النقد بينما رفضت الأفكار السائدة بتنزيه الله.

والسؤال الآن: كيف تكون عقيدة أساسية ثم لم تذكر فى كتابهم المقدس؟

كيف تكون عقيدة أساسية ثم لم يذكرها عيسى ولا الحواريون؟ ولا تكفى الإشارات ولا تغنى التلميحات لأنها من أسس الديانة. وكيف تؤسس ديانة على إشارات وتلميحات؟

على أن هذه الإشارات وتلك التلميحات لا تسلم من النقد العلمى من جهة أن هناك تصريحًا بالتوحيد الذى يناقض الإشارات إلى التثليث.

وهنا نقول: لماذا قبلت هذه العقيدة دون غيرها فى مجمع نيقية وليس لها دليل من الكتاب المقدس إلا الإشارات مع أن عقيدة الوحدانية نصوصها صريحة فى الكتاب المقدس.

فالله واحد ودلائل ذلك كثيرة منها على سبيل المثال: (اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد)[٢].

(الرب هو الإله ليس آخر سواه)[٣].

وقال داود عليه السلام "يا رب ليس مثلك ولا إله غيرك حسب كل ما سمعناه"[٤].

وقال إشعياء "أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض"[٥].

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص٢٣٢، ص٢٣٣.
(٢) تثنية ٦: ٤.
(٣) تثنية ٤: ٣٥.
(٤) أخبار الأيام الأول ١٧: ٢٠.
(٥) إشعياء ٣٧: ١٦.

وقال نحميا: "أنت هو الرب وحدك" [١]

الرب سبحانه لا يرى ولا يقدر أن يراه أحد:

ففى كتبهم أن موسى طلب من الله أن يراه قال موسى لله (أرنى مجدك).

فقال الله (لا تقدر أن ترى وجهى لأن الإنسان لا يرانى ويعيش) [٢].

وأكد ذلك سفر إشعياء (حقا أنت الله محتجب يا إله إسرائيل) [٣].

والله ليس كمثله شىء:

ففى سفر التثنية "ليس مثل الله" [٤].

وفى سفر الأخبار "أيها الرب إله إسرائيل لا إله مثلك فى السماء والأرض) [٥].

إلى غير ذلك من الفقرات البينات الواضحات التى لا تحتمل التأويل ولا التلويح

ثانيا: قوله " إن التماثل قائم أولا بين الإنسان كشخص، وبين الله كشخص، وأن الإنسان له مقومات الشخصية الثلاثية: الفكر، والإرادة، والشعور" هذا التماثل غير صحيح من وجوه عدة:

فمن ناحية لا يليق بالعظمة الإلهية أن يطلق عليه لفظ "شخص"

إذ أن الشخص: كل جسم له ارتفاع وظهور - وغلب فى الإنسان [٦]، والله سبحانه وتعالى منزه عن أن يكون جسما.

وعند الفلاسفة يطلق على الله لفظ "الذات" [٧].

ومن ناحية أخرى فإن منطقة قياس ثلاثية الإنسان على الثالوث الإلهى غير صحيح.

---

(١) نحميا ٩: ٦.
(٢) خروج ٣٣: ١٧ ـ ٢٠.
(٣) إشعياء ٤٥ : ١٥.
(٤) تثنية ٣٣: ٢٦.
(٥) أخبار الأيام الثانى ٦ : ١٤.
(٦) المعجم الوسيط جـ١ ص ٤٧٥.
(٧) المعجم الفلسفى (مجمع اللغة العربية) ص١٠١.

ولذلك نجد الباحث المسيحى الذى أسلم ـ محمد مرجان ـ يرد على مثل هذا القياس فيذكر أن دعاة الثالوت ينظرون إلى الله العظيم الذى ليس كمثله شيء والمنزه عن مشابه الكائنات فيمثلونه بأحد مخلوقاته الضعيفة وهو الإنسان. إن الله فى نظر فلاسفة المسيحية له كيان قائم بذاته كالإنسان تماما والله ناطق بكلمته كالإنسان، وكذلك هو حى بروحه كالإنسان ومن هذه الأقانيم، أو العناصر الثلاثة يتكون الله كما يتكون الإنسان تماما (الذات ـ النطق ـ الروح) [١].

ومع ذلك فإن الباحث المتأمل يلاحظ أن فلاسفة المسيحية قد أعطوا للإنسان صفات ضنوا بها على الله، فالإنسان به عناصر وأجزاء أخرى كثيرة لا تقل أهمية عن العناصر الثلاثة السابقة، هذا إذا لم تكن تفوقها أهمية، منها مثلاً أن الإنسان مبصر بعينيه، سميع بأذنيه، رحيم بقلبه، مفكر بعقله، مشير بيده، وهكذا نستطرد فى ذكر العناصر والأجزاء التى يتكون منها الإنسان المخلوق فنجد أنها قد تفوق فيها على خالقه[٢] لذلك نجد المؤلف المسيحى (كلايد تارنر) يقول:

يقترح الدكتور ملنز ثمانية أشياء تظهر كون الإنسان مخلوقًا على صورة الله: له طبيعة مفكرة، وطبيعة أدبية، وطبيعة عاطفية، وإرادة، وكيان حر، وميل إلى البر، وتسلط على الخلائق الدنيا، وخلود[٣].

فلو قصرنا التشابه بين الله والإنسان على الثلاثة التى ذكرها القس إلياس مقار ـ ليؤخذ عليه: أن الإنسان موصوف بصفات لم يتصف بها الثالوث المسيحى، والله سبحانه منزه عن الشبيه فضلاً عن أنه هو الخالق والإنسان هو المخلوق، وفرق كبير بين الخالق والمخلوق.

على أنه إذا اعتبر أن هذه الصفات الثلاث شبيهة بالأقانيم الثلاثة أى أن كل أقنوم خاص بصفة أو شبيه بصفة من الصفات الثلاث، لأخذ عليهم "أنهم قد قسموا الله إلى ثلاثة أقسام منحوا كل قسم صفة من الصفات منعوها عن القسم الآخر، فى

---

(١) أو الفكر ـ والإرادة ـ والشعور ـ كما فى قول القس إلياس مقار.

(٢) محمد مجدى مرجان: الله واحد أم ثالوث ص١٤.

(٣) كلايدتارنر: هذه عقائدنا ص٥٠.

حين أن تلك العناصر والصفات تجتمع كلها فى الإنسان الواحد ولا تجتمع فى الله"[١] وعلى ذلك فإنه لا يفهم من الفقرة التى تقول (نعمل الإنسان كصورتنا وشبهنا) إلا أن الإنسان أرقى مخلوقات الله، لأن الله نفخ فيه من روحه ومنحه السيطرة على الخلائق الأخرى.

ثالثًا: إن الاستدلال بالفقرة السابقة ـ من كلام القس إلياس مقار ـ على التشابه الثلاثى بين الله والإنسان من ناحية التعدد الثلاثى: الفكر والإرادة والشعور فى الإنسان. والآب، والابن، والروح القدس فى الإله. استدلال خطأ من ناحية أن الفكر والإرادة والشعور تكون ذاتا واحدة ومنها جميعًا يكون إنسان فلا يطلق على الفكر وحده إنسان ولا يطلق على الإرادة وحدها إنسان، ولا يطلق على الشعور وحده إنسان وإنما يطلق عليها مجتمعة إنسان. فليست كل واحدة من هذه الصفات ذاتا وإنسانًا. بينما يطلق على الآب ذات وإله، فيقال (الله الآب) وكذلك على الابن فيقال (الله الابن) (والله الروح القدس) فيطلق على كل واحد منهم أنه أقنوم وإله وكل منهم ذات قائمة بنفسها، بينما الشعور ـ والفكر والإرادة ليسوا بذوات قائمة بنفسها فالقياس خاطىء كل الخطأ.

(مسكن آدم بعد خلقه قبل المعصية)

يذكر المسيحيون أن الله سبحانه وتعالى بعد أن خلق آدم فى حالته الجسدية والروحية وضعه فى جنة عدن (وجبل الرب الإله آدم ترابًا من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفسًا حية وغرس الرب الإله جنة فى عدن شرقا ووضع هناك آدم الذى جبله)[٢].

وتحت لفظ "جنة" جاء فى قاموس الكتاب المقدس:

الفردوس الأصلى الذى رتبه الله للإنسان قبل سقوطه[٣] ووضع فى وسطه شجرة الحياة، وأطلقت الكلمة على كل بستان فى قصور الملوك)[٤].

---

(١) الله واحد أم ثالوث ص١٥.
(٢) تكوين ٢: ٧ ـ ٨.
(٣) تكوين ٢: ١٠ (وكان نهر يخرج من عدن ليسقى الجنة).
(٤) قاموس الكتاب المقدس ص٢٧٥.

وتحت لفظ (عدن) جاء :ـ

"عدن : اسم عبرى معناه (بهجة) حيث غرس الله فى الأرض شجرًا شهيًا للنظر وجيدًا للأكل، وعمل حديقة سميت بجنة عدن من أجل آدم ليسكن فيها قبل الخطية، وكان يسقيها نهر يشق مجراه لنفسه فى عدن، ويتفرع إلى أربعة رؤوس : فيشون، وجيحون، وحد اقل، والفرات "[١].

أما موقع جنة عدن ـ فى نظرهم ـ فلا يزال غير مجمع عليه حاليًا كما قال غالبية الجغرافيين واللاهوتيين، وبعض منهم يعتبرون أرمينيا أنها عدن، لأن الفرات والدجلة ينبعان فى أرمينيا، وهناك من يرى أن نهر عدن الذى تفرع إلى رؤوس ما هو إلا نهر الفرات ـ دجلة الذى يصب فى شط العرب (فى الخليج الفارسى) منقسمًا على نفسه إلى عدة فروع، فجنة عدن بحسب رأيهم هى القسم الجنوبى من العراق حيث الخصب، ويعتقدون أنه أقرب الأمكنة إلى الصواب لأن فيه الصفات التى وردت فى الكتاب المقدس لعدن: شرق فلسطين فيه دجلة والفرات، وكوش التى بقربها هى عيلام المعروفة قديمًا باسم كاشو، كما أن سهل بابل كان معروفًا منذ القدم باسم عدنو، وموقع الحويلة هى جزء من جزيرة العرب الذى يجاور العراق إلى الجانب الغربى منه[٢]. وهى ـ أى جنة عدن، كما فى سفر التكوين ـ من غرس الله ذاته[٣] ويدل هذا على أن جنة عدن واقعة الغرس فعلاً لآدم، بينما هناك رأى آخر لبعض طلاب الكتاب المقدس بأن القصة رمزية ترمز إلى وقائع معينة.

يقول كلايد تارنر: ينظر بعض طلاب الكتاب المقدس إلى قصة الخليقة بكاملها نظرتهم إلى قصة رمزية، فالجنة بالنسبة لهم شىء رمزى ترمى إلى بعض الحقائق الخاصة.

---

(١) وكان نهر يخرج من عدن ليسقى الجنة. ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس. اسم الواحد فيشون، وهو المحيط بجميع أرض الحويلة حيث الذهب، وذهب تلك الأرض جيد. هناك المقل وحجر الجزع، واسم النهر الثانى جيحون وهو المحيط بجميع أرض كوش، واسم النهر الثالث حداقل، وهو الجارى شرقى أشور، والنهر الرابع الفرات. تكوين ٢ : ١٠ ـ ١٤.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص٦١٣، ٦١٤.

(٣) تكوين ٢ : ٨.

ولكن القصة كما يرويها الكتاب المقدس تمثل حقائق واقعة. كانت الجنة واقعة حتمًا فى عدن شرقًا. إن لفظتى عدن و"الجنة" ليستا لفظتين مترادفتين "فعدن" ومعناها "السرور" هى البلاد التى جعلت فيها الجنة، أما أين تقع تلك هذه البلاد فليس واضحًا تمامًا، ولو أن الوصف المعطى والأنهار المذكور تشير إلى أنها واقعة فى أواسط آسيا)[١].

يقول الشيخ الباجى فى تعليق على الفقرة السابقة من سفر التكوين :ـ

فإن ظاهره أن الأرض التى نحن عليها[٢] متصلة بأرض الحبشة[٣] فيمكن أن تجرى الأنهار من الجنة إلى أرضنا. ولو كان كذلك لا تصل بالجنة بعض الناس السالكين فى الأرض مع تطاول السنين.

وأيضًا فإن ظاهر حال جريان هذه الأنهار وهيئتها أن الجنة محيطة بالأرض فتكون أرضنا التى نحن فيها فى وسط الجنة فنكون نحن فى وسط الجنة وهو ظاهر الفساد[٤].

(وصف الجنة التى عاش فيها آدم قبل السقوط)

يذكر سفر التكوين أن الجنة التي غرسها الله بيده ووضع آدم فيها كان فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ به الأعين (وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل)[٥] يقول جيمس فريزر: "يصور الكاتب اليهودى عن طريق إلقاء قليل من الضوء ولكن بريشة فنان ماهر الحياة السعيدة التى عاشها الأبوان الأولان فى جنة السعادة التى خلقها الرب لهما ليسكنا فيها، هناك نمت فى وفرة كل الأشجار التى تعطى الثمار الطيبة وتسعد العين بمرآها، وهناك عاشت صنوف الحيوان فى وئام مع الإنسان ومع بعضها بعضًا"[٦].

---

(١) كلايدتارنر: هذه عقائدنا ص٥٣.
(٢) يقصد أرض مصر، لأنه من أهلها، كما ذكر الزركلى (راجع : الأعلام جـ٥ صـ ٥٥).
(٣) وذلك على أساس أن النهر الثانى (هو المحيط بجميع أرض كوش) أى التى هى بلاد الحبشة كما جاء فى قاموس الكتاب المقدس ص٧٩٨.
(٤) على التوراة ص٣٠.
(٥) تكوين ٢ : ٨.
(٦) جيمس فريزر: الفلكور فى العهد القديم (التوراة)، ترجمة د/ نبيلة إبراهيم جـ١ ص١٠٥.

وكان أهم ما يميز هذه الجنة ـ كما يقولون ـ أنه فى وسطها غرس الله شجرتين عجيبتين هما "شجرة الحياة التى جعلها لخلاص الإنسان من الموت لو لم يخطئ، وشجرة معرفة الخير والشر التى جعلت لامتحان مقدار ولاء الإنسان لله"[١].

وفي سفر التكوين (وشجرة الحياة فى وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشر)[٢].

(شجرة الحياة)

هى "شجرة وسط ثمرها ـ كما يدعون ـ يمنح الإنسان حياة خالدة". ولذلك عندما أخطأ آدم وحواء يقولون طردهما السيد من الجنة لئلا يأكلا من شجرة الحياة ويعيشا إلى الأبد.

وسرعان ما صار التعبير بـ "شجرة الحياة" تعبيرًا شعريًا استخدمه كاتب الأمثال[٣] إشارة إلى مصادر البركة العظيمة فى حياة الإنسان ثم استخدمها يوحنا الرائى[٤] مشيرًا إلى الامتيازات المجيدة العظيمة التى تنتظر المفديين فى العالم الآخر".[٥]

واختلف شراح المسيحية حول خاصية ثمرة هذه الشجرة، هل لها قوة ذاتية لتجديد قوة الإنسان؟ أم أنها رمز إلى الحياة الأبدية الموعود بها آدم؟

قال بعضهم: أنه كان لهذه الشجرة خاصية تجديد قوة الإنسان حتى أنه مع كون جسده قابلاً للفناء لأنه من تراب الأرض فإنه لو تناول من هذه الشجرة لعاش إلى الأبد بدليل قوله (لعله يمد يده ويأخذه من شجرة الحياة ويحيا إلى الأبد)[٦].

---

(١) كلايدتارنر: هذه عقائدنا ص٥٤.

(٢) تكوين ٢: ٩.

(٣) أمثال ٣: ١٨ (هى شجرة حياة لممسكيها والمتمسك بها مغبوط).

(٤) (من له أذن فليسمع ما يقوله الروح للكنائس: من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التى فى وسط فردوس الله) رؤيا يوحنا ٢: ٧ في وسط سوقها وعلى النهر من هنا ومن هناك شجرة حياة تصنع اثنتى عشرة ثمرة وتعطى كل شهر ثمرها وورق الشجرة لشفاء الأمم) ٢٢: ٢ (طوبى للذين يصنعون وصاياه لكى يكون سلطانهم على شجرة الحياة ويدخلوا من الأبواب إلى المدينة)٢٢: ١٤.

(٥) قاموس الكتاب المقدس ص٥٠٧.

(٦) تكوين ٣: ٢٢.

وذهب بعضهم إلى أن هذه الشجرة الدائمة الخضرة والنضارة كانت رمزًا إلى الحياة الأبدية الموعود بها آدم بشرط الطاعة الكاملة، وأن أبوينا الأولين كانا يتناولان منها كأنها سر مقدس مدة برهما الأصلى[١].

يقول د/ راغب عبد النور ـ وهو من القائلين بالرأى الأول.

وعاش الإنسان الحياة أسعد ما تكون الحياة ولكى يحفظ له الرب هذه القامة الشامخة في السمو والترفع فإنه علمه بوصية ألا يأكل من شجرة معرفة الخير والشر حتى لا يقع في المخالفة ـ وتكون عقوبته الموت (يوم تأكل منها موتًا تموت)[٢] وفى نفس الوقت أعطاه شجرة الحياة التى تثبته فى مكانه من الحياة وقداسة الحق[٣].

ويقول "ولست أظن أن شجرة الحياة كانت إشارة مجازية ولكنى أظنها أنها كانت شجرة حقيقية خصها الرب بخصائص تثبيت الحياة فى المقبلين إليها"[٤].

وعن الرأى الثانى جاء فى (علم اللاهوت النظامى).

كانت شجرة الحياة إشارة إلى الحياة، وكان للإنسان أن يأكل من ثمرها مادام فى كماله، **ولا نقدر أن نقطع بأنه كان لثمرها قوة ذاتية لمنح الحياة** أى لتحفظ جسد الإنسان فى نشاطه أو لتجعله بالتدريج مثل جسد المسيح الممجد الآن، ولا بأن العلاقة بين أكل ثمرها والخلود نظير العلاقة بين العلة والمعلوم، ولكن نعلم أن الأكل من تلك الشجرة كانت واسطة للتمتع بالحياة الأبدية[٥].

ولقد ذهب هؤلاء الشراح إلى القول بأن هذه الشجرة كانت رمزًا إلى المسيح ـ عليه السلام ـ الذى به الحياة الأبدية.

يقول القس منسى يوحنا: (وأنها ـ أى شجرة الحياة ـ كانت رمزًا إلى المسيح لأن فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس)[٦][٧].

---

(١) القس/ منسى يوحنا: حياة آدم ص٥٩.
(٢) تكوين ٢: ١٧.
(٣) د/ راغب عبد النور: شجرة الحياة ص٨.
(٤) المرجع السابق، نفس الصفحة.
(٥) علم اللاهوت النظامى ص٦١٩.
(٦) يوحنا ١: ٤.
(٧) حياة آدم ص٩.

ويقولون إن تلك الشجرة كانت رمزًا إلى المسيح أصل الحياة للمؤمنين، وتشبهه فى منح الحياة أى أن المسيح صار ينبوع الحياة الروحية والأبدية لشعبه كما كانت تلك الشجرة ينبوع حياة لأبوى جنسنا الأولين ولكل ذريتهما لو لم يعصيا الله[١].

وكانت الشجرة التى كان لآدم إذا أطاع أن ينال الحياة الخالدة بواسطتها فى ذلك الفردوس الأرضى رمزًا إلى ذلك الذى هو ينبوع الحياة الروحية والأبدية لشعبه في الفردوس الأعلى أى كانت رمزًا إلى المسيح أصل كل حياة روحية[٢].

وتعليقنا على ما سبق ينحصر فيما يأتى: ـ

أما القول بأن لشجرة الحياة قوة ذاتية لتجديد قوة الإنسان. وأن الإنسان (آدم) أعطى هذه الشجرة لتثبيته فى مكانه (وهو جنة عدن) وأنه لم يأكل من هذه الشجرة لأنه لو أكل منها لنال الحياة الأبدية ولبقى فى الفردوس فإنه مردود على أهله لأنه: كيف يعطى الإنسان شجرة تمنحه ثمرها الحياة أو دوام الحياة فى الفردوس الأعلى دون أن يمتحن؟ كيف يعطى الإنسان ذلك وهو المخلوق المكلف كما هو واضح من إشارات سفر التكوين (وأخذ الرب الإله آدم ووضعه فى جنة عدن ليعملها ويحفظها)؟ فبأى معنى يفهم ليعملها ويحفظها إلا القول بأنه كان مكلفا ليعمل ويحفظ هذه الجنة وذلك لا يكون إلا عن طريقة الطاعة

وماذا لو مد آدم يده ليأكل من هذه الشجرة ـ على فرض أنه لم يأكل منها ـ أيكون رد الفعل الحياة الأبدية بدون عناء ومشقة وعمل لحفظ هذه الجنة؟

لذلك يقول (جرها ردوس فوس): أما التمتع بثمارها الحلوة للوصول إلى النتائج المباركة دون امتحان فهو لا يتفق مع طبيعتها المقدسة ولكن بعد أن يتيقن الإنسان من بلوغه الحياة الأسمى فإن الشجرة تصبح حينذاك الواسطة لتوصيل الحياة الأسمى[٣].

---

(١) علم اللاهوت النظامى ص٦١٩.

(٢) المرجع السابق، ونفس الصفحة.

(٣) جرهاردوس فوس: علم اللاهوت الكتابى ترجمة عزت زكى ص٥٢.

أما كونها رمزًا إلى الحياة الأبدية فإن من أدلة هذا الرأى ـ كما سبق أن ذكرنا أن الأكل من تلك الشجرة كان واسطة للتمتع بالحياة الأبدية بدليل أن الإنسان طرد بعد معصيته من الفردوس لئلا يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضًا ويأكل ويحيا إلى الأبد[١] ويستدلون بما جاء فى سفر التكوين (وقال الرب الإله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفًا الخير والشر والأن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضًا ويأكل ويحيا إلى الأبد).

ولادلالة فى النص على الرمزية ولكنه أكثر وضوحًا بأن ذات هذه الشجرة يمنح الحياة لا أنها رمز، إذ المعروف أن النص لا يصرف عن معناه الحقيقى إلى معنى آخر مجازى أو رمزى إلا إذا كانت الألفاظ لا تحتمل المعنى الحقيقى، أما وأن النص واضح بأن الله طرد آدم من الجنة حتى لا تمتد يده إلى شجرة الحياة فيأكل منها فينال الحياة الأبدية، فما ذلك إلا لأنها تدل حقيقة على منح الحياة لا أنها رمز إلى شىء.

يقول الشيخ على الباجى: كيف يحسن أن يقال (لعله يمد يده فيأخذ...) فإن ظاهره أن الحياة والموت ليسا بيد الله وقدرته بل بسبب بعض المأكولات، وأن الله خشى من حياته الأبدية بسبب أكل الشجرة فأخرجه من الفردوس، ولو كان أكل الشجرة الأولى موجبًا لعلم الخير وأكل الثانية موجبًا للحياة الأبدية كما هو ظاهر اللفظ لكان آدم عقيب أكل الشجرة الأولى أكل من الشجرة الثانية ضرورة من غير تأخير إذ قد علم الخير والشر، فيعلم أن هذا خير فلا يمكنه الصبر عنه أصلاً[٢].

❖ ❖ ❖ ❖

أما القول بأنها كانت رمزًا إلى المسيح الذى به الحياة الأبدية وذلك عن طريق الإيمان بالمسيح، فإنه يرد عليه بأنه أيضًا لادلالة فى النص على الرمزية هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن نوال الحياة الأبدية من شجرة الحياة يكون عن طريق الأكل منها.

---

(١) علم اللاهوت النظامى ص٦١٩.

(٢) الباجى: على التوراة ص٣٤.

ونوال الحياة الأبدية من المسيح يكون عن طريق الإيمان به **والطريق الأول** طريق جسدى وطعام جسدى وهو الأكل من الشجرة. **والطريق الثاني**: إيمان بالمسيح وهو طريق روحى وبه التصديق القلبى والإذعان الباطنى.

وفرق كبير بين طعام جسدى وطعام روحى.

وبون شاسع بين طريق الجسد الذى بسببه يكون الشهوات.

وطريق الإيمان الذى به نوال السعادة فى الدنيا والآخرة.

شجرة معرفة الخير والشر

يذكر سفر التكوين أن هذه الشجرة أيضًا فى وسط الجنة (وشجرة الحياة فى وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشر)[١].

"وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منها"[٢].

"وحقيقة هذه الشجرة غير واضحة وكذلك معناها والأرجح ـ لديهم ـ أن المراد بها شجرة أكل ثمرها ينشئ معرفة حسب تعيينها لذلك ويستدلون على ذلك ما يأتى :ـ

١ ـ مشابهتها لشجرة الحياة، فكما وضعت تلك لتحفظ الحياة كذلك وضعت هذه لتنشئ المعرفة، وأكد المجرب للمرأة أن أكل ثمرة تلك الشجرة يفتح عينيها[٣].

٢ ـ ما نشأ عن أكل ثمرها المنهى عنه وهو انفتاح أعين اللذين عصيا[٤].

٣ ـ قول الله تعالى بعد سقوط آدم هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر[٥]. أى بأكله الثمرة المنهى عنها حصل معرفة مشابهة فى بعض الأوجه لمعرفة الله غير أنها تتميز عنها لا محالة فى أوجه أخرى ولا يحسن اعتبار هذا القول تهكما لأنه قول الله بل لا يصح إذ لا محل للتهكم هنا.

---

(١) تكوين: ٢: ٩.

(٢) تكوين ٣: ٣.

(٣) تكوين ٣: ٤ (فقالت الحية للمرأة لن تموتا بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر).

(٤) تكوين ٣: ٦ (فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضًا معها فأكل فانفتحت أعينهما...).

(٥) تكوين ٣: ٢٢.

والخلاصة: أن شجرة المعرفة ـ كما صورها المسيحيون ـ هي شجرة ثمرها ينشئ المعرفة بموجب تعيين الله لا من قوة ذاتية فيها، وليس من الضرورة أن نحسب لثمرها قوة ذاتية على إفساد طبيعة الإنسان الجسدية وأخلاقه الأدبية ،فكل ما يعلم من قوله تعالى لآدم كما ذكرها هو أن المعرفة تبعث بعد أكل تلك الثمرة[١]. أما لماذا سميت بهذا الاسم فيقول أحدهم: إنما سميت شجرة معرفة الخير الشر بهذا الاسم فى الكتاب المقدس لأنها ستكون سببًا وشاهدًا لعصيان الإنسان الأول وأمانته[٢].

ويقول القس منسى يوحنا (ويظن أن هذا الاسم دعيت به الشجرة بعد السقوط، لأنه قبل السقوط لم يكن أبوانا قد عرفا الشر، وما يستطيعان معرفته بمجرد النمو الفعلى، لأن ذلك إما بالشعور بالخطأ وإما بمشاهدته فى آخر)[٣].

وهذا القول ـ أو الظن ـ لا نسلم به، لأن الله أوصاه بعدم الأكل من شجرة وترك له الأخرى بدون تحذير، فكيف يميز آدم إحداهما عن الأخرى إذا لم تكن كل شجرة قد سميت باسم معروف به؟ وإذا لم تكن كل شجرة قد سميت باسم فما نوع التعامل (أو التحذير وعدمه) هل كان بالإشارة؟ أو هل كانت بنوع آخر من التفاهم؟

ثم إن القول بأن معرفة الشر لا يأتى إلا عن طريقة التجربة أو المشاهدة.

قول أيضًا فيه بعض الخطأ، لأن معنى ذلك أن الله حين نهى آدم عن المعصية يكون قد ظلمه من ناحية أن آدم يجرب المعصية ولم يشاهد أحدًا يعصى الله.

تعالى الله عن ذلك وما ربك بظلام للعبيد.

وأخيرًا نقول إن لفظ التحذير واضح (وأوصى الرب الإله آدم قائلاً من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها) [٤]. والتسمية للشجرة باسمها واضح من النهى.

ولقد وردت شجرة معرفة الخير والشر فى أقوال المفسرين المسيحيين بثلاثة معان:ـ

---

(١) علم اللاهوت النظامى ٦٢٠.
(٢) القس/ منسى يوحنا: حياة آدم ص٥٤.
(٣) المصدر السابق ص٥٩.
(٤) تكوين ٢: ١٦، ١٧.

الأول: بمعنى المعرفة البسيطة، واستنتجوا هذا المعنى من أن الكتاب يعبر عن جهالة الطفولية بعدم تمييز الطفل بين الخير والشر ومن ذلك قوله (وأما أطفالكم..... الذين لم يعرفوا اليوم الخير والشر) [١] وقوله (لأنه قبل أن يعرف الصبى أن يرفض الشر ويختار الخير) [٢].

وبتعبيره أيضًا عن بلوغ شخص فى المعرفة العقلية أو الروحية بأن له قوة أن يميز بين الخير والشر فجاء فى الكلام على المؤمن الكامل والبالغ أنه قد صارت له الحواس مدربة على التمييز بين الخير والشر [٣]. ومن المشابهة بين هذه الفقرات استنتج أن ـ المراد بشجرة معرفة الخير والشر الإشارة إلى المعرفة البسيطة فقط، أى أن آدم قبل السقوط كان فى حال السعادة والبراءة دون هذه المعرفة، ولما أكل من الشجرة المنهى عنها حصل عليها.

لكن هذا التفسير لا يصح لأن آدم كان له تلك المعرفة وكان بالغًا لا طفلاً [٤].

الثانى: بمعنى معرفة التمييز بين الصواب والخطأ.

غير أن هذه المعرفة كانت له منذ البدء وكانت خيرًا لا يسوغ منعه عنه، وقد ذهب البعض إلى أن المراد بذلك معرفة ما هو الخير؟ وما هو الشر؟. ولكن هذا معين لنا بإرادة الله لأن كل ما يأمر به هو خير وما ينهى عنه هو شر فلا نقدر أن نحكم به من نفس الأمر أو من اعتبار الموافقة.

هذا ولا ريب فى أنه كان للإنسان من تلك المعرفة ـ كما يعتقدون ـ قبل سقوطه أكثر مما كان بعده [٥].

الثالث: بمعنى اختبار نتيجة عمل الخير والشر التى هى إما السعادة أو الشقاء وهو الأرجح ـ عندهم ـ أى أن الأكل من الثمر المنهى عنه أوجب آدم أن يعرف بالاختبار الذاتى الفرق بين الخير والشر.

---

(١) تثنية ١ : ٣٩.
(٢) إشعياء ٧ : ١٦.
(٣) عبرانيين ٥ : ١٤.
(٤) علم اللاهوت النظامى ص٦٢١.
(٥) المرجع السابق، ونفس الصفحة.

فإن الله جل شأنه علم طبيعة الشر ونتائجه من علمه بكل شيء، ولكن آدم لم يقدر أن يعرف ذلك إلا بالاختبار الذاتى الذى حصل عليه حين أخطأ[١].

يقول القس: منسى يوحنا (واعلم أن هذه الشجرة لم تدع شجرة معرفة الخير والشر من حيث إنه كان فيها قوة تعطى جدينا الأولين معرفة الخير والشر التى لم يعرفاها، بل من حيث الوصية التى كانت متعلقة بها أنها متى أكلا منها كانا مزمعين أن يختبرا ما بين الخير والشر من الفرق الجسيم.

إنها سميت شجرة معرفة الخير والشر لأن آدم بأكله منها عرف الخير بفقده له وعرف الشر باختباره إياه[٢].

ولعنا لا نسبق أحداث وأفكار البحث إذا قلنا إنه إذا كان المقصود من شجرة معرفة الخير والشر هو الاختبار الذاتى بين الخير والشر وتعليم الإنسان حالة السعادة التى تتبع عمل الخير وحالة الشقاوة التى تتبع عمل الشر فإن آدم ـ على هذا المعنى ـ ضحية هذا الاختبار، لأن النتائج المترتبة على الاختبار علمت آدم ومن جاء بعده، فمن جاء بعد آدم علم نتيجة هذا الاختبار ولكن آدم لم يكن ـ على حسب القول السابق ـ يعلم نتيجة الاختبار فهو ضحية لغيره، وأيضًا ظلم لآدم لأنه وفر لغيره ما لم يوفر له من بيان معرفة الخير والشر والله سبحانه منزه عن الظلم.

وأخيرًا نورد تعليق عالم الإنثروبولوجيا (جيمس فريزر) على الشجرتين يقول:

من المسلم به بوجه عام فيما يبدو أن حكاية الشجرتين قد اعتراها بعض الخلط، وأن شجرة الحياة لم تلعب فى الحكاية الأصلية هذا الدور المثير السلبى الصرف الذى لعبته فى هذه الحكاية، ومن ثم فقد اعتقد البعض أنه كان هناك فى الأصل حكايتان مختلفتان عن السقوط صورت فى إحديهما شجرة المعرفة على حدة.

كما صورت الأخرى شجرة الحياة منفردة.

---

(١) المرجع السابق، ونفس الصفحة.
(٢) حياة آدم ص٥٩.

وإن كاتبا مزج بين الحكايتين فى غير حذق وجعل منها حكاية واحدة، وعلى حين احتفظ بإحداهما فى شكلها الأصلى على وجه التقريب اختصر الحكاية الثانية وشذبها حتى كادت تفقد عالمها[١].

ومن ناحيتنا لا نسلم بكل ما قاله فإنه مجرد فرض لم يصل إلى درجة الحقيقة واليقين حتى نسلم به. وإن كان القول بوجود شجرتين، شجرة تقوم بدور سلبى وشجرة عليها التحذير والوصية بعدم القرب منها مما يحير الباحث المتأمل فى إصحاحات سفر التكوين فإن الرب الإله لم ينه آدم عن الأكل من شجرة الحياة، وفى الوقت ذاته عندما أكل من شجرة معرفة الخير والشر يخشى أن يمد يده لشجرة الحياة مع أنه لم ينهه عن الأكل منها.

عمل الإنسان (آدم) فى الجنة

إن الله سبحانه وتعالى خلق آدم ووضعه فى الجنة وفيها ـ بجانب شجرة الحياة وشجرة معرفة الخير والشر ـ كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل، ولما كان الإنسان فى وضع المخلوق المكلف كان له بعض المسئوليات الخاصة فى الجنة التى وضع فيها "فلم يكن للبطالة محل فى برنامج الله للإنسان"[٢].

إنهم يقولون إن الكتاب المقدس يعلمنا بأن الله أسند إلى آدم بعض المسئوليات الإدارية والهامة.

أما المسئولية الأولى: فكانت عنايته بالجنة وحفظها (وأخذ الرب الإله آدم ووضعه فى جنة عدن ليعملها ويحفظها)[٣][٤].

يذكر المسيحيون أنه لم يكن الإنسان ليأكل من ثمار الجنة ويتمتع بجمالها فقط بل كان عليه أن يعمل فيها ويحفظها، لم يكن مقصد الله مطلقًا أن يعيش بطالاً لا فى

---

(١) جيمس فريزر: الفلكور فى العهد القديم جـ١ ص١٠٧ ـ ١٠٨.
(٢) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص ٥٤.
(٣) تكوين ٢: ١٥.
(٤) د/ القس/ حنا جرجس الخضرى: تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص٢٦.

هذه الحياة ولا فى الأخرى[١] ولذلك أوصاه الله بأن يأكل من شجر الجنة، ولكن حذره بألا يأكل من شجرة معرفة الخير والشر "وأوصى الرب الإله آدم قائلاً من جميع شجر الجنة تأكل وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها"[٢].

يعتقدون أيضًا أنه كان على الإنسان ألا يعصى إرادة الله التى أعلنها ـ أعنى الوصية المذكورة ـ ولكى تنطبع هذه الوصية أكثر فى قلب جدينا الأولين قال لهما :ـ

إنه إذا خالفاها سيفقدان ما حصلا عليه ويسقطان إلى الشقاء ويصيران تحت عبودية أهوائهما معرضين للضيق والمحن على اختلافها، وأما جسدهما فبعد أن يكابد أوجاعا وأسقاما كثيرة سينفصل أخيرًا عن النفس ويفسد ويبلى.

وأما نفسهما فسينبذها الله أبديا[٣] لأنك يوم تأكل منها موتًا تموت[٤].

يقول القس إلياس مقار (ولماذا وضع الله فى طريق آدم هذه الشجرة وحرم عليه فى الوقت ذاته أن يأكل منها؟ وإذا أضيف إلى ذلك أن الله كان ولا شك يعلم مقدمًا بسقوط الإنسان فهل يكون بعد هذا الامتحان مبررًا؟ هل يتفق هذا مع وجود الله وحنانه وحبه ورحمته؟ هذه أسئلة كثيرًا ما تمسك بالفكر البشرى وتتابعه وتلح عليه وتضغط على ملكاته جميعًا، ومع أننا لا نستطيع الإجابة عليها إجابة كاملة شافية شاملة إلا أننا نستطيع مع ذلك أن نؤكد أن هناك على الأقل عاملين أساسيين يلزمان ويحتمان هذا الامتحان :ـ

أولهما: أن امتحان الإنسان أمر تمليه الطبيعة الإنسانية، فالإنسان من حيث هو إنسان كان لابد وأن يمتحن، لأن الإنسان يتميز عن المخلوقات الأخرى بأنه العاقل الحر المريد، وكان لابد أن ينشأ تباعًا لهذا التفرقة بين هذه المخلوقات. فإذا انفرد الإنسان من هذه المخلوقات بملكة الإرادة الواعية العاقلة المقتدرة كان لابد لهذه الإرادة أن توجد بما تختار وأن يظهر فعلها بما تقبل أو ترفض ومن ثم زرع الله مقابلها شجرة معرفة الخير والشر[٥].

---

(١) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص٥٤.

(٢) تكوين ٢ : ١٦ ـ ١٧.

(٣) الخلاصة الشهية فى أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية ص٧٨.

(٤) تكوين ٢ : ١٧.

(٥) القس إلياس مقار: قضايا المسيحية الكبرى ص٣٦٨ بتصرف شديد.

ولكن لعلم الله أن إرادة الإنسان يمكن أن تميل إلى إحدى الجهتين ـ الخير والشر ـ سبق فدعم النعمة المعطاة له بالوصية التى قدمها إليه والمكان الذى أقامه فيه لأنه أتى به إلى جنته وأعطاه وصية حتى إذا حفظ النعمة واستمر صالحًا استطاع الاحتفاظ بحياته فى الفردوس بلا حزن ولا ألم ولا هم فضلاً عن موعد عدم الفساد فى السماء، أما إذا تعدى الوصية وارتد وأصبح شريرًا فيعلم بأنه يجلب على نفسه الفساد بالموت الذى كان يستحقه بالطبيعة وأنه لا يستحق الحياة فى الفردوس بعد، بل يطرد منه من ذلك الوقت[١].

ثانيهما: إن امتحان الإنسان ضرورة تمليها الطبيعة الإلهية ـ كما يقولون ـ فعدالة الله كان لابد أن تفعله، إذ أن الله يودع ويطلب على الدوام بما يقابل ما يودع، والذى يودعونه كثيرًا يطالبونه بأكثر، كما أن العدالة الإلهية التى امتحنت الملائكة لتحدد مصيرهم ومراكزهم كان لابد أن تفعل مع الإنسان ما فعلت معهم، إذ لا يجمل بالله أن يمتحن الملائكة لأنهم[٢] ذووا إرادة ثم يبعد هذا الامتحان أو يمنعه عن الإنسان ذى الإرادة ـ المماثلة. ثم ان محبة الله ورحمته كان من المحال أن تظهر فى أروع صورها وأمجدها من غير هذا التدخل الذى حدث فى حياة الإنسان الساقط، فمن السهل أن نرى محبة الله فى شتى مظاهرها ونحن أبرار قديسون طائعون، ولكن أدق محبة وأعمقها تكشف فقط عند السقوط والانهيار والحظية[٣].

وعليه فإن وضع شجرة معرفة الخير والشر فى وسط الجنة وتحذير الله لآدم بعدم الأكل منها كان ـ فى اعتقادهم ـ من أجل امتحان الإنسان لأن الامتحان أمر تمليه الطبيعة الإلهية وكذا الطبيعة الإنسانية لأنه المخلوق العاقل ذو الإرادة الحرة.

---

(١) القديس الاثناسيوس الرسولى: تجسد الكلمة ص٢٥.

(٢) وذلك على أساس فكرتهم أن الملائكة امتحنوا، وكانوا فى تلك الفترة ذوى إرادة واختيار، فلما أطاعوا الله كانت لهم الحياة الأبدية. أما الذين عصوا الله فكان جزاؤهم الطرد وهم الشياطين، كما يظهر فى الفصل الثالث من هذا الباب.

(٣) قضايا المسيحية الكبرى ص٣٦٩ بتصرف شديد.

وإذا كان الأمر كذلك فإنه لا يظهر لآدم أى خصوصية فى وضعه فى الجنة بل كان عليه عبء ومسئولية كبرى وهى كيف يحفظ هذه الحياة التى يعيشها؟

إذا كانت الحياة التى يعيشها كانت عبارة عن امتحان وابتلاء فأى ميزة لآدم عن باقى الجنس البشرى؟ هل يتميز عن باقى الجنس البشرى بأنه كان يعيش فى جنة؟

إن الجنة التى تتحدثون عنها كانت الحياة فيها أكثر امتحانا من الحياة التى يعيشها باقى أفراد الجنس البشرى.

على أن لباقى الجنس البشرى ميزة عن آدم لأن آدم لم يكن يعرف عاقبة عصيانه بينما باقى الجنس البشرى عرف من تاريخ آدم عاقبة العصيان فباقى الجنس البشرى أكثر حظًا ونعيمًا عن آدم.

المسئولية الثانية :ـ يذكر المسيحيون أن الله أحضر إلى آدم جميع الحيوانات ليضع لها اسما "فالله كلفه بأن يعطى اسما لكل حيوان من الحيوانات ولكل طير من الطيور.." "وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها، وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها"[١] يقول المسيحيون هذه هى المسئولية الثانية التى كلف بها آدم[٢].

والمسئولية والتكليف فى الأولى أوضح من الثانية.

لأن المسئولية الأولى (وصية وتحذير) وهو عين المسئولية والتكليف أما الثانية فإن الله أحضر الحيوانات والطيور ليرى آدم ماذا يسميها وليس فى هذا تكليف ولا مسئولية وإنما تكريم (من هذا نرى أن الله أعطى لآدم سلطانًا عظيمًا جدًا).

ففى المزامير (فمن هو الإنسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفتقده، وتنقصه قليلاً عن الملائكة وبمجدٍ وبهاء تكلله. تسلطه على أعمال يديك. جعلت كل شىء تحت قدميه)[٣] فإن الله أعطى لآدم سلطانًا ليس على حيوانات البرية وطيور السماء فحسب بل على الخليقة كلها[٤] "وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا

---

(١) تكوين ٢ : ١٩.
(٢) تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص٢٦.
(٣) مزمور ٨ : ٤ ـ ٦
(٤) تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص٢٦.

فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التى تدب على الأرض"[١].

وهذا السلطان العظيم أعطاه الله إياه لأنه المخلوق المكلف، ولأنه خليفة الله فى الأرض ولا أدل على ذلك من أن هذا السلطان لم يرفعه الله عن آدم بعد معصيته بل بقى لنسله ولجميع الجنس البشرى من بعده.

* * *

أما عن مدة إقامة آدم فى الجنة فإن القس: منسى يوحنا يقول "رأى أحد الربانيين أن آدم وحواء بقيا فى حال البر والقداسة ست ساعات، وذهب آخر إلى أنهما بقيا كذلك أربعا وعشرين ساعة، ولكن من يذكر أن الله خلق العالم بالترتيب والتوالى وأنه لم يخلقه دفعة واحدة وأن آدم كان يزرع الفردوس وأن الزرع يقتضى وقتًا طويلاً للنمو والنضج إلى غير ذلك، يرى أن آدم أقام بالفردوس أكثر من ذلك فإن ذلك الوقت لم يكن كافيًا لتسمية آدم الحيوانات وغيرها من المخلوقات، ومع كون هذه المدة لا تعرف بالتحقيق إلا أنه لا يوجد شك فى أنها محسوبة ضمن السنين التى عاشها آدم فى الأرض وقررها عنه الكتاب المقدس[٢] وعاش آدم مائة وثلاثين سنة وولد ولدا[٣].

وهذه الآراء عبارة عن افتراضات لا ترقى إلى الصواب إلا إذا وجد ما يؤيدها من نصوص صحيحة.

حالة الإنسان المخلوق على صورة الله قبل المعصية

لقد سبق أن قلنا إن المسيحيين يقولون إن الإنسان خلق على صورة الله، ووضعه الله فى الجنة فى حالة من السعادة والابتهاج، والإنسان فى هذه الفترة ـ أى قبل سقوطه فى الخطيئة ـ كان يتصف بصفات أخرى بجانب حالة السعادة التى فقدها بالخطيئة ـ كما يعتقد المسيحيون إذ أن هناك جزءًا من صفات الله فى آدم لازالت باقية فيه وفى نسله حتى بعد سقوطه فى الخطيئة (فالجزء الباقى من صورة الله فى الإنسان

(١) تكوين ١ : ٢٦.
(٢) حياة آدم ص٧، ٨.
(٣) تكوين ٥ : ١ ـ ٣.

هو **الطبيعة الروحية العقلية** التى لا تزال فى كل بنى جنسنا، والجزء الذى زال بالسقوط هو **الكمال الأدبى الذى فطر الإنسان عليه أي حال** البر والقداسة التى خلق عليها، وبعد السقوط بقى على صورة الله فى طبيعته **العقلية الأدبية** المشابهة لصورته تعالى غير أنه تغير فى **حالته الأدبية** وانحط من حالة البر والطهارة إلى الخطيئة والفساد الأدبى)[١].

ومن أقوال الكتاب المقدس الدالة على ما هو باق من صورة الله فى الإنسان ما جاء فى مواليد آدم من أنه خلق على شبه الله وأنه ولد ولدًا على شبهه كصورته ودعا اسمه شيثا[٢] وقوله "سافك دم الإنسان بالإنسان يسفك دمه لأن الله على صورته عمل الإنسان"[٣].

"وإن الرجل لا ينبغى أن يغطى رأسه لكونه صورة الله ومجده"[٤].

وقوله فى اللسان (به نبارك الله الآب وبه نلعن الناس الذين قد تكونوا على شبه الله)[٥]. فالجزء الباقى فى الإنسان بعد السقوط هو **الطبيعة العقلية**. أما الجزء الذى فقده الإنسان بالسقوط هو **حالة الطهر والكمال والقداسة**.

أما الصفات التى كان عليها الإنسان قبل السقوط وفقدها بعده فهى :ـ

١ ـ الإنسان على صورة الله فى المعرفة :ـ

جاء فى كتاب أصول الإيمان المسيحى: أن الله خلق الإنسان على صورته فى المعرفة وهذا يعنى أن آدم قبل أن يخطئ كان قادرًا على أن يفهم إعلان الله عن نفسه فى العالم فعندما "دعا آدم بأسماء جميع البهائم أو طيور السماء وجميع الحيوانات البرية"[٦] فإنه كان يفعل شيئًا أكثر من مجرد "إعطاء أسماء" فهذه الأسماء كانت وصفًا حقيقيًا للأشياء التى أطلقت عليها. فعندما دعا آدم اسم امرأته حواء إنما فعل ذلك لأنها أم كل حى[٧]، وكذلك عندما تأمل آدم الحيوانات وأعطاها أسماء أظهر أنه

---

(١) علم اللاهوت النظامى ص٥٩٧.
(٢) تكوين ٥ : ١ ـ ٢.
(٣) تكوين ٩ : ٦.
(٤) ١ كورنثوس ١١ : ٧.
(٥) يعقوب ٣ : ٩.
(٦) تكوين ٢ : ٢.
(٧) تكوين ٣ : ٢.

قادر على فهم طبيعة الأشياء والتعبير عنها، وبعبارة أخرى إن آدم ـ قبل أن يخطئ ـ كان نبيًا فى أسمى معانى النبوة لأن النبى هو من يستطيع أن يرى الحق الإلهى وأن يعلن هذا الحق لخير الآخرين[١].

وإذا كانت هذه المعرفة التى أعطيت لآدم فهمها الشراح المسيحيون من خلال بعض النصوص فإننا نقول إن نصوص الكتاب المقدس جاءت صريحة وواضحة فى نسبتها لغير آدم.

ففى سفر الخروج (وقال موسى لبنى إسرائيل انظروا قد دعا الرب بصلئيل بن أورى بن حور من سبط يهوذا باسمه، وملأه من روح الله بالحكمة **والفهم والمعرفة وكل صنعة**)[٢].

وكذلك أيضًا سأل سليمان الله أن يعطيه حكمة ومعرفة (تراءى الله لسليمان وقال له اسأل ماذا أعطيك، فقال سليمان لله إنك قد فعلت مع داود أبى رحمة عظيمة وملكتنى مكانه. فالآن أيها الرب الإله ليثبت كلامك مع داود أبى لأنك قد ملكتنى على شعب كثير كتراب الأرض، فأعطنى الآن **حكمة ومعرفة** لأخرج أمام هذا الشعب وأدخل، لأنه من يقدر أن يحكم على شعبك هذا العظيم، فقال الله لسليمان: من أجل أن هذا كان فى قلبك ولم تسأل غنى ولا أموالاً ولا كرامة ولا أَنْفُس مبغضيك ولا سألت أيامًا كثيرة بل إنما سألت لنفسك حكمة ومعرفة تحكم بهما على شعبى الذى ملكتك عليه قد **أعطيتك حكمة ومعرفة وأعطيتك** غنى وأموالاً وكرامة لم يكن مثلها للملوك الذين قبلك ولا يكون مثلها لمن بعدك)[٣].

وكذلك أعطى الله غير سليمان ـ ممن هو أهل لذلك ـ الحكمة والمعرفة.

ففى سفر إشعياء (ويخرج قضيب من جذع يسىّ وينبت غصن من أصوله، **ويحل عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة**

---

(١) ج. أ. وليمسن: تفسير أصول الإيمان، ترجمة الشيخ فايز فضيل جـ١ ص٣٩.
(٢) خروج ٣٥: ٣١.
(٣) أخبار الأيام الثانى ١: ٧ ـ ١٢.

الرب، ولذته تكون فى مخافة الرب، فلا يقضى بحسب نظر عينيه، ولا يحكم بحسب سمع أذنيه، بل يقضى بالعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائس الأرض، ويضرب الأرض بقضيب فمه، ويميت المنافق بنفخة شفتيه)[١].

على أن تلك المعرفة يستطيع أى إنسان أن يحصل عليها وذلك عن طريق الخوف من الله ففى سفر الامثال (مخافة الرب رأس المعرفة)[٢]. وأيضًا (بدء الحكمة مخافة الله ومعرفة القدوس فهم)[٣]. (وبالمعرفة ينجو الصديقون)[٤].

فلا ميزة لآدم ـ قبل المعصية ـ فى هذا الأمر، إذ أن الله أعطى المعرفة لغير آدم، وهى واضحة كما سبق.

وأيضًا فإن الاقتباسات السابقة من الكتاب المقدس تدل على أن الإنسان لم يفقد المعرفة بالخطيئة، بدليل أنها أعطيت لأحدهم وهو من نسل آدم، بل يستطيع كل إنسان عن طريق الإخلاص فى الطاعة والعبادة والخوف من الله ومراقبته أن يحصل على المعرفة والحكمة والفهم، وبهم يكون النجاة.

٢ ـ الإنسان على صورة الله فى القداسة :ـ

والقداسة: صفة من صفاته تعالى: ففى سفر الخروج أن موسى وبنى إسرائيل رنموا قائلين: "يا رب من مثلك معتزا فى القداسة"[٥].

والقداسة ـ كما عرفها المسيحيون ـ : الخلو من الخطيئة والطهارة التامة. وهى أخص صفات الله وتميزه بنوع كلى من جميع آلهة الوثنيين وتجعله يكره المعصية ويعاقب الخاطئ، وقد خلق الله الإنسان على صورته وشبهه، أى فى البر والقداسة على أن آدم فقد قداسته وأدخل الخطيئة إلى العالم فجاز الموت إلى جميع الناس، إذ أخطأ الجميع[٦].

---

(١) إشعياء ١١ : ١ ـ ٥.
(٢) أمثال ١ : ٧.
(٣) أمثال ٩ : ١٠.
(٤) أمثال ١١ : ٩.
(٥) خروج ١٥ : ١١.
(٦) قاموس الكتاب المقدس ص٧١٨.

وقد ورد فى تفسير أصول الإيمان: أن الله خلق الإنسان على صورته فى القداسة وهذا يعنى أن آدم قبل أن يخطئ كان بجملته مكرسًا لله.

وفى العهد القديم نجد هذه الفكرة تنمو باضطراد فى نظام العبادة الذى أعلنه الله لموسى، فكان يوجد رئيس الكهنة وخيمة الاجتماع والتقدمات المختلفة وكانت توجد الشعائر الإلهية، وكانت الفكرة الأساسية للقداسة هى السائدة دائمًا، والقداسة هنا معناها "التخصيص للرب".

وبالنسبة لآدم لم تكن القداسة مسألة شعائر أو ذبائح بل كانت تعبدًا قلبيًا، كان مقدسًا، لأنه كان يجد سروره الأعظم فى الرب، كان (قبل أن يخطئ) لا يعرف الخوف من الرب، فكان يشعر بالسلام فى حضرة الله (فكان مخصصًا للرب فى كل شيء عن رغبة قلبية)[١].

وكون آدم على صورة الله فى القداسة بمعنى أنه كان لا يعرف الخوف من الرب، فإن هذا لا يتوافق مع ما سبق أن أوردناه من أن رأس المعرفة مخافة الله وبدء الحكمة مخافة الله فكيف يكون آدم على صورة الله فى المعرفة ثم هو لا يخاف الله مع أن رأس المعرفة مخافة الله؟

ثم إننا نجد أن الله سبحانه وتعالى ـ كما ورد فى كتبهم ـ يأمر عباده بأن يعبدوه بخوف ورهبة منه، فقال (تأدبوا يا قضاة الأرض اعبدوا الرب بخوف واهتفوا برعدة)[٢].

"لتخش الرب كل الأرض ومنه ليخف كل سكان المسكونة"[٣].

وخوف الله لا يقتصر على وقت دون آخر بل هو ثابت إلى الأبد "وصايا الرب مستقيمة تفرح القلب. أمر الرب طاهر ينير العينين. خوف الرب نقى ثابت إلى الأبد"[٤].

---

(١) ج. أ. وليمسن: تفسير أصول الإيمان جـ١ ص٤٠.
(٢) مزمور ٢: ١١.
(٣) مزمور ٣٣: ٨.
(٤) مزمور ١٩: ٨، ٩.

والله سبحانه وتعالى يعطى الخائفين سر النجاة فالله يوفق الخائفين لطريق الخير ويبارك فيهم وفى نسلهم (من هو الإنسان الخائف الرب. يعلمه طريقًا يختاره، نفسه فى الخير تبيت، ونسله يرث الأرض، سر الرب لخائفيه، وعهده لتعليمهم)[١].

والله سبحانه وتعالى يرعى بعنايته الخائفين منه (هو ذا عين الرب على خائفيه الراجين رحمته)[٢].

ويحفهم بالملائكة (ملاك الرب حالّ حول خائفيه وينجيهم)[٣].

ويشملهم برحمته (قويت رحمته على خائفيه)[٤].

(كما يترأف الأب على البنين يترأف الرب على خائفيه)[٥]

وعليه فإما أن يكون آدم على صورة الله فى القداسة: بمعنى العبادة والطهارة والتخصيص للرب، والعبادة لا تكون إلا بالخوف من الله الذى به العبادة والطاعة والنجاة والخير والرحمة. وهذا الا خصوصة فيه لآدم قبل السقوط.

وإما أن آدم على صورة الله فى القداسة، ولكن بدون عبادة وخوف، وهذا لا يتناسب مع إنسان على صورة الله فى المعرفة التى لا يمكن إثباتها إلا بالخوف من الله.

وأيضًا لا يتناسب مع إنسان على صورة الله فى البر وهو عنوان الفقرة التالية.

٣ ـ الإنسان على صورة الله فى البر:ـ

يقول المسيحيون: إن الله بعد أن خلق الإنسان جعله فى حال البر والنعمة[٦].

يقول أصول الإيمان (إن الله خلق الإنسان على صورته فى البر.

---

(١) مزمور ٢٥: ١٢ ـ ١٤.
(٢) مزمور ٣٣: ١٨.
(٣) مزمور ٣٤: ٧.
(٤) مزمور ١٠٣: ١١
(٥) مزمور ١٠٣: ١٣
(٦) دوم كولومبا مرميون: المسيح حياة النفس ص٦٦.

والبر اسم آخر للطاعة لله، فالذى يعمل ما يريد منه الله أن يعمله إنما يصنع البر.

ومن الصواب أن نقول. إن آدم كان ملكًا (قبل أن يخطئ)، والملك هو من يحكم. كان آدم يحكم كل العالم الذى وضعه الله تحت سلطانه، ولأنه كان يعرف مشيئة الرب (كنبى) كان يرغب فى أن يخدمه وحده (ككاهن) كان أيضًا قادرًا أن يعمل أعمال البر كملك على الخليقة.

وهكذا نرى أنه ليس صحيحًا أن نتكلم عن صورة الله فى الإنسان، ولكن من الصواب أن نتكلم عن الإنسان نفسه كصورة حقيقية الله[١].

ونحن نقول إن آدم كان ملكًا على الخلائق وله سلطان عليها، لأنه خليفة الله فى الأرض، ولا خصوصية لآدم فى أن جميع الخلائق مسخرة له.

❖ ❖ ❖

وبعد فإن خلاصة ما قاله المسيحيون عن حالة آدم قبل المعصية كما يلى: إن الله خلق الإنسان فى حالة البراءة، وكان الإنسان صورة حقيقية لله فى المعرفة والبر والقداسة ولكن لم يكن قد ثبت بعد فى تلك الحالة المباركة فوضع الله أمام أبوينا الأولين اختيارين:-

فمن جهة كان أمامهما طريق الطاعة الكاملة وهذا الطريق كان يؤدى فقط إلى الحياة الأبدية إذ يقول بولس (الإنسان الذى يفعلها - أى وصايا الله - سيحيا بها)[٢].

ولكن من جهة أخرى كان يوجد طريق العصيان، وهذا الطريق كان يؤدى فقط إلى الموت. إذ قال الرب لآدم متكلمًا عن شجرة معرفة الخير والشرر لأنك يوم تأكل منها موتًا تموت)[٣].

وهذا هو الذى تجده عندما تقرأ أصول الإيمان[٤].

---

(١) شرح أصول الإيمان جـ١ ص٤٠ ، ٤١.
(٢) غلاطية ٣ : ١٢.
(٣) تكوين ٢ : ١٧.
(٤) تفسير أصول الإيمان جـ١ ص٥٢.

وما قلناه سابقًا عن حالة الإنسان من المتفق عليه بين الكنائس.

جاء فى علم اللاهوت النظامى :ـ

من أوجه الاتفاق بين الكنائس الشرقية والغربية (أى الباباوية) والإنجيلية بالنسبة للتعليم فى الإنسان :ـ

(١) البراءة الأصلية أى أن الإنسان خلق صورة الله فى العقل والحرية والطهارة والقداسة على أنه محتاج إلى الامتحان وقابل للسقوط.

(٢) السقوط ومن لوازمه الخطية والموت والفساد والذنب والاحتياج إلى الخلاص (خلافًا للتعليم البيلاحى). وسنتحدث عنه بالتفصيل فى الصفحات التالية.

(٣) الفداء بالمسيح[١]

أما وجه الاختلاف بين الكنيسة الباباوية والكنيسة الإنجيلية فهو فى البر الأصلى هل هو طبيعى أم أنه فوق الطبيعة.

جاء فى علم اللاهوت النظامى : (أن بين تعليم الكنيسة الباباوية فى حال الإنسان الأصلية وتعليم الإنجيليين موافقة تكاد تكون تامة.

ووجه الخلاف بين الفريقين محصور فى قضية واحدة مهمة وهى أن الإنجيليين يعتقدون أن البر الأصلى فى آدم كان طبيعيًا.

أما الرومانيون فيعتقدون أنه كان فوق الطبيعة. فقالوا إن الله خلق جوهرى طبيعة الإنسان ـ أى النفس والجد ـ مائلين إلى المضادة، ولأجل الموافقة بينهما وخضوع الجسد للروح خضوعًا لائقًا أعطاه عطية غير عادية وهى البر الأصلى، فلما سقط آدم فقد بسقوطه هذا البر الفائق الطبيعة، ورفع إلى الحال الطبيعة التى كان عليها قبل تخويله إياه.

أما الإنجيليون فيعتقدون عكس ذلك، أى أن البر الأصلى طبيعى مخلوق مع الإنسان، وأن آدم كان طبعًا يحب الله ويميز مجده تعالى، كما كان طبعًا يحب نفسه ويميز جمال الخليقة، وأنه خلق قادرًا بالطبع، (أى بدون افتقار إلى موهبة جديدة

(١) علم اللاهوت النظامى ص١٥٤.

فوق ماله من المواهب) أن يتمم غاية وجوده العظمى وهى أن يمجد الله ويتمتع به إلى الأبد[١].

خلاصة تعليم الكتاب المقدس فى حالة الإنسان الأصلية

سنذكر هنا خلاصة تعليم الكتاب المقدس فى حالة الإنسان الأصلية وإن كانت تفهم مما سبق حتى يتبين مدى اختلاف البيلاجيين عن هذا التعليم.

يقول المسيحيون إن الكتاب المقدس يعلمنا أن الله أبدع الإنسان على ما يأتى :ـ

أولاً : فى حال البلوغ والكمال :ـ والمراد ببلوغه أنه لم يخلق طفلاً، فأخطأ من زعم أنه كان أولاً ضعيفًا عاجزًا مجردًا عن قدرة القيام بما يحتاج إليه وخاليًا من الكمال نفسًا وجسدًا وأنه تقوى عقله وجسده بالتدريج ووضع لنفسه لغة وتنبهت قواه الأدبية، لأن هذا الزعم مخالف لنص الكتاب على كيفية خلقه وما قام به من العمل بأمر الله وعلى أن الله كان أولاً يكلمه ويعلن له إرادته وهو يفهم كلامه وإعلانه تعالى وكل ذلك يدل على كماله الجسدى والعقلى[٢].

ويستدلون على ذلك بنصوص نذكر منها ما يأتى :ـ

فعند أول وجود الإنسان على الأرض "باركهم الله وقال لهم أثمروا واكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا"[٣].

وأوصى الرب الإله آدم قائلاً : "من جميع شجر الجنة تأكل وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها"[٤].

وكذلك ما ورد من الله أحضر الحيوانات والطيور لآدم[٥] ليرى ماذا يدعوها.

كل ذلك يدل ـ فى نظر المسيحيين ـ على بلوغه وكماله الجسدى والروحى.

ثانيًا : على صورته تعالى وشبهه : وهو الكمال الأدبى الذى فطر عليها أى على صورته فى المعرفة والقداسة والبر.

---

(١) المرجع السابق ص٦٠٩.
(٢) علم اللاهوت النظامى ص٥٩٤.
(٣) تكوين ١ : ٢٨.
(٤) تكوين ٢ : ١٦.
(٥) تكوين ٢ : ١٩، ٢٠.

ثالثًا: كونه ذا سلطان على الخلائق: "والمراد بذلك هو تخويل الله إياه السلطان على الخلائق، أى جعله رئيسًا على الأرض وحاز هذا السلطان بتخويل الله إياه القوى والمواهب وتفويضه الصريح له"[١] ومن الأقوال التى يستدلون بها على ذلك ما جاء فى الإصحاح الأول من سفر التكوين "فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التى تدب على الأرض"[٢]. كل ذلك لأنه ـ كما يقولون ـ خلق على صورة الله.

(التعليم البيلاجى فى[٣] حالة الإنسان الأصلية)

هو تعليم بيلاجيوس وجمهور العقليين الذين خالفوا تعليم الكتاب المقدس ـ كما

---

(١) علم اللاهوت النظامى ص٥٩٨.

(٢) تكوين ١: ٢٦.

(٣) التعليم البيلاجى أحد أنظمة اللاهوت الثلاث التى انتشرت على الدوام فى الكنيسة وهى: ١ـ النظام الأوغسطينى ٢ ـ النظام البيلاجى ٣ ـ النظام النصف البيلاجى. ودائمًا يكون النظام الأوغسطينى هو نظام تعليم الكتاب المقدس، والنظام البيلاجى نظام العقلانيين، والنصف البيلاجى بعضه بيلاجى وبعضه أوغسطينى.

وقضايا النظامين الأوغسطينى والبيلاجى المتناقضة برزت أولاً وحددت بسبب ما نشأ من الجدال فى أوائل القرن الخامس الميلادى بين الشهيرين أوغسطينوس الذى كان أسقف هبو فى شمال إفريقية من سنة ٣٩٥ ـ إلى سنة ٤٣٠م، وبيلاجيوس الراهب البريطانى الذى تصحب له تلميذاه، كويلستيوس وبوليانوس من أكلانوم فى إيطاليا.

أما النصف البيلاجى: فإنه لما اشتد الخصام فى شأن النظام البيلاجى شرع يوحنا كاسيانوس ـ وهو سورى الأصل تربى فى الكنيسة الشرقية ثم انتقل إلى مرسيليا فى فرنسا لأجل ترقية مصالح الرهبنة فى ذلك القطر ـ فى إنشاء نظام متوسط بين الأوغسطينى والبيلاجى. وقد سمى المعلمون ذلك النظام بالنصف البيلاجيين.

أما مبادئه الجوهرية فهى نفس مبادئ النظام المسمى الآن بالأرمينى (الذى ينتسب إلى يعقوب أرمينيوس الذى كان أستاذًا لعلم اللاهوت فى مدرسة ليدن الجامعة من سنة ١٦٠٢ م إلى حين سنة ١٦٠٩م (علم اللاهوت النظامى) ص١٣٨.

وهذا المذهب سمى بالنصف البيلاجى لأن بعضه أخذ عن بيلاجيوس وبعضه عن أوغسطينوس. وهو يخالف البيلاجى برفض الاعتقاد أن خطية آدم أضرت نفسه فقط. وهو يعلم أن نتائج تلك الخطية اجتازت إلى كل البشر وأثرت فى النفس والجسد كليهما فجعلت الجسد تحت طائلة الموت والمرض والألم وأضعفت النفس حتى صارت مائلة إلى الشر وعاجزة بدون المعونة الإلهية عن تكميل شىء مما هو محسوب عند الله من الصلاح والخير غير أن هذا الضعف فى النفس والميل إلى الخطية فعلا لا يحسبان عندهم من باب الخطية بل من باب البلية والتعطيل فقط، على أنهم يسلمون أن تلك الحال تؤدى لا محالة إلى ارتكاب الخطايا فعلا وهو يخالف الأوغسطينى فى أنه يعلم (١) أن خطية آدم غير محسوبه على نسله ولم يصب الجنس بسبب سقوط آدم غير الضعف الأدبى وانحراف الصحة الروحية وذلك على قولهم ليس خطية (٢) أن بداءة الخلاص هى من الإنسان أى هو يبتدئ أن يطلب الله ثم يأخذ الله فى مساعدته.(٣) أن رجوع النفس إلى الله من الأعمال الصالحة ذات الاستحقاق. (٤) أن الإنسان يشارك الله فى عمل التجديد والتقديس فنصف العمل محسوب لله والنصف الآخر للإنسان. (علم اللاهوت النظامى ص٦٣٦ ، ٦٣٧ ولقد اشتهر النظام الأوغسطينى بأنه إيمان الكنيسة الغربية الأرثوذكسى، ولم يكن لإنسان غير موحى إليه تأثير عام بين البابا وبين والإنجيليين نظير ما كان لأوغسطينوس. وكان أهم مسائل الخلاف بين الأوغسطينين الذين يمثلون فى نظر المسيحيين تعاليم الكتاب المقدس وبين البيلاجيين الذين يمثلون وجهة النظر العقلية تدور حول مسائل الخطية والنعمة (علم اللاهوت النظامى ص ١٣٣ ، ١٣٨).

جاء فى علم اللاهوت النظامى ـ فى شأن حال الإنسان الأصلية بعدة أشياء يمكن حصرها فى أمرين :ـ

الأول: أن الإنسان خلق فى الأصل بدون سجية أدبية أى خاليا من كل صفة أدبية خيرًا كان أم شرًا.

الثاني: أنه خلق قابلاً للموت أى كان موته محتومًا سواء خطئ أم لم يخطئ[١] فقد آمن بالإرادة الحرة وشك فى مبدأ الخطيئة الأولى[٢].

وسوف نتحدث عن هذين الأمرين بشئ من التفصيل ـ كما هو وارد فى كتب المسيحيين ـ ثم نعلق على كل واحد منهما.

الأمر الأول: أن الإنسان خلق فاعلاً مختارًا ولكن بدون صفات أدبية، أى ليس بارًا أو غير بار ولا قديسًا ولا غير قديس، غير أنه قابل أن يصير إلى ما شاء من الحالين لأنه خلق عاقلاً مختارًا أى أن سجيته متوقفة على كيفية استعمال عقله وإرادته، فإذا عمل حسنًا صار بارًا والعكس بالعكس، وبما أنهم أنكروا خلق صفة أدبية فى الإنسان رفضوا تعليم البر الأصلى لاعتقادهم أنه مخالف للعقل.

وقد نشأ هذا المذهب عن اعتقادهم أن السجية الأدبية لا تقوم إلا بأعمال الإرادة أو بنتائجها فى فاعلها، أى أن ليس مدحًا أو ذما عند الديان العظيم لسوى الأعمال، وكذلك ليس للأخلاق الداخلية صفة أدبية إلا إذا انتجت من الأعمال الاختيارية.

ولا ريب فى أن هذا المبدأ كما ينفى البر الأصلى فى آدم ينفى الفساد الذاتى الموروث منه المدعو غالبًا بالخطية الأصلية[٣].

وهذا المذهب صائب فى قوله إن الإنسان خلق عاقلاً مختارًا ونتيجة لاستخدام عقله واختياره يصبح بارًا أو غير بار.

---

(١) علم اللاهوت النظامى ص٥٩٩.

(٢) برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية جـ١ ص٩٧.

(٣) علم اللاهوت النظامى ص٥٩٩.

ويتضح ذلك مما جاء فى قصة الخليقة من أن الله أوصى آدم بالأكل من جميع شجر الجنة، وحذره من الأكل من شجرة معرفة الخير والشر.

ألا يظهر واضحا من هذا التحذير وتلك الوصية أن الله ترك آدم للاختيار، وعن طريق هذا الاختيار يتحدد مصير الإنسان عامة فى نظركم.

فإن آدم لو لم يخطئ لصار فى النعيم بالحياة الأبدية ولكنه أخطأ فوقع فى الضيق والألم، وكان هذا العمل منه واقعًا تحت طائلة عقله واختياره لأن الله قال له (يوم أن تأكل منها موتا تموت) فكان على آدم أن يختار

نعم إن الله ميز آدم عن باقى المخلوقات ولكن فى هذه النقطة بالذات تركه للاختيار.

جاء فى تفسير أصول الإيمان المسيحى(يجب أن نفكر عندما نقرأ أصول الإيمان أن أبوينا الأولين كانا قد تركا لحرية إرادتهما" هذا يعنى أن أبوينا الأولين كان لديهما أمران هامان.

الأول: كانت لهما الحرية أن يتبعا طريق الطاعة للحياة أو طريق العصيان للموت كانت لهما الحرية لأنه لم يكن لهما من يجبرهما على السير فى طريق أو فى آخر، حتى الشيطان لم يكن يستطيع أن يجبرهما على عمل ما يريد منهما أن يعملاه، كان يستطيع فقط أن يجربهما كان يستطيع أن يغويهما لعمل ما يريد منهما أن يعملا بمحض إرادتهما.

الثانى: كانت لهما المقدرة أن يختارا أيا من الاختيارين[١].

ومعروف أن هذا الاختيار يقوم على أساس أنه يوجد فى الإنسان (العقل) الذى به يحدد مصيره عن طريق اختياره.

التعليم الثانى فى حال الإنسان الأصلية التى خالف بها البيلاجيون الكنائس المسيحية هو: أن الإنسان خلق قابلاً للموت. أى كان لابد من موته سواء خطئ أم لم يخطئ، ومقصودهم بذلك نفى كون الموت نتيجة المعصية أو قصاصها،

(١) تفسير أصول الإيمان جـ١ ص٥٢ ، ٥٣.

وإثبات أن آدم كان تحت طائلة الموت ولو لم يسقط وذلك بسبب بنية طبيعته الأصلية[١].

وأدلتهم على هذا التعليم مقنعة وفيها ما يوافق بعض فقرات الكتاب المقدس، وأدلتهم هى: ١ ـ بنية آدم الجسدية: قالوا إنها لم تجعل موافقة لدوامه إلى الأبد، بل كانت فى ذاتها قابلة التلاشى، وكان يقتضى لها أن تراح دائمًا بالنوم، وتجدد بالطعام فلزم أن تشيخ وتفسد على طريقة طبيعية.

٢ ـ بنية سائر الحيوانات. قالوا إنه يظهر من تركيب بنية سائر الحيوانات التى تعيش على وجه الأرض أن خالقها لم يقصد بها أن تعيش إلى مالا نهاية، وأنه خلقها ذكرًا وأنثى لأجل دوام جنسها بواسطة التوالد، وقالوا هذا يبرهن أن الخالق أراد توالى الأشخاص لا دوامهم، وهو يصدق على الإنسان كما يصدق على غيره من الحيوانات، فيلزم منه أن الإنسان كان معينا للموت كذلك منذ البدء بدون نظر إلى الخطية.

٣ ـ قول بولس إن الإنسان من أصل ترابى[٢] وأن له جسدًا طبيعيًا وأنه لما كان هذا الجسد غير مؤهل للخلود لأن لحمًا ودمًا كما للإنسان فى هذا العالم لا يقدران أن يرثا ملكوت الله كان نوال الجسد الروحانى بعد القيامة (١ـ كورنثوس ١٥: ٤٢ ـ ٥٠) فاستدلوا منه أن الله لم يخلق آدم ليكون خالدًا فى هذه الدنيا بدليل أنه لم يؤهله أصلاً كذلك بل ألبسه جسدًا شأنه قبول الفساد[٣].

يقول برتراندرسل (فعلى الرغم من أن هذه الآراء قد تبدو الآن بغير جديد يستوقف النظر إلا أنها قد سببت فى ذلك العصر اضطرابًا شديدًا وأعلن أنها زندقة، وكان ذلك يرجع فى أغلبه إلى جهود بذلها القديس أوغسطين، ومع ذلك فقد صادفت نجاحًا ملحوظًا وإن يكن نجاحًا إلى حين[٤].

---

(١) المرجع السابق ص٦٠٧.

(٢) ويدل على هذا القول ما جاء فى سفر الجامعة (من التراب وإلى التراب يعود) ٣: ٢٠.

(٣) علم اللاهوت النظامى ص ٦٠٧.

(٤) تاريخ الفلسفة الغربية جـ٢ ص٩٧.

ولما كان هذا الرأى ينفى البر الأصلى والخطيئة الأصلية فإنه بالتالى ينفى عقيدة الخلاص المسيحية القائمة على الخلاص من الخطيئة الأصلية.

لذلك نجد أن هذا الرأى يعلم (أن القصد الأعظم فى رسالة المسيح هو أن يعلم ويؤكد الحقائق التى العقل البشرى مرتاب فيها وهذا ما يفعله بواسطة تعليمه.

ووظيفة المسيح الخصوصية هى التعليم، فإنه قد وضع ناموسًا جديدًا، وأعطى مثالاً حسنا للحياة المقدسة، وعلم شخصية الله وأوضح تعليم الحياة العتيدة بقيامته.

وأن موت المسيح كان ضروريًا لأجل الاستعداد لقيامته فقط، وقد قصد منه التأثير الأدبى فى الخطاة واستمالتهم إلى التوبة عن الخطيئة وتأكيد حلم الله لهم، لأن إرضاء العدل الإلهى غير ضرورى بموجب رأيهم وهو لا يمكن بواسطة الآم نيابية)[١].

وهكذا تبين أن هذا التعليم يرفض الخطية الأصلية وما يترتب عليها من فساد الطبيعة الموروثة التى تستدعى الخلاص.

لذلك نجد أنه يؤكد أن وظيفة المسيح هى أنه رسول الله يعلم الناس الطريق إلى الله.

(١) علم اللاهوت النظامى ص١٤١.

الفصل الثالث

سقوط الإنسان فى الخطيئة
فى القصور المسيحى

تمهيد:

يعتقد المسيحيون أن آدم عاش فى الجنة وهو على صورة الله فى المعرفة والقداسة والبر، وقد أعطى من النعم ما يضمن له السعادة والابتهاج، وكان عليه أن يحافظ على صورته التى خلقه الله عليها، وأن يحافظ على النعم التى أعطاه الله إياها فى الجنة التى وضع فيها، وذلك بألا يقرب شجرة معرفة الخير والشر ولا يأكل منها. كانت هذه هى الوصية التى أعطيت لآدم بعد وضعه فى الجنة. ولكن آدم لم يحفظ هذه الوصية وتعداها فسقط وأكل من الشجرة المحرمة وذلك نتيجة لظروف معينة ستظهر واضحة فيما بعد، فلم يبق الإنسان على حالته الأولى كاملاً ـ كما يقولون ـ فسقط من عليائه وتحولت حالته من حال السعادة والراحة إلى حال الشقاوة والتعب.

معنى السقوط[1]:

يقول ابن منظور: سقط: السقطة الوقعة الشديدة

سقط، يسقط، سقوطًا فهو ساقط وسقوط: وقع[2].

والسقوط يعنى فى المسيحية: الوقوع فى الخطيئة نتيجة لأكل آدم من الشجرة المحرمة، ولكى يتبين هذا المعنى واضحًا لابد من تعريف الخطيئة.

يقول كلايد تارنر "استعملت عدة كلمات فى الكتاب المقدس للدلالة على الانفصال الذى حدث بين الله والإنسان، فقد قيل فيه إنه: تعدّ، إثم، شر، إهانة، معصية، تمرد. ولكن الكلمة المستعملة عادة لوصف سقوط الإنسان هى الخطية، هذه

---

(١) المسيحيون يعبرون عن معصية آدم بالسقوط، وذلك فإن استخدامنا لها باعتبار أنها تعبير مسيحى يصور موقفهم من آدم عليه السلام بعد المعصية.

(٢) لسان العرب ص٢٠٣٧ ط دار المعارف.

هى الكلمة التى استعملها الله ذاته. فعندما أنذر قابين[١] قال إن لم تحسن فعند الباب خطية رابضة"[٢].

تعريف الخطيئة[٣]:

جاء فى لسان العرب: تحت كلمة "خطأ"

الخطأ، والخطاء: ضد الصواب، وقد أخطأ. وأخطأ الطريق: أى عدل عنه، وأخطأ الرامى الغرض: لم يصبه.

وخطئ الرجل يخطأ خطأ وخطأة على "فعله": أذنب[٤].

فالخطيئة تعنى لغويا: الذنب.

ويقال للفرد الذى أخطأ: حاد عن طريق الصواب. ولقد جاءت كلمة "الخطيئة" فى الكتاب المقدس بمثل بعض هذه المعانى اللغوية.

يقول إلياس مقار: "إن الخطيئة ومشتقاتها فى الأصل اللغوى" تعنى "القصور" أو "عدم بلوغ الهدف" أو "الانحراف" "إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله"[٥].

وتعنى "البُطل" أو "العدم" كالقول "ماذا وجد فىّ آباؤكم من جور حتى ابتعدوا عنى وساروا وراء الباطل وصاروا باطلاً"[٦].

وكقول بولس "إذا خضعت الخليقة للبطل"[٧].

وتعنى أيضًا "التمرد" أو "العصيان"

---

(١) تكوين ٤: ٧.

(٢) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص ٦٤.

(٣) والخطيئة على فعيلة: الذنب ولك أن تشدد الياء لأن كل ياء ساكنة قبلها كسرة، أو واو ساكنة قبلها ضمة، وهما زائدتان للمد لا للإلحاق ولا هما من نفس الكلمة، فإنك تقلب الهمزة بعد الواو واوا وبعد الياء ياء وتدغم وتقول فى مقروء: مقروّ، وفى خبئ: خبى بتشديد الواو والياء. لسان العرب ص ١١٩٣، أى يجوز أن يطلق على هذه الكلمة خطيئة وخطية.

(٤) لسان العرب ص١١٩٢، ١١٩٣.

(٥) رومية ٣: ٢٣.

(٦) إرميا ٢: ٥.

(٧) رومية ٨: ٢٠.

كما تعنى أيضًا "عدم الاستقرار" فى القول "أما الأشرار فكالبحر المضطرب لأنه لا يستطيع أن يهدأ أو تقذف مياهه حمأة وطيناً. ليس سلام قال إلهى للأشرار"[١]

وتعنى "الخيانة" "فمات شاول بخيانته التى خان بها الرب من أجل كلام الرب الذى لم يحفظه"[٢].

كما جاءت بمعانى "مرض" أو "ذنب" أو "خراب" أو "ضيق" أو "تعب" أو "تعد" وهذه الألفاظ تساعدنا على الحالة التى وجد فيها آدم بالسقوط، إذ لم يعد الإنسان البار السليم الصحيح، بل الإنسان المريض المنحرف الخائن المتمرد القاصر المتعب المتعدى المذنب غير المستقر[٣].

وهذه المعانى توضح تصور المسيحيين لحالة آدم بعد المعصية، وذلك لأن المعانى اللغوية التى أوردها القس فيها تزايد على المعانى الواردة فى اللغة العربية لكلمة خطيئة، فليس من معانيها فى اللغة العربية (العدم) ولا (الخراب) ولا (والضيق)، وإنما هى معانى تنطبق على تصورهم لحالة آدم بعد الخطيئة.

الخطيئة فى اصطلاح المسيحيين:

والخطيئة بوجه عام تعنى لدى المسيحيين[٤]: التعدى على شريعة الله وأحكامه أو عدم الامتثال لشريعة الله. ويدل على ذلك ما ورد "كل من يفعل الخطية يفعل التعدى أيضًا، والخطية هى التعدى[٥].

يقول القس/ لبيب ميخائيل: إن الكتاب المقدس وضع تعريفات واضحة للخطية نذكرها فيما يلى:

---

(١) أشعياء ٥٧: ٢٠ ـ ٢١.

(٢) أخبار الأيام الأول ١٠: ١٣.

(٣) القس إلياس مقار: قضايا المسيحية الكبرى ص٣٧٢ ـ ٣٧٣.

(٤) راجع فى ذلك: قاموس الكتاب المقدس ص٣٤٤، شرح أصول الإيمان ص١٠٣، تفسير أصول الإيمان ج ١ ص٥٢، علم اللاهوت النظامى ص٨١٩.

(٥) ١ـ يوحنا ٣: ٤.

١ ـ الخطية هى التعدى على قانون الله، وهذا يعنى أن الشخص الذى يخطئ يتعدى الحدود المرسومة فى ناموس الله ويدخل فى منطقة محرمة لا يصح له دخولها "لأن من حفظ كل الناموس وإنما عثر فى واحدة فقد صار مجرمًا فى الكل لأن الذى قال لا تزن قال أيضًا لا تقتل فإن لم تزن ولكنك قتلت فقد صرت متعديا الناموس"(١).

٢ ـ الخطية هى إهمال ناحية الخير فى الحياة: يضع يعقوب تعريفًا للخطية فيقول "من يعرف أن يعمل حسنًا ولا يعمل فذلك خطية له"(٢).

٣ ـ الخطية هى كل ما ليس من الإيمان "كل ما ليس من الإيمان فهو خطية"(٣).

٤ ـ الخطية هى كل إثم نرتكبه. فى رسالة يوحنا الأولى نجد هذا التعريف "كل إثم هو خطية"(٤).

٥ ـ الخطية هى فكر الحماقة: يعرف صاحب الأمثال الخطية فى هذه العبارة "فكر الحماقة خطية"(٥).

٦ ـ الخطية هى نور الأشرار: وهذا تعريف آخر لصاحب الأمثال "طموح العينين وانتفاخ القلب نور الأشرار خطية"(٦) ثم قال "هذا هو التعريف الكتابى للخطية"(٧).

وهذه التعريفات عبارة عن أوصاف للخطيئة أو أوصاف للشخص المخطئ ويجمعها التعريف الذى أوردناه فى قائمة التعريفات التى ذكرها.

---

(١) يعقوب٢: ١٠، ١١.
(٢) يعقوب ٤: ١٧.
(٣) رومية ١٤: ٢٣.
(٤) ١ ـ يوحنا ٥: ١٧.
(٥) أمثال ٢٤: ٩.
(٦) أمثال ٢١: ٤.
(٧) القس لبيب ميخائيل: صوت الاختبار ص٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦ بتصرف شديد، يقين الخلاص ص١١٨.

والخطيئة من الناحية الإيجابية ـ كما يقول عوض سمعان ـ ليست هى عمل الشر فحسب كما يظن كثير من الناس، بل إنها مجرد التفكير فيه، أو الميل إليه، أو التحدث به (فكر الحماقة خطيئة) و"من نظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه"[١] "وكل من يبغض أخاه فهو قاتل نفسه"[٢] "وكل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حسابا يوم الدين"[٣]" ومن قال يا أحمق يستوجب نار جهنم[٤] "ولا غرابة فى ذلك فهذه الاعمال تدل على انحراف نفس فاعلها عن كمال الله ـ وانحراف النفس عن كمال الله هو الخطية بعينها"

ومن الناحية السلبية ليست هى التقصير فى عمل الخير فحسب كما يظن كثير من الناس، بل إنها أيضًا الانشغال بأمور الدنيا عن الصلة بالله وتنفيذ مشيئته فى هذه الحياة كما قال "فمن يعرف أن يعمل حسنًا ولا يعمل فذلك خطية له"[٥].

وقال أيضًا إن محبة العالم ـ أو بالأحرى الانصراف إليه ـ عداوة لله"[٦] وإن "الأشرار يرجعون إلى الهاوية كل الأمم الناسين الله"[٧] ولا غرابة فى ذلك، فالله ليس فقط صالحًا ويطلب الصلاح، بل أيضًا خالقنا وصاحب الفضل علينا. ومن الواجب أن يكون له المقام الأول فى حياتنا[٨].

أقسام الخطية:

والخطيئة فى نظر المسيحية نوعان[٩]:

---

(١) متى ٥ : ٢٨.
(٢) ١ ـ يوحنا ٣ : ١٥.
(٣) متى ١٢ : ٣٦.
(٤) متى ٥ : ٢٢.
(٥) يعقوب ٤ : ١٧.
(٦) يعقوب ٤ : ٤.
(٧) مزمور ٩ : ١٧.
(٨) عوض سمعان: طريق الخلاص ص٩ ـ ١٠.
(٩) هذا التقسيم هو السائد بين المسيحيين. ولكن هناك بعض المسيحيين الذين يقسمون الخطيئة إلى ثلاثة أنواع: ١ ـ خطيئة آدم الأولى ٢ ـ فقدان البر الأصلى ٣ ـ المخالفات الفعلية. (شرح أصول الإيمان ص١١٨) وذلك على اعتبار أن فقدان البر الأصلى مرحلة أخرى بعد خطيئة آدم.

أصلية : وهى التى يولد الإنسان بها

وفعلية : وهى التى يرتكبها الفرد.

جاء فى "علم اللاهوت النظامى" وهى ـ أى الخطية ـ نوعان :

أصلية ، وفعلية ، أى مالنا بالوراثة ، ومالنا بأعمالنا الاختيارية. الأمر الجوهرى فيها هو نسبتها إلى شريعة الله ، أى أنها مخالفة لها أو عدم الامتثال لها. وهى تتضمن الفساد والجرم ، أى تستحق الدينونة أمام قداسة الله وأمام عدله أيضًا[١].

فالأصلية لا تعنى ـ فى نظرهم ـ أن الإنسان الأول خلق بها (فقد خلق الإنسان الأول بريئًا ، ثم دخلت الخطية إلى حياته وفكره عن طريق خطية آدم وحواء ، ومن ثم سيطرت على الجنس البشرى كله) كما هو مكتوب : إنه ليس بار ولا واحد ، ليس من يفهم. ليس من يطلب الله الجميع زاغوا وفسدوا معا. ليس من يعمل صالحًا ليس ولا واحد[٢] ويقولون وصف داود حالته بسبب الخطية الأصلية قائلا : (هأنذا بالإثم صورت ، وبالخطية حبلت بى أمى) [٣] انتقلت الخطية إلى الجنس البشرى بأسره لكنها لم تخلق فى الإنسان الأول قبل السقوط[٤].

يتبين لنا مما سبق أن المسيحين يميزون بين مرحلتين :

المرحلة الأولى : وهى قبل السقوط ، وفيها الإنسان بدون خطية.

المرحلة الثانية : وهى ما بعد السقوط ، وفى هذه المرحلة دخلت الخطية إلى العالم نتيجة لخطأ آدم وحواء ، ثم انتقلت الخطيئة إلى الجنس البشرى كله ، فأصبحوا يولدون بخطية أصلية أى سابقة عليهم وأصيلة فيهم.

ولذلك فللخطيئة الأصلية تعريف لدى المسيحيين :

---

(١) علم اللاهوت النظامى ص٨١٩.

(٢) رومية ٣ : ١٠ ـ ١٢.

(٣) مزمور ٥١ : ٥

(٤) القس صموئيل حبيب : الخلاص فى مفهومه الكتابى والتطبيقى ص٢٢.

ففى علم اللاهوت النظامى أن التعريف السلبى هو أن الخطية الأصلية (أى فساد الطبيعة المأخوذ من آدم) ليست:

١ ـ فساد ذات النفس أو جوهرها، فإن جوهر النفس لا يتغير بالسقوط ولا قبل الولادة الثانية ولا بعدها، بل تتغير أميالها وأحوالها، ففسادها الأصلى لا يمس جوهرها، بل أخلاقها وطبائعها وميل الإرادة فيها، لأنها انحرفت عن الصلاح وحادت عن الحق.

٢ ـ ولا عنصرًا مدخلاً إليها ممزوجًا بها كما يمزج السم بالخمر.

٣ ـ ولا فقد شىء من القوى لأنها لا تزال حائزة جميع قواها.

وأما التعريف الإيجابى فهو أن الخطية الأصلية:

١ ـ فساد عام فى أحوال كل قوى النفس، غير أنه لا يمس جوهرها بل أميالها فقط. وهذا يتضمن القضايا الآتية وهى: خلوها من البر الأصلى، وفساد طبيعة الإنسان الأدبية، فسادًا تامًا يشمل الحيدان عن الله، وعن كل خير روحى، والميل إلى كل شر، وأن كل ذلك يحسب خطية بالطبع لا محالة.

٢ ـ أن الخطية غير منفكة عن قلوب البشر حتى المتجددين، بل تحفظ فيهم إلى درجات مختلفة سجيتها الشريرة.

٣ ـ أنها "تميت النفس روحيا فالإنسان الطبيعى أو غير المتجدد[١] عاجز كل العجز من لقاء ذاته عن كل عمل صالح لدى الله"[٢].

فالخطية الأصلية تعنى عند المسيحيين: الفساد الأصلى لكل أحوال وقوى النفس، بمعنى أن هذه القوى قد أصابها الفساد نتيجة للخطيئة الأولى، وهذا الفساد

---

(١) أى غير المؤمنين بالمسيح، لأنهم يعتبرون أن الذى آمن بالمسيح خلص، وكما قلنا سابقًا فإن من معانى الخلاص: التجديد.

(٢) علم اللاهوت النظامى ص٦٧٣.

عبارة عن خلو النفس من البر الأصلى والمعرفة الأصلية والقداسة الأصلية تلك التى خلق الإنسان على صورة الله فيها. "والكتاب المقدس يعلم أن هذا الفساد الأصلى موروث أى أنه خاص بالطبيعة البشرية لا مكتسب من معاشرة الأشرار بعد الولادة"[١] أما لماذا يسمى المسيحيون هذه الحال الناقصة والفاسدة التى يولد عليها جميع البشر منذ السقوط بالخطية الأصلية؟ فإنهم يجيبون على ذلك بما يأتى:

١ ـ لأنها خطية بالطبع لا مجرد بلية أو حادثة محزنة.

٢ ـ لأنها صدرت عن آدم باعتبار كونه أصل جنسنا.

٣ ـ لأنها أصل جميع الخطايا الأخرى.

٤ ـ لأنها تمتاز طبعًا عن الخطايا الفعلية[٢].

أما الخطايا الفعلية فهى التى يفعلها المرء بعد ولادته، أى يكتسبها الفرد بعد ولادته. وهذه الخطايا تكون نتيجة للخطية الأصلية، أى نتيجة لحالة الفساد الذاتى لكل أحوال وقوى النفس.

يقول القس/ صموئيل حبيب (إن الخطية ليست مجرد الأعمال الخاطئة التى تصدر عن الإنسان، بل هى حالة الفساد التى فى الإنسان والتى بسببها تصدر الخطايا الأخرى[٣].

عامل السقوط فى الخطيئة فى التصور المسيحى:

إن قصة السقوط كما يرويها الكتاب المقدس يظهر فيها أن عامل السقوط هو الحية[٤].

الحية فى الكتاب المقدس: يفهم من عباراته أن الحية كانت قبل السقوط لها ملامح أخرى وصفات أخرى غير التى نراها بها الآن وذلك نتيجة لأن الله لعنها

---

(١) المرجع السابق ص٦٧٤.

(٢) المرجع السابق ص٦٧٢.

(٣) الخلاص فى مفهومة الكتابى والتطبيقى ص٢١.

(٤) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص ٥٤..

لأنها هى التى قامت بعملية الإغواء لحواء وآدم، بل سخطها وجعلها تمشى على بطنها "فقال الرب الإله للحية لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية على بطنك تسعين وترابًا تأكلين"[١].

يفهم من هذه الفقرة أنها كانت قبل اللعنة بوصف آخر غير هذا الوصف.

يقول كلايد تارنر: أما كيف كان شكل الحية ومظهرها وميزاتها الخاصة قبل السقوط فهو على الراجح أمر غامض يصورها البعض مخلوقًا جميلاً يسير منتصبا لا زاحفًا على الأرض[٢].

والحية فى الكتاب المقدس بوجه عام: أحيل جميع حيوانات البرية[٣]، حيوان يزحف على بطنه[٤]، لها رأس وذنب[٥] لكن ليس لها أطراف، تسمى اسمًا شاملاً فى العبرية نحاش، وإذ تتلوى فى سيرها يكون فمها معرضًا للاحتكاك بالتراب الذى تلحسه[٦]، ولدغة بعض أنواعها تصب سمًا مميتًا فى الجرح[٧] وبعضها يمكن أن يرقى[٨].

والحية موجودة فى البرية وفى المناطق المأهولة، وعلى الطرق، وفى السياجات وعلى الصخور وفى الجدران[٩]. أما الحيات المحرقة فهى التى أرسلها الرب على شعب إسرائيل فلدغتهم وسببت الموت. جاء فى سفر العدد (فأرسل الرب على الشعب الحيات المحرقة فلدغت الشعب فمات قوم كثيرون من بنى إسرائيل)[١٠].

---

(١) تكوين ٣: ١٤.
(٢) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص ٥٤، ٥٥.
(٣) تكوين ٣: ١.
(٤) تكوين ٣: ١٤.
(٥) تكوين ٣: ١٥.
(٦) ميخا ٧: ١٧، تكوين ٣: ١٤.
(٧) عدد ٢١: ٦، مزمور ٥٨: ٤، أمثال ٢٣: ٣٢.
(٨) جامعة ١٠: ١١.
(٩) تكوين ٤٩: ١٧، أمثال ٣٠: ١٩، جامعة ١٠: ٨، عاموس ٥: ١٩.
(١٠) عدد ٢١: ٦.

أما الحية النحاسية: فهى شكل حية محرقة صنعها موسى وأقامها على عمود فى البرية ـ حسب ما جاء فى الكتاب المقدس ـ لكى ينظر إليها بنو إسرائيل الذين لدغتهم الحيات المحرقة. (فأتى الشعب إلى موسى وقالوا قد أخطأنا إذ تكلمنا على الرب وعليك فصل إلى الرب ليرفع هنا الحيات، فصلى موسى لأجل الشعب. فقال الرب لموسى أصنع لك حية محرقة وضعها على راية فكل من لدغ ونظر إليها يحيا، فصنع موسى حية من نحاس ووضعها على الراية فكان متى لدغت حية إنسانا ونظر إلى حية النحاس يحيا)[١].

وفى السنين التالية بدأ العبرانيون يستخدمونها كصنم فحطمها حزقيا (وعمل ـ حزقيا ـ المستقيم فى عينى الرب حسب كل ما عمل داود أبوه ـ هو أزال المرتفعات وكسر التماثيل وقطع السوارى وسحق حية النحاس التى عملها موسى لأن بنى إسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يوقدون لها وَدَعَوْها ـ أى حزقيا ـ نُحُشْتان)[٢] أى قطعة نحاس فقط كما فى إحدى الترجمات[٣].

❖ وأما قصة إغواء الحية لحواء وآدم فإننا نترك المجال للكتاب المقدس لوصف هذا الإغواء حيث يقول (وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التى عملها الرب الإله. فقالت للمرأة أحقًا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة. فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة نأكل. وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتاه. فقالت الحية للمرأة لن تموتا. بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة العيون وأن الشجرة شهية للنظر فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضًا معها فأكل. فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان. فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر)[٤].

---

(١) عدد ٢١: ٧ ـ ٩.
(٢) ملوك ثانى ١٨: ٣، ٤.
(٣) قاموس الكتاب المقدس ص٣٣٣.
(٤) تكوين ٣: ١ ـ ٧.

فالحية استخدمت أساليبها فى إغواء حواء، لكى تأكل من شجرة المعرفة، فأكلت حواء منها وأعطت آدم فأكل، فسقطا فى الخطيئة.

ووجهة النظر المسيحية الشائعة تشير إلى أن القوة الشيطانية استخدمت الحية لفعل الإغواء لحواء وآدم "فالشيطان أخفى روحه عن آدم وحواء فى حية"[١].

ويشرح (جرها ردوس فوس) الآراء التفسيرية لاتصال الحية بالروح الشريرة فيقول: هناك أكثر من رأى لتفسير ذلك: أما الرأى العصرى الذى يبغض الاعتراف بصحة الكتاب المقدس فهو يرى أن القصة كلها مجرد قطعة رمزية لم يقصد الكاتب منها وصف حادثة واحدة محدودة بل محاولات مستمرة للخطية للدخول إلى قلب الإنسان، وهكذا تكون الحية رمزًا أو مجازًا مثل بقية القصة.

وهذا الرأى يتنافى مع هدف القصة الواضح والتى تتحدث عن حية فعلية يقارن بينها وبين جميع الحيوانات التى خلقها الله، فإن كانت الحيوانات الأخرى حقيقية فلابد أن يكون الحية حية حقيقية وليست شيئًا آخر.

وفى تكوين ٣: ١٤ نجد العقاب ينطق به بعبارات تستلزم وجود حية حقيقية.

على أن البعض الآخر قد ذهب إلى أقصى الطرف المقابل وهو أنه لم يكن سوى حية والاقتباسات التى أشرنا إليها[٢] قد تتفق مع هذا الرأى أكثر مما مع الرأى الأول، ولكن مما لا يتفق مع تعليم الكتاب المقدس عن الحيوانات أن نرى حية ـ مجرد حية ـ تتكلم.

إن الكتاب يفرق بين الآدميين الذين لهم اللسان الناطق وبين العجماوات التى لا تستطيع البيان وليس هناك سوى استثناء واحد هو أتان بلعام[٣][٤].

---

(١) الأنباسا ويرس: الدر الثمين فى إيضاح الدين ص٣٣.

(٢) أى الاقتباسات من سفر التكوين الإصحاح الثالث (وهى اقتباسات خاصة بإغواء الحية لحواء وآدم وسقوطهما فى الخطيئة).

(٣) وكلام أتان بلعام وارد فى سفر العدد، ذلك أن بلعام ضرب أتانه ثلاث مرات (ففتح الرب فم الأتان فقالت لبلعام ماذا صنعت بك حتى ضربتنى الآن ثلاث دفعات فقال بلعام للأتان لأنك ازدريت بى لو كان فى يدى سيف لكنت الآن قد قتلتك، فقالت الأتان لبلعام ألست أنا أتانك التى ركبت عليها منذ وجودك إلى هذا اليوم هل تعودت أن أفعل بك هكذا قال: لا.. إلى آخرة) ٢٢: ٢٨ ـ ٣٠.

(٤) جرها ردوس فوس: علم اللاهوت الكتابى، ترجمة د/ عزت زكى ص٥٩.

وهكذا يصور لنا هذا الكتاب المسيحى التفسيرات الخاصة بإغواء الحية لحواء، فيذكر أن هناك من ينكر صحة هذه القصة مفسرا إياها بأن الحية رمز أو مجاز، ثم يشير إلى عدم صحة هذا الرأى.

أما الرأى الثانى فيقول بصحة هذه القصة، غير أن الحية لم تكن سوى حية، أى أن أصحاب هذا الرأى ينكرون استخدام الشيطان للحية

وهو ينكر هذا الرأى أيضا

واعتراضه عليه ينحصر في أن خاصية الحيوانات عدم الكلام بلسان يفهمه الآدمي ويقول إن هذا تعليم الكتاب المقدس، ثم يأتي فيستثنى كلام الأتان لبلعام. ونحن بدورنا نقول: لماذا يستثنى كلام الأتان ولا يستثنى كلام الحية أيضًا؟ خاصة وأنه لادلالة صريحة أو غير صريحة في العهد القديم أن وراء ـ الحية روحًا شريرة قد تقمصت فيها: إن هذا تحكم لا أصل له.

وفي علم اللاهوت النظامي "جواب على مثل هذا فيقول:

أما كيف أمكن للحية أن تتكلم؟ فليس في كلام الحية من الصعوبة أكثر مما في سماع كلام مفهوم من سيناء أو لصوت من السماء عند معمودية المسيح، أو كلام أتان بلعام"[١].

والمراد بالكلام المفهوم من سيناء ما جاء في سفر الخروج من أن موسى كان يرعي الغنم في البرية "وجاء إلى جبل الله حوريب ـ أي جبل سيناء ـ وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة. فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق. فقال موسى أميل الآن لأ نظر هذا المنظر العظيم. لماذا لا تحترق العليقة. فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة، وقال موسى موسى. فقال هأنذا فقال لا تقترب إلى ههنا اخلع حذاءك من رجليك. لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة"[٢].

---

(١) علم اللاهوت النظامي ص٦٢٢.

(٢) خروج ٣: ١ ـ ٥.

والمراد بالصوت المسموع عند معمودية المسيح هو ما جاء في العهد الجديد من أن روح الله نازلة من السماء مثل الحمامة وهي تقول (هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت) (فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء وإذا بالسموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل الحمامة وآتيا عليه وصوت من السموات قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت)[١].

فليس كلام الحية بأصعب من الكلام الذي وقع لموسى من وسط عليقة والكلام أيضًا للمسيح من الروح التي هي مثل الحمامة.

وعليه فإن اعتراض (جرها ردوس فوس) على الرأى الثانى بحجة أن الحية لا تتكلم ولا تستطيع البيان غير مقبول للأدلة السابقة التى ذكرناها. ويبقى القول بأن الحية هى عامل الإغواء لا إبليس هو ما صرح به الكتاب المقدس عندهم.أما الرأي الذي يرتضيه (جرهاردوس) وأكثر المسيحيين فهو كما يقول: وعلى ذلك لم يبق أمامنا إلا الرأي التقليدي القديم الذي يسلم بوجود حية حقيقية وقوة شيطانية استخدمت هذه الحية مطية لتنفيذ مخططها، وليس هذا أمرًا مستحيلاً، وإننا لنجد في الأناجيل ما يماثل ذلك، حيث استخدم الشيطان الإنسان وتحدث بلسانه والحفريات الأثرية الحديثة قد أيدت صحة هذا الرأي القديم، لأنه في الرموز البابلية تبدو الحية ومن خلفها صورة شيطانية، وبالإضافة إلى ذلك فهناك شهادة الكتاب الواضحة عن وجود روح شرير وراء التجربة، صحيح أن العهد القديم لا يلقي ضوءا على هذا الموضوع، وذلك لسبب مزدوج فمن جانب أنه نادر ما يشار إلى حادث السقوط هناك، ومن الجانب الآخر أن موضوع الأرواح الشريرة بجملته و"الشيطان" و"المقاوم ظل خافيا"[٢].

وخلاصة أدلتهم على أن وراء الحية قوة شيطانية ما يلى:

---

(١) متى ٣: ١٦ ، ١٧، مرقس ١: ٩ ـ ١١، لوقا ٣: ٢١ ، ٢٢.

(٢) جرهاردوس: علم اللاهوت الكتابي ص٥٩ ، ٦٠.

١ ـ أن الأناجيل تشير إلى استخدام الشيطان للإنسان.

٢ ـ الحفريات الحديثة أكدت وجود الصور الشيطانية وراء الحية فى الرموز البابلية.

وفى النهاية يحاول الكاتب المسيحى أن يوجد مبررا لعدم ذكر ذلك فى العهد القديم.

وسوف نناقش ذلك كله فيما يأتى: ـ

إما قوله إن استخدام الشيطان للحية ليس مستحيلاً لأنه يماثل ما جاء في الإناجيل من أن الشيطان استخدم الإنسان وتحدث بلسانه فنحن نقول إن هذا ليس دليلاً على استخدام الشيطان للحية لأن المفارقة بين الأمرين بعيد: **أولاً:** أن الحية حيوان والحيوان لا يستطيع التحدث بينما الإنسان حيوان ناطق يستطيع التحدث.

ثانيًا: أن الإنسان أفضل مخلوقات الله، وأن الله ميزه عن المخلوقات كلها بآلة التمييز وهي العقل للتمييز بين الخير والشر، وذلك لأن طبيعته قابلة للخير والشر. فالله ميزه بالعقل التي هي آله التعقل والتمييز والإدراك حتى يميز بين ما هو خير له وبين ما هو شر له، والطبيعة الإنسانية لاشك أنها مكونة من ناحية روحية وناحية جسدية وكل منهما يحاول إشباع رغباته، فإذا غلبت الناحية الجسدية انحدر الإنسان إلى الناحية الشريرة التي تتمثل في إشباع الرغبات والشهوات والنزعات الجسدية، فإذا دخل الشيطان للإنسان من هذه الناحية فإنه لم يخلق في الإنسان طبيعة جديدة على طبيعته، لأن طبيعته قابلة للخير والشر، والإنسان يعمل الشر وهو يعلم أنه شر.

وذلك بخلاف الحيوانات التي ليس من طبيعتها التعقل والتمييز، بمعنى أنها ليست مكلفة فإن طبيعتها واحدة، وهي بذلك مسخرة للإنسان وحده.

وأما استدلاله على استخدام الشيطان للحية بأن الحفريات الأثرية الحديثة تؤيد ذلك الرأي عن طريق الرموز البابلية التي تبدو الحية فيها ومن خلفها القوة الشيطانية.

فإننا نقول إنه دليل إدانة، لأن الأساطير البابلية كانت تملأ الجو الذي عاش فيه اليهود خلال السبى البابلي، وتأثرهم بهذه الفترة مسلم به لدى الباحثين إذ أنها كانت بمثابة التحضر لهم.

والثابت تاريخيًا أن اليهود ما كتبوا التوراة إلا بعد رجوعهم من السبى.

معى ذلك أنها كانت توجد في الأساطير البابلية قبل أن توجد بين اليهود ولا شك أن السابق يؤثر على اللاحق.

ويكفي من دليل على أن العهد القديم الذي هو أساس العقائد المسيحية ومصدرها لا يذكر شيئًا عن هذا الاستخدام.

أما ما ساقه الكاتب المسيحى من مبررات فلا تعتبر دلائل إنما هى أعذار لعدم ذكرها، وهذه الأعذار غير مقبولة، وهل تقبل أعذار لعدم ذكر عقيدة في المصدر الأساسي؟

فلا دليل من العهد القديم على أن الموسوس لحواء وآدم هو الشيطان وعمدة الدليل من العهد الجديد ما جاء فى سفر الرؤيا "فطرح التنين العظيم الحية القديمة المدعو إبليس والشيطان الذي دخل العالم كله"[١].

وأيضًا "فقبض على التنين الحية القديمة الذي هو إبليس والشيطان"[٢].

وكما قلنا سابقًا فإن رؤيا يوحنا مشكوك في صحة نسبتها إلى يوحنا الرسول لذلك اختلف المسيحيون حول كاتبها[٣] هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى فإن الكنيسة

---

(١) رؤيا يوحنا ١٢ : ٩.

(٢) رؤيا يوحنا ٢٠ : ٢.

(٣) يقول د القس/ فهيم عزيز (هناك شبه اتفاق بين علماء الكتاب المقدس على أن كاتب الإنجيل لا يمكن أن يكون هو نفسه كاتب سفر الرؤيا وهذا الرأي ليس حديثًا ولكنه يرجع إلى أوريجانوس رئيس المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية الذي بنى ذلك على الاختلاف الواضح بينهما). (المدخل إلى العهد الجديد ص٥٧٥ ويقول ول ديورانت) (وقد يبدو من غير المعقول أن يكون كاتب الرؤيا هو نفسه كاتب الإنجيل الرابع ذلك أن سفر الرؤيا يهودي وأن الإنجيل فلسفة) قصة الحضارة جـ٣ من المجلد الثالث ص٢٧٤.

ترددت في قبول سفر الرؤيا لكي يكون من الكتب القانونية، فلم تعترف به في مجمع نيقية الذي حدد الكتب القانونية وإنما قبلته في مجمع لوديسا ٣٦٤م[١].

وبرغم أنه اعترف بقانونية هذا السفر إلا أن هناك من الكنائس من لم تعترف به إلا في وقت متأخر.

يقول القس/ فهيم عزيز: أما الكنيسة السريانية فلم تضعه من ضمن الكتب المقدسة إلا في القرن الثاني عشر الميلادي[٢].

وعموم القول فإننا ناقشنا هذه الفكرة لأن البحث العلمي يفرض نفسه علينا، ومع ذلك فإننا نسير مع البحث وننتقل بعد ذلك إلى بيان أنه إذا كان الشيطان هو سبب الإغواء فلابد من معرفة الشيطان في نظر المسيحية، وعداوته لآدم، وسبب عدواته.

الشـــيطان

واسم "الشيطان" بالألف واللام هو أشهر أسماء قوى الشر لأنه ورد في كتب الديانات الثلاث ودخل في تعبيرات اللغات الأوربية بلفظه المنقول عن اللغات السامية[٣].

وهذه الكلمة ترجمة الكلمة العبرية "شطن" ومعناها "مقاوم"[٤].

ولقد ورد الشيطان في الكتاب المقدس بأسماء عديدة مثل:

❖"رئيس سلطان الهواء" يقول بولس "وأنتم إذ كنتم أمواتا بالذنوب والخطايا التي سلكتم فيها قبلا حسب دهر هذا العالم حسب رئيس سلطان الهواء الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية"[٥].

---

(١) راجع المدخل إلى العهد الجديد ص١٥٤، علم اللاهوت النظامي ص٩٨.
(٢) المدخل إلى العهد الجديد ص٦٤١.
(٣) العقاد: كتاب إبليس ص٣٢.
(٤) قاموس الكتاب المقدس ص٥٣٣.
(٥) أفسس ٢: ١ ـ ٣.

❖ وأيضًا سمى "بليعال" يقول بولس "وأي اتفاق بين المسيح وبليعال"[١].

وبليعال: اسم عبري معناه "عديم الفائدة" أو "شرير". وهو اسم كان كتّاب الأسفار المقدسة يلقبون به كل من كان ذميمًا أو لئيما لا يخاف الله ولا يهاب إنسانا"[٢].

❖ وأطلق عليه "رئيس هذا العالم" يقول يوحنا "أجاب يسوع وقال ليس من أجلي صار هذا الصوت بل من أجلكم، الآن دينونة هذا العالم. الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجًا"[٣].

يقول الأنبا ساويرس: وإن شك أحد أن رؤساء هذا الدهر ليسوا هم إبليس وجنوده، فإن الإنجيل المقدس يزيل شكه، لأنه في عدة مواضع يسمى إبليس رئيس هذا العالم، على أن بولس أيضًا يظهر لنا في رسائله في عدة مواضع أن رؤساء هذا الدهر هم الشياطين، لأنه يقول في رسالته إلى أهل أفسس (إنه من الآن يا أخوتي تقووا في الرب وفي شدة قوته، ألبسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس، فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم، بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية في السماويات)[٤] فهذا قول ظاهر أظهر لهم فيه أنهم رؤساء وولاة هذا العالم المظلم لأنهم ملكوه لما ملكوا على آدم وذريته بطاعتهم له[٥].

❖ وأطلق عليه القتال، والكذاب، وأبو الكذاب. يقول المسيح لليهود الفريسيين فيما ينقله يوحنا في إنجيله (أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا. ذاك كان قتالاً للناس من البدء ولم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حق. متى تكلم بالكذب فإنه يتكلم مما له لأنه كذاب وأبو الكذاب"[٦].

---

(١) ٢ كورنثوس ٦: ١٥.
(٢) قاموس الكتاب المقدس ص١٨٩.
(٣) يوحنا ١٢: ٣٠، ٣١.
(٤) أفسس ٦: ١٠ ـ ١٢.
(٥) الأنباساويرس: الدر الثمين في إيضاح الدين ص٤٣.
(٦) يوحنا ٨: ٤٤.

❖ وأشهر أسماء "الشيطان الأكبر" "إبليس".

يقول د/ بطرس عبد الملك: أصل الاسم في اللغة اليونانية "ديابوس"، ومعناه "المشتكي زورا"، أو "الثالب"، والكلمة (ديابوس) في العهد الجديد باللغة اليونانية ترجمت في العربية في معظم الأماكن بكلمة "إبليس"، وفي مواضع قليلة ترجمت "بالشيطان" أو "الثالب" وهو "روح شرير" أو "شيطان"[١] يقول العقاد "يختلف اللغويون في أصله كما يختلفون في نسبة كلمة شيطان إلى إحدى اللغات السامية، والمتكلم العربي يفهم من وصف إنسان من الناس بإنه إبليس كل ما يريده القائل من هذه الصفة، فهي دالة في كلام الخاصة والعامة على الدس والفتنة والدهاء والسعي بالفساد.

ويرى بعض الغربيين أن الكلمة في أصلها يونانية من كلمة (ديابلوس) التي تفيد معنى الاعتراض والدخول بين شيئين كما تفيد معنى الوقيعة، وأصلها في اليونانية من "ديا" بمعنى "أثناء" و"بالين" بمعنى يقذف أو يلقى، ومعنى الكلمتين قريب من معنى الاعتراض والدخول بين الشيئين أو قريب من ثم إلى معنى الوقيعة[٢].

ثم يقول "وعندنا أن هذا التركيب أضعف من قول القائلين إن كلمة "ديفل" أي الشيطان في اللغات السكسونية مأخوذة من فعل الشر أي من كلمة "دو" بمعنى يفعل وكلمة "إيفل" بمعنى الشر"، وقد أجمع اللغويون والدينيون على نبذ هذا التركيب مع أنه أقرب إلى صفة الشيطان من الصفة التي توحي بها الكلمتان اليونانيتان بعد التمحل والاعتساف"[٣].

ولقد وردت الكلمة في الكتاب المقدس في مواضع كثيرة وهي تعني في أغلب الأحيان إلى أنه "روح شريرة" أو "شيطان" ففي إنجيل متى "ثم أصعد يسوع إلى البرية من الروح ليجرب من إبليس[٤]".... ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص١٥.
(٢) إبليس ص٣٤.
(٣) نفس المصدر، نفس الصفحة.
(٤) متى ٤ : ١.

جناح الهيكل[١].... ثم أخذه إبليس إلى جبل عال جدًا وأراه جميع ممالك العالم ومجدها[٢].... ثم تركه إبليس وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه"[٣].

"وهذا هو المثل، الزرع هو كلام الله والذين على الطريق هم الذين يسمعون ثم يأتي إبليس وينزع الكلمة من قلوبهم لئلا يؤمنوا فيخلصوا[٤]. "والعدو الذي زرعه هو إبليس"[٥].

وفي أعمال الرسل "يسوع الذي من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة الذي جال يصنع خيرًا ويشفى جميع المتسلط عليهم إبليس"[٦] وكلها تعني "الروح الشريرة" أو "الشيطان".

ويطلق على رؤساء الشياطين "بعلزبوب": وهو اسم كنعاني.

وفي العهد الجديد جاء "بعزبول".

وأصل هذا الاسم "بعزبوب" فغير اليهود لفظه إلى "بعزبول" ومعناه "بعل الأقذار" لأنهم كانوا يحتقرون آلهة الوثنيين ويعتبرونهم كشياطين، وأما بعلزبوب ومعناه إله الذباب فكان إله عقرون[٧]، والأرجح أنه كان إله الطب عندهم وهو أكبر جميع آلهتهم، ولذلك دعى رئيس الشياطين، وقد ظن البعض أنه بعل المساكين لأنه رئيس الأرواح النجسة التي تدخل بعض الناس وتسبب الجنون كالروح[٨] النجس الذي أخرجه يسوع من الإنسان المجنون حينما دعاه الفريسيون بعزبول رئيس الشياطين[٩].

---

(١) متى ٤: ٨.

(٢) متى ٤: ٥.

(٣) متى ٤: ١١.

(٤) لوقا ٨: ١١، ١٢.

(٥) متى ١٣: ٣٩.

(٦) أعمال ١٠: ٣٨.

(٧) ملوك ثاني ١: ١، ٢ (وسقط أخزيا من الكوة التي في عليته التي في السامرة فمرض وأرسل رسلاً وقال لهم اذهبوا اسألوا بعل زبوب إله عقرون إن كنت أبرأ من هذا المرض...).

(٨) متى ١٢: ٢٤.

(٩) قاموس الكتاب المقدس ص١٨٣.

ولقد ورد لفظ "بعلزبول" في العهد الجديد كرئيس للشياطين بلسان الفريسيين ففي إنجيل متى: "إن كانوا قد لقبوا رب البيت بعلزبول فكم بالحرى أهل بيته"[١] وأيضًا "أما الفريسيون فلما سمعوا قالوا هذا لا يخرج الشياطين إلا ببعلزبول رئيس الشياطين"[٢].

وفي إنجيل مرقس "وأما الكتبة الذين نزلوا من أورشليم فقال إنه معه بعلزبول وإنه برئيس الشياطين يخرج الشياطين"[٣].

وفي إنجيل لوقا "وأما قوم منهم فقالوا ببعلزبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين"[٤].

وبعد

فلقد أطلق على قوى الشر والأرواح الشريرة أسماء ومعاني كثيرة ولعل أشهرها هو كلمة "الشيطان" الذي هو ـ كما يقول القس صموئيل حبيب ـ كائن حقيقي وهو أعلى شأنا من الإنسان ورئيس رتبة من الأرواح النجسة[٥].

ولا يفوتنا أن نقول: إن قوله عن الشيطان إنه أعلى شأنا من الإنسان قول لا يتناسب مع الصورة الحقيقية للإنسان التي رسمها الكتاب المقدس" فقال الله نعمل الإنسان على صورتنا وشبهنا..."[٦].

وكذلك أيضًا لا يتناسب مع قول يوحنا (من يفعل الخطية فهو من إبليس لأن إبليس من البدء يخطئ)[٧] وواضح من هذه الفقرة أن الذي يرتكب الخطيئة من الإنسان ينحدر إلى مرتبة أقل وهي مرتبة إبليس، فالإنسان بطبيعته أعلى في المرتبة والدرجة من الشيطان.

---

(١) متى ١٠ : ٢٥.
(٢) متى ١٢ : ٢٤.
(٣) مرقس ٣ : ٢٢.
(٤) لوقا ١١ : ١٥.
(٥) قاموس الكتاب المقدس ص٥٣٣.
(٦) تكوين ١ : ٢٦.
(٧) ١ ـ يوحنا ٣ : ٨.

طبيعة الشيطان وصفته

يعتقد المسيحيون أن طبيعة الشيطان روحية "وهو ملاك سقط بسبب الكبرياء، ورغم ذلك فهو يمتاز بكل امتيازات هذه الرتبة من الكائنات سواء كانت عقلية كالإدراك والذاكرة والتمييز، أو حسية كالعواطف والشهوات، أو إرادية كالاختيار، وهو خبيث، فإنه قائد العصاة على الله، يعمل ضد البر والقداسة، ومملوء بالكبرياء والمكر والقساوة، حالته تنطبق على صفاته فلكونه عدو الله وهو مطرود من وجهه، ومحبوس مع رفقائه في موضع العذاب، حيث يعاقب على العواطف النجسة التي فيه، والأعمال الخبيثة الناتجة عنها، غير أن طرده إلى عالم الظلمة لا يمنع اشتغاله في الأرض كإله هذا العالم وعدو الإنسان اللدود"[١].

يقول الأنبا ساويرس: أول ما خلق الله السماء والأرض قبل أن يخلق أحدًا على الأرض خلق الملائكة في السماء أرواحًا بغير أجسام، خلقهم فرقًا فرقًا، ولكل فرقة طبقة، أعني مرتبة يسكن فيها، ولكل مرتبة مقدم، فكان مقدم الفرقة في الطبقة التي هي أعلا جميع المراتب ملاك اسمه "سلطانائيل" والملائكة، لأنهم يعيشون بتسبيح الله وتقديسه كما تعيش الأجسام بالطعام، فساعة أن خلقهم الله سبحوه جميعهم وقدسوه بالطبع، فلما نظر سلطانائيل علو مرتبته استكبر نفسه وظن أنه مثل الله فلم يسبحه ولم يقدسه، ومنع جميع العساكر الذين في مرتبته عن التسبيح، فأسقطهم الله معه جميعًا إلى الأرض وصاروا شياطين[٢].

ويزيد ذلك وضوحًا فيقول "بعد أن خلق الله السماء والأرض خلق الملائكة بروح قدسه[٣] خلقهم من النور روحانيين بغير أجسام[٤] خلق الملائكة صفوفًا صفوفًا

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص٥٣٤. راجع أيضاً: ١ ـ بطرس ٥: ٨، ٢ بطرس ٢: ١١، رسالة يهوذا :٦، ٢ ـ كورنثوس ٢: ١١.

(٢) الدر الثمين في إيضاح الدين ص٣٢.

(٣) وذلك إشارة إلى ما جاء في مزمور ٣٣: ٦ من أن السموات والأرض خلقت بكلمة الله والملائكة خلقت بروح قدسه بكلمة الله قامت السموات وجميع أجنادها بروح فمه) وفي الترجمة الحديثة (وبنسمة فيه كل جنودها).

(٤) مزمور ١٠٤: ٤ (الصانع ملائكته رياحًا وخدامه نارا ملتهبة).

ولكل صف منزلة في السماء العليا التي هي أول خلقه على قدر مرتبته أعني مرتبة العساكر ولكل صف مقدم، وعدد الصفوف مائة كما يشهد بذلك يسوع المسيح في الإنجيل المقدس عن المائة خروف (متى ١٨ : ١٢)[١] لأن الناس لا يعرفون من الملائكة إلا تسع صفوف التي سمتها الأنبياء وهم: الملائكة، ورؤساء الملائكة، والرؤساء، والسلاطين، والكراسي، والأرباب، والقوات، والكاروبيم والسارافين، وأما رب الأنبياء وخالق الملائكة فقد ذكر أنهم مائة صف والناس لا يعرفون غير تسعة والعاشرة فقط هي التي سقطت.

فلما خلق الملائكة في بدء خلقه النور في أول الأيام الذي هو يوم الأحد سبحوه للوقت جميعهم وقد سوه لأنه لتسبيحه وتقديسه خلقهم ولا حياة لهم ولا نعيم روحانيين إلا بهما وبدونهما لا يتنعمون نعيمًا مؤبدًا ويحيون حياة مؤبدة مع الإله الدائم المؤبد كما يعيش الجسدانيون في الدنيا ويتنعمون بالأطعمة الفانية لحياة فانية ونعيم فان. فكان مقدم المرتبة العليا في المنزلة التي فوق جميع المنازل سلطانائيل وهو كان المقدم للمنزلة التي فوق المائة منزلة لأن المنازل مائة كما قد ذكرت وكما قال يسوع (إن المنازل في بيت أبي كثيرة)[٢] وذلك يحقق تفسير المائة خروف، فلما سبح جميع العساكر وقدسوا خالقهم نظر سلطانائيل مقدم المنزلة العليا أنه فوق الجميع فاستكبرت نفسه ولم يسبح خالقه ولم يمجده مثلهم بل شبه نفسه به فى قلبه ومنع جميع الذين معه في منزلته من التسبيح والتقديس فأطاعوه وللوقت أسقطه الله وإياهم جميعهم من أجل طاعتهم له فيما لا يرضي الله خالقهم[٣].

يقول إشعياء (كيف سقطت من السماء يا زُهَرة بنت الصبح، كيف قُطعت إلى الأرض يا قاهر الأمم، وأنت قلت في قلبك أصعد إلى السموات أرفع كرسي فوق

---

(١) يريد بذلك ما ورد في متى ١٨ : ١٢ "ماذا تظنون إن كان لإنسان مئة خروف وضل واحد منها أفلا يترك التسعة والتسعين على الجبال ويذهب يطلب الضال" وهي لا تدل على مقصوده كما سيظهر.

(٢) يوحنا ١٤ : ٢.

(٣) الدر الثمين في إيضاح الدين ص٤٥ ـ ٤٦.

كواكب الله وأجلس على جبل الاجتماع في أقاصي الشمال، أصعد فوق مرتفعات السحاب. أصير مثل العلى، ولكنك انحدرت إلى الهاوية إلى أسافل الجب)[١].

ويقول القس/ منسي يوحنا (سقط الشيطان من رتبته باختياره وحريته وتحولت فيه قوات الخير إلى قوات الشر)[٢].

ويقول العقاد (وإنما ـ أي الشيطان ـ كان في الكتب العبرية أو اليهودية واحدًا من الملائكة المغضوب عليهم أو واحدًا من الأرواح المتمردة)[٣].

يقول كلايد تارنر "أما من أين جاء هذا العدد الضخم من الأرواح الشريرة فإن ما نعرفه عنه لا يعدو النزر القليل من الفقرات الواردة في الكتاب المقدس التي تذكر شيئًا عن هذه الأرواح نستنتج منها أنها كائنات مخلوقة كانت في يوم بلا خطية وتحت قيادة الشيطان عصوا الله فطردهم من حضرته.

يقول الكتاب المقدس عنهم (الملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم"[٤] وبطرس يقول "لأنه إن كان الله لم يشفق على ملائكة قد أخطأوا بل في سلاسل الظلام طرحهم في جهنم وسلمهم محروسين للقضاء"[٥].

وقال يسوع لرسله "رأيت الشيطان ساقطًا مثل البرق من السماء"[٦].

أما سبب سقوط الشيطان وملائكته فغير مذكور ويبين بولس أنه الكبرياء "لئلا يتصلف[٧] فيسقط في دينونة إبليس" وهكذا[٨] أصبح الشيطان عدو الله وقد قاد أنصاره لمحاربة الله بكل طريقة ممكنة[٩].

---

(١) إشعياء ١٤ : ١٢ ـ ١٥.

(٢) حياة آدم ص٦٦.

(٣) إبليس ص٩٠.

(٤) رسالة يهوذا فقرة رقم ٦.

(٥) ٢ بطرس ٢ : ٤.

(٦) لوقا ١٠ : ١٨.

(٧) صلف الشيء صلفًا: قل خيره يقال: صلف النبات: قل ريعه، وصلف الطعام: قل غذاؤه وصلف السحاب: قل مطره وكثر رعده.. وصلف فلان: لم يحظ عند الناس وأبغضوه فهو صلف وهي صلفة (المعجم الوسيط جـ١ ص٥٢٠).

(٨) ١ـ تيموثاوس ٣ : ٦.

(٩) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص٥٥.

فالشيطان في نظرهم ـ له طبيعة روحية وهي طبيعة الملائكة ولكنه سقط من رتبته وانحدر من منزلته بسبب الكبرياء، ثم أخذ يعمل فكره على أن يفسد على الإنسان حياته (ففكره مشتغل على الدوام بالمقاصد والأعمال التي مآلها قلب مقاصد الله وأعماله وهو في ذلك كسائر الملائكة جسور مغامر، أما عمله بين الناس منذ البدء فهو الغدر والمخاصمة والظلم والقساوة وهو بشخصه أو بواسطة ملائكته يجرب الناس للخطيئة أو يصدهم عن القداسة ويشتكي عليهم بالخطيئة والضعف وعدم الثبات نحو بعضهم ونحو الله ويعرضهم للشقاوة الحالية والمستقبلة)[١] وهو قادر على التشكل بأشكال حسنة يقول بولس (ولا عجب لأن الشيطان نفسه يغير شكلهم إلى شبه ملاك نور فليس عظيمًا إن كان خدامه يغيرون شكلهم كخدام للبر)[٢].

❖ ويتضح من نصوص الكتاب المقدس أن لإبليس سلطانًا على العالم، ويظهر ذلك من التجارب التي امتحن بها إبليس السيد المسيح في البرية، فإبليس من خلال هذه التجارب يحاول إغواءه بما يملكه من العروض والمغريات، ولقد وردت هذه القصة في الأناجيل الثلاثة (متى، مرقس، لوقا). وهي كما جاءت في إنجيل "متى" (ثم أصعد يسوع إلى البرية من الروح ليجرب من إبليس، فبعد ما صام أربعين نهارًا وأربعين ليلة جاع أخيرًا فتقدم إليه المجرب وقال له إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزًا، فأجاب وقال مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله، ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل، وقال له إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل. لأنه مكتوب أن يوصي ملائكته بك، فعلى أياديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك، قال له يسوع مكتوب أيضًا لا تجرب الرب إلهك، ثم أخذه أيضًا إبليس إلى جبل عال جدًا وأراه جميع ممالك العالم ومجدها، وقال له أعطيك هذه جميعها إن خررت

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص٥٣٤.

(٢) ٢ كورنثوس ١١: ١٤، ١٥.

وسجدت لي، حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد)[١].

"وهذه القصة أوفى ما جاء في الأناجيل عن سلطان إبليس على ممالك العالم"[٢].

وسلطان إبليس أو الشيطان على العالم يظهر أيضًا من إطلاق الأناجيل عليه أنه رئيس هذا العالم بل لقد أطلق المسيح على الشيطان رئيس هذا العالم. فيروي إنجيل يوحنا إن السيد المسيح قال لتلاميذه ليلة وداعهم "الآن دينونة هذا العالم، الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجًا، وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلى الجميع"[٣] ويقول يوحنا فيما يرويه عن المسيح (إن أبي أعظم مني، وقلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون، لا أتكلم أيضًا معكم كثيرًا لأن رئيس هذا العالم يأتي وليس له في شيء)[٤].

وكذلك ورد على لسان المسيح (وأما الآن فأنا ماض إلى الذي أرسلني وليس أحد منكم يسألني أين تمضي. لكن لأني قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم. لكني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق. لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي. ولكن إن ذهبت أرسله إليكم. ومتى جاء ذلك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة، أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بي. وأما على بر فلأني ذاهب إلى أبي ولا ترونني أيضًا وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين)[٥].

❖ وسلطان إبليس على العالم يظهر من تعليلات الإنجيل لحالات المرض التي قد تصيب الإنسان. يقول د/ بطرس عبد الملك (ولإبليس قوة على إعطاء الأرواح النجسة سلطة على البشر)[٦] يقول لوقا في سفر الأعمال "يسوع الذي من الناصرة

---

(١) متى ٤: ١ ـ ١١.
(٢) إبليس ص٨٧.
(٣) يوحنا ١٢: ٣١، ٣٢.
(٤) يوحنا ١٤: ٢٨ ـ ٣٠.
(٥) يوحنا ١٦: ٥ ـ ١١.
(٦) قاموس الكتاب المقدس ص١٦.

كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة الذي جال يصنع خيرًا ويشفي جميع المتسلط عليهم إبليس لأن الله كان معه"[١] ولهذا فقد أطلقت الأناجيل على حالات المرض أنها أرواح شريرة وأن هذه الأرواح الشريرة إنما هي شياطين.

يقول مرقس (وكانت المدينة كلها مجتمعة على الباب. فشفى كثيرين كانوا مرضى بأمراض مختلفة وأخرج شياطين كثيرة ولم يدع الشياطين يتكلمون لأنهم عرفوه)[٢] فكلمة "أخرج شياطين" بمعنى أنه أخرج الأرواح الشريرة التي تسببت في الأمراض، فكانت النتيجة أن شفى الكثيرون.

ويقول لوقا (وكان في المجمع رجل به روح شيطان نجس)[٣].

يعتقد المسيحيون أن هذه الأرواح الشريرة هي رسل مرسلة من قبل الشيطان وتحت أمره وسلطانه، وهذه الأرواح تدخل في الناس والبهائم فتحدث فيهم أعراض الجنون والصرع والعمى.

يقول القس/ صموئيل حبيب "وكان دخول الشياطين في الناس أمرًا حقيقيًا ظهر على هيئة أمراض جسدية وعقلية وذلك مثل الخرس والعمى والصرع"[٤].

ومن الأمثلة على ذلك مما جاء في الأناجيل قول "متى" عن إنسان أخرس أخرج المسيح الشيطان منه فتكلم (وفيما هما خارجان إذا إنسان أخرس مجنون قدموه إليه فلما أخرج الشيطان تكلم الأخرس. فتعجب الجموع قائلين لم يظهر قط مثل هذا في إسرائيل أما الفريسيون فقالوا برئيس الشياطين يخرج الشياطين)[٥].

---

(١) أعمال ١٠ : ٣٨.

(٢) مرقس ١ : ٣٣ ، ٣٤.

(٣) لوقا ٤ : ٣٣.

(٤) قاموس الكتاب المقدس ص٥٣٤ ، ٥٣٥.

(٥) متى ٩ : ٣٢ ـ ٣٤، وعن أمثلة أخرى فى الأناجيل لحالات الجنون، والعمى، والصرع ، وشفاء المسيح لهم عن طريق إخراج الشياطين والأوراح الشريرة، راجع متى ١٢ : ٢٢ ـ ٢٩، وفى ٩ : ١٤ ـ ٢٨، متى٨ : ٢٨ـ ٣٤.

يستدل المسيحيون بهذه النصوص وغيرها على مدى سيطرة الشيطان على العالم من خلال تسلطه بأرواحه الشريرة على الناس.

❖ أما أعوان الشيطان في هذه التجارب فهم عصبة الأرواح الساقطة الذين شاركوه في العصيان الأول ويعملون معه لمخالفة إرادة الله وضرر أولاده الأبرياء[١].

يقول بولس للقديسين في أفسس "البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس. فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات"[٢].

ويقول بولس "فإني إن أردت أن أفتخر لا أكون غبيا لأني أقول الحق. ولكني أتحاشى لئلا يظن أحد من جهتي فوق ما يراني أو يسمع مني. ولئلا أرتفع بفرط الإعلانات أعطيت شوكة في الجسد ملاك الشيطان ليلطمني لئلا أرتفع"[٣].

فللشيطان ـ كما قال بولس ـ ملائكة وهم أعوانه وشركائه في إغواء الناس إلى الشر.

❖ وقد سمى المتأصلون في الشر والكذب والقتل أولاد إبليس.

يقول السيد المسيح لليهود فيما ترويه الأناجيل المسيحية (لماذا لا تفهمون كلامي. لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قولي. أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا. ذاك كان قتالاً للناس من البدء ولم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حق متى تكلم بالكذب فإنه يتكلم مما له لأنه كذاب وأبو الكذاب)[٤].

ويقول يوحنا (أيها الأولاد لا يضلكم أحد. من يفعل البر فهو بار كما أن ذاك بار. من يفعل الخطية فهو من إبليس....)[٥].

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص٥٣٤.

(٢) أفسس ٦: ١١ ، ١٢.

(٣) ٢ كورنثوس ١٢: ٦ ، ٧.

(٤) يوحنا ٨: ٤٣ ، ٤٤.

(٥) ١ يوحنا ٣: ٧، ٨.

ويقول القس/ صموئيل حبيب (ويظهر أن الشيطان بسماح من الله اكتسب بعض السلطان على عناصر العالم الهيولية، وهو يستخدمها لمقاصده الخبيثة، علمًا بأنه ذكي يعرف صفات الإنسان وطباعه وأمياله، ويستخدمها للإيقاع في الخطيئة، ومن يتشرب بتلك صار وكيلاً للشيطان في التغرير بالآخرين، وإسقاطهم في مهاوي الشر والرذيلة، فمن يصير لهم هذا المشرب وتلك الطباع يلقبون بأبناء الشيطان)[١].

ويدل على هذا المعنى ما ورد عن السيد المسيح ـ فى الأناجيل ـ من أنه سمى يهوذا الذي أسلمه "شيطان": ففي إنجيل يوحنا (أجابهم يسوع أليس أني أنا اخترتكم الاثنى عشر وواحد منكم شيطان، قال عن يهوذا سمعان الأسخريوطي لأن هذا كان مزمعًا أن يسلمه وهو واحد من الاثنى عشر)[٢].

فلقد سمى يهوذا شيطانا لأنه يعمل بأعمال الشيطان.

ولا ننسى في تعليقنا على الفقرة الأخيرة إن نقول إن تسمية يهوذا "بشيطان" يتناقض مع ما وعده به المسيح فإن المسيح وعد الاثنى عشر تلميذا بالنعيم المقيم ووعدهم بكرسي المجد (فقال لهم يسوع الحق أقول لكم إنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضًا على اثنى عشر كرسيًا تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر)[٣] فإن هذا وعد وذاك وعيد وفرق كبير بينهما.

❖ أما نهاية الشيطان: فإنه ـ كما يعتقدون المسيحيون ـ سيقبض عليه ويقيد بالسلسلة ويطرح في الهاوية ويختم عليه لكي لا يضل الأمم فيما بعد، وفي النهاية يطرح في بحيرة من النار والكبريت ويعذب نهارًا وليلاً إلى أبد الآبدين.

يقول يوحنا في رؤياه (ورأيت ملاكًا نازلاً من السماء معه مفتاح الهاوية وسلسلة عظيمة على يده، فقبض علي التنين الحية القديمة الذي هو إبليس والشيطان وقيده

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص٥٣٤.
(٢) يوحنا ٦: ٧٠، ٧١.
(٣) متى ١٩: ٢٨.

ألف سنة وطرحه في الهاوية وأغلق عليه وختم عليه لكي لا يضل الأمم فيما بعد حتى تتم الألف سنة وبعد ذلك لابد أن يُحل زمانًا يسيرًا)[١].

ثم يقول (ثم متى تمت الألف سنة يُحل الشيطان من سجنه ويخرج ليضل الأمم الذين في أربع زوايا الأرض جوج وماجوج ليجمعهم للحرب الذين عددهم مثل رمل البحر. فصعدوا على عرض الأرض وأحاطوا بمعسكر القديسين وبالمدينة المحبوبة فنزلت نار من عند الله من السماء وأكلتهم. وإبليس الذي كان يضلهم طرح في بحيرة النار والكبريت حيث الوحش والنبي الكذاب وسيعذبون نهارًا وليلاً إلى أبد الآبدين)[٢].

ويحكي "متى" ما سيحدث يوم القيامة حين يجلس السيد المسيح على كرسي الدينونة "ثم يقول للذين عن اليسار اذهبوا يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته"[٣].

هذا هو إبليس أو الشيطان بداية ونهاية أوردناه مختصرًا حتى يكتمل البحث.

عداوة الشيطان لآدم وأسبابها فى التصور المسيحى

إن الشيطان أكبر عدو لله وذلك نتيجة لخطيئته التي ذكرها بولس وهي الكبرياء وقد عمل الشيطان على أن يوقع الإنسان أيضًا في عصيان الله، لذلك عندما خلق الله الإنسان بدأ الشيطان ـ وذلك على حسب أن وراء الحية قوة شيطانية ـ يسعى ليجلب عليه الخراب والدمار عن طريق إيقاعه في المعصية. وحيث إن الشر قد صار طبعًا له فأراد أن يستخدم هذه القوة الشريرة ليفسد طبع آدم الحسن"[٤].

---

(١) رؤيا يوحنا ٢٠ : ١ ـ ٣.

(٢) رؤيا يوحنا ٢٠ : ٧ ـ ١٠.

(٣) متى ٢٥ : ٤١، ٤٢.

(٤) القس منسي يوحنا : حياة آدم ص٦٦.

يقول كلايد تارنر: اقتاد الشيطان الرجل والمرأة الأولين إلى الخطية ليس لأنه مهتم بخلاصهما أو عدمه ولكن لأن همه الاول كان مقصورًا على أنه بواسطة خطيتهما يستطيع أن يطعن الله وهذا هو مقصوده الأول من وراء كل خطية.

لا يهم الشيطان مبدئيًا أن نخلص أو نهلك ولكن همه الأعظم والأوحد أن يقودنا إلى الخطية فيستطيع من جراء ذلك أن يستخدمنا في حربه ضد الله وهذا ما تعنيه الخطية، إننا بها نضع أنفسنًا في يد الشيطان فيستعملنا واسطة لطعنة يوجهها إلى قلب الله[١].

فالقول السابق يوحي بأن السبب الأساسي الذي يجعل الشيطان يوقع الإنسان في الخطيئة هو أن يطعن الله، وهذا القول يقبل لو أن خطيئة الإنسان تنقص من ملك الله شيئًا، أما وأن الطاعة لا تزيد في ملك الله شيئًا وأن المعصية لا تنقص من ملك الله شيئًا فإن هذا القول لا يقبل.

ولو كانت خطيئة الإنسان طعناً لله لما قبل الله توبته إذا رجع إليه، بل يطرده من رحمته كما طرد إبليس وعصابته.

ولكن الأمر غير ذلك والشاهد ما جاء فى الكتاب المقدس (توبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم[٢]) فإن المعنى أن الإنسان إذا تاب ورجع إلى الله قبل الله توبته ومحا خطيئته.

وعليه فإن ما ذكره الكاتب المسيحى غير مقبول لما ذكرنا.

وهناك سبب آخر لعداوة الشيطان للإنسان أورده "الأنباساويرس" فقال:

"فلما نظرهما إبليس - أي بعد دخولهما الجنة - وعلم أنهما لمرتبته خلقا حسدهما[٣] عليها، فقال في نفسه أنا استكبرت وتشبهت بالله فأسقطني بعدله ومتى

---

(١) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص٧٠.

(٢) أعمال الرسل ٣: ١٩.

(٣) سفر الحكمة ٢: ٢٤ (خلق الله الإنسان خالدًا على صورته في الطبيعة الكاملة ولكن بحسد الشيطان دخل الموت إلى العالم "وسفر الحكمة من الأسفار المحذوفة في الطبعات البروتستانتية.

استكبر هذان وتشبها بالله مثلي أسقطهما بعدله كما أسقطني بعدله أريد أن أحتال عليهما حتى يفعلا كفعلي اختيارًا لا اضطرارًا فيوجب المولى الذنب عليهما دوني ويسقطهما كما أسقطني ولوقته دبر عليهما حيلة حتى سقطا مثله باختيارهما بغير قهر"[١].

يقول القس/ منسي يوحنا: "ومن ثم لما أرى الشيطان الإنسان قائمًا سعيدًا في جنة عدن حسده وغار منه"[٢].

ومع كون هذا السبب "الحسد" مقبولاً من الناحية الطبيعية ذلك أن الذي كان في مرتبة كبيرة ثم انحدر إلى أسفل سافلين ثم نظر فوجد آخر يعتلي عرش منزلة مثل منزلته فإنه يجد نفسه ـ حتى ولو لم يكن شيطانًا ـ منساقًا لأن يحقد عليه ويحسده على ما فيه.

وبرغم هذا فإن دليله قد استقاه من سفر الحكمة وهو غير مسلم به لدى جميع الطوائف المسيحية لذلك نجد هذا السفر من الأسفار المحذوفة في الطبعات البروتستانتية.

وتعليقنا على الفقرة السابقة ينحصر حول قول الأنباساويرس (حتى سقطا مثله) نعم إن آدم وحواء عصيا ربهما ولكن ليس بمثل الشيطان حيث إن معصية الشيطان هي الاستكبار بينما معصية آدم الأكل من شجرة محرمة عن طريق إغواء الشيطان. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن سياق قصة معصية آدم ينقض قوله (حتى سقطا مثله) حيث إن آدم وحواء حين أخطآ كما يقول الكتاب المقدس (اختبآ من وجه الرب الإله في وسط الجنة فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت فقال: سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت)[٣].

واليقين أنه ـ أي آدم ـ مادام يخشى الله ويخجل منه فإنه بعصيانه ليس مثل إبليس في عصيانه، فهذا استكبر، والاستكبار فيه معنى التبجح وصفاقة الوجه، بينما آدم

---

(١) الأنباساويرس: الدر الثمين في إيضاح الدين ص٣٣.

(٢) حياة آدم ص٦٦.

(٣) تكوين ٣: ٨ ـ ١٠.

خشى الله وخاف منه وخجل من لقائه فاختبأ، والخشية والخوف والخجل من الله ليس فيها ذرة من الاستكبار، بل فيها معنى الانكسار والندم والحزن.

وهناك أمر ثالث يدل على أن معصية آدم ليست كمعصية إبليس وهو ما فعله الله مع آدم وحواء بعد المعصية وما فعله مع إبليس بعد العصيان. نعم إن الله طرد آدم وحواء من الجنة ولكن صنع لهما أقمصة من جلد وألبسهما[١] فهذا يدل على عدم طردهما من رحمة الله وإلا لما صنع الله لهما الأقمصة. بينما هوى إبليس بعصيانه إلى أسفل السافلين بطرده من رحمة الله.

❖ ❖ ❖

الأساليب التي استخدمها الشيطان من أجل إغواء آدم

ولما كان الشيطان يهدف إلى أن يوقع الإنسان في الخطيئة فإنه استخدم في سبيل ذلك جميع ما لديه من وسائل وأساليب.

ولقد عدد كتّاب المسيحية كثيرًا من هذا الأساليب نذكر منها ما يلي:

أولاً: إخفاء شخصيته:

يقول كلايد تارنر: إن للشيطان هيئات عديدة يتستر بها ويختبئ خلفها... إنه لا يقرب إنسانًا ليقول له "إنني شيطان" وبولس يقول إنه ـ أي الشيطان ـ يظهر أحيانًا كملاك. "ولا عجب لأن الشيطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور"[٢].

وكانت الهيئة التي اختبأ خلفها إبليس من أجل إغواء آدم وحواء هي الحية.

يقول الأنباساويرس (إنه أخفى روحه عنهما في حية)[٣] "إنه لا يأتي للإنسان وجهًا لوجه بل بواسطة فلم يذهب هو بنفسه إلى آدم وحواء ليغويهما بل استخدم الحية للغواية"[٤].

---

(١) تكوين ٣: ٢١.

(٢) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص٦٥.

(٣) الدر الثمين في إيضاح الدين ص٣٣.

(٤) القس/ منسي يوحنا: حياة آدم ص٦٦.

أما لماذا خص الحية بالذات؟

وذلك لأن الحية ـ كما يقولون ـ أحيل جميع الحيوانات (وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية)[١] أي أكثرها حيلة ولهذا وجد فيها الشيطان الإناء المناسب والواسطة الملائمة ذلك أنه لو ظهر الشيطان في صورته الحقيقية لما كان للخطية سحرها[٢] "ولما كانت الحية أكثر الحيوانات مكرًا وخداعًا اتخذها الشيطان أداة لتجربته"[٣].

وهناك تعليل آخر لاستخدام الشيطان الحية بالذات أورده "الأنباساويرس" وهو أن الحية هي الحيوان الوحيد الذي استطاع أن يدخل الجنة.

يقول الأنباساويرس (فأما الحية فإن السبب في دخولها إلى الفردوس هو أن الله لما أحضر إلى آدم جميع الحيوانات لم يكن في جميعها أحسن من الحية فتركها عندهما في الفردوس يتفرجان عليها وبذلك السبب وجد الشيطان فرصة ليطغيهما بها لأنه نظرهما كثيري الأنس إليها باللعب معها ولاسيما حواء[٤].

ويقف الإنسان أمام هذا القول متحيرًا...

هل الحية فعلاً أجمل الحيوانات؟ وإذا كانت أجمل الحيوانات في نظر آدم فإن عقيدتكم تبين أن آدم هذا كان ممثلاً للجنس البشري فلو كان آدم اختارها على أساس أنها أجمل الحيوانات لكان هذا واقعًا من نسله، ومادام ذلك لم يقع فإن في هذا القول بعض الشكوك.

ومن ناحية أخرى: فإن آدم وحواء هما اللذان اختارا الحية لتكون معهما ألا يكون اختيار آدم للحية من جميع الحيوانات لأن تبقى معهما في الجنة يجعلها أكثر وفاء لآدم وحواء منه لإبليس؟

---

(١) تكوين ٣: ١.

(٢) علم اللاهوت الكتابي ص٦١.

(٣) الدين المسيحي للمرحلة الثانوية ص٣١ سنة ١٩٦٦.

(٤) الدر الثمين في إيضاح الدين ص٥٠.

ولا أفهم كيف تكون الحيوانات كلها مسخرة بأمر الله للإنسان[١] ثم هي سلاح يسخره الشيطان ضد الإنسان. فهل هي مسخرة للشيطان أم للإنسان؟

إن جواب الكتاب المقدس أنها مسخرة للإنسان ومادامت مسخرة للإنسان فإن الإنسان هو الذي يستخدمها لا غيره. وكذلك فإن الحيوانات خلقها الله غير مكلفة بشيء وذلك في حدود دائرة التسخير للإنسان ـ فكيف لا يكلفها خالقها ثم يكلفها غيره وهو إبليس وهو غير خالق لها؟

ثم إن الحيوانات كلها طائعة بلسان حالها لله خالقها، مسبحة له ومقدسة، وقد ذكر ذلك الكتاب المقدس فى أكثر من موضع[٢].

ولو كانت الحيوانات ـ النى منها الحية ـ غير طائعة لله لأن الشيطان استخدمها لعصيان الله لما قال الله لنوح وقت الطوفان (ومن كل حى ومن كل ذى جسد اثنين من كل تدخل إلى الفلك لاستبقائها معك. تكون ذكراً وأنثى. من الطيور كأجناسها ومن البهائم كأجناسها ومن كل دبابات الأرض كأجناسها. اثنين من كل تدخل إليك لاستبقائها)[٣].

فإن الله أمر نوحا بأن يأخذ من الحية ومن جنسها الذكر والأنثى لاستبقائها، فكيف تستبقى مع أن إبليس اتخذها سلاحا ضد الإنسان من أجل معصية الله؟.

ثم إن المعجزة الأولى لموسى عليه السلام هى قلب العصا حية (فقال له الرب ما هذه فى يدك فقال عصا، فقال اطرحها إلى الأرض فطرحها إلى الأرض فصارت حية فهرب موسى منها، ثم قال الرب لموسى مد يدك وامسك بذنبها، فمد يده وأمسك به فصارت عصا فى يده)[٤].

فكيف تكون الحية عامل إغواء استخدمه إبليس من أجل أن يعصى الإنسان ربه، والتى بسبب هذا الإغواء لعنها الله تعالى وقال لها (ملعونة أنت من جميع البهائم

---

(١) تكوين ١ : ٢٤ ـ ٣١..

(٢) راجع: مزمور ١٤٨ : ١٠ ـ ١٣، إشعياء ٤٣ : ٢٠، وراجع أيضا ما حدث من أتان بلعام فى سفر العدد ٢٢ : ٣١ ـ ٣٤

(٣) تكوين ٦ : ١٩ ـ ٢١.

(٤) خروج ٤ : ٢ ـ ٤.

ومن جميع وحوش البرية)[١] ثم تكون هى ـ أى الحية ـ بعد ذلك عامل هداية مع موسى؟

ثانيًا: بذر الشك في محبة الله[٢]:

يصور المسيحيون استخدام الشيطان لهذه الوسيلة بما يلى:ـ يقولون إن طريقة التجربة تنقسم إلى مرحلتين وفي كليهما نجد أن الهدف الرئيسي للمجرب هو بذر الشك في عقل المرأة.

أما الشك في المرحلة الأولى فقد كان في ظاهره شكًا بريئًا يهدف إلى التشكيك في حقيقة الأمر ولكن تختبئ تحته إشارة خفية ماكرة إلى شك من نوع أخطر يتضمن عدم الثقة في كلمة الله ومفهومها الصريح الواضح.

وفي المرحلة الثانية من التجربة يخلع الشك قناع التنكر الذي يختفي وراءه ذلك لأن المرأة رحبت في المبدأ بالفكر الذي طرح عليها أولاً في خبث. وإذ بدأت في الخطوة الأولى أصبح من المنطقي أن تخطو مع المجرب الخطوة الثانية.

"في المرحلة الأولى يسأل العدو مجرد سؤال" أحقًا قال الله[٣]؟ هل النهي قد صدر حقيقة؟ ثم يضيف هذه العبارة الخبيثة (من كل شجر الجنة)[٤] بمعنى أنه إن كان قد صدر هذا النهي فلربما يكون الله قد ذهب فيه بعيدًا فجعله يشمل جميع أشجار الجنة وبهذا يحرم الإنسان من الاستفادة من ثمر جميع الأشجار.

أما المرحلة الثانية من التجربة والتي فيها يحاول إثارة الشك في قلب المرأة من ناحية عدم الثقة في كلمة الله فيقول (لن تموتا) أي يقينا لن تموتا، ويجب ملاحظة أنه في العبرية ترد أداة نفى في مطلع الجملة فلو كانت الجملة كما وردت في الترجمة الإنجليزية "إنكما بكل تأكيد لن تموتا" لكان هناك مجرد التشكيك في تنفيذ التهديد. ولكن ورود ـ الصيغة في العبرية بهذه الصورة غير المألوفة يجعلها تعني "ليس صحيحًا ما قاله الله لكما: إنكما موتا تموتا". وفي هذا يتجه بالتكذيب ـ بكل وضوح ـ إلى قول

---

(١) تكوين ٣: ١٤.

(٢) علم اللاهوت الكتابى ص ٦١، هذه عقائدنا ص ٦٥، علم اللاهوت النظامى ص ٦٢٣.

(٣) تكوين ٣: ١.

(٤) تكوين ٣: ١.

الله نفسه، ولكي يؤكد الشيطان ما يدعيه عن كذب الله يتقدم بأسباب كاذبة تظهر أن الله كانت لديه دوافع خفية تجعل أقواله غير أهل للثقة فيقول: "إن الله بدافع الحسد والأنانية يكذب عليكما: الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر"[١]، [٢] "فإن الشيطان ألمح إليها أن الله يمنع عنهما شيئًا لهما كل الحق فيه"، ثم هو يقول لهما "لن تموتا".

إن الشيطان لينال نصرًا كبيرًا إذا ما استطاع أن يشكك أحدًا في صدق كلمة الله، فالله يقول (النفس التي تخطئ هي تموت) [٣] والشيطان يقول: "لن تموتا" يقول الله "أجرة الخطية هى موت"[٤] والشيطان يقول: "لن تموتا"[٥].

أعتقد أن مثل هذه الأمور ـ الشك وعدم الثقة بالله وما ترتب عليهما ـ ما كانت تعتمل فى ذهن آدم وحواء، وأن الفقرات الواردة فى الكتاب المقدس المصورة لهذه الواقعة لا تدل على شئ من هذا.

ثالثًا: استخدام المرأة:

يقول الكتاب المقدس (فقالت الحية للمرأة...) [٦].

ويقول جرهاردوس فوس (وإننا لنجد المجرب يتجه بتجربته إلى المرأة، ليس لأن المرأة أضعف حيلة وأوهن حكمة وأكثر ميلاً للخطية، لأن هذا ليس مفهوم العهد القديم، ولكن ربما كان السبب أن المرأة لم تأخذ الوصية رأسًا من الله مثل آدم[٧] (وأوصى الرب الإله آدم...) [٨]معنى ذلك أن الوصية تختلف من آدم لحواء ذلك لأن آدم هو الذي تلقى الوصية من الله رأسًا. وحواء أخذت الوصية من آدم

---

(١) تكوين ٣: ٤.
(٢) علم اللاهوت الكتابي ص٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، بتصرف شديد.
(٣) حزقيال ٨: ٤.
(٤) رومية ٦: ٢٣.
(٥) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص٦٦.
(٦) تكوين ٣: ١.
(٧) علم اللاهوت الكتابى ص ٦١.
(٨) تكوين ٢: ١٦ ، ٧١.

وهذا أدعى إلى أن تكون المرأة أقل تحملاً للوصية. ونحن نقول: إن هذا يصح لو كان الجزاء والعقاب الواقع على حواء بسبب الأكل من الشجرة أقل من العقاب الواقع على آدم ومادام ذلك لم يقع فهما متساويان في الوصية والخطية والعقاب.

"إن المجرب أولاً ـ كما يقول المسيحيون ـ حاول إغواء حواء بعدم الاتكال على جودة الله والريب في صدق النهي عن الأكل من تلك الشجرة وذلك بقوله لها" (أحقًا قال الله لا تأكلاً من كل شجر الجنة) ثم حاول صريحًا إبطال إيمانها وتشكيكها في الله بقوله: (لن تموتا) بل بالحرى "تكونان كالله عارفين الخير والشر"[١].

"وإننا لنجد تجاوب المرأة ـ كما يصورون ـ يتخذ مظهرين":

فنحن نجدها أولاً تجاه حقيقة وصية الله لا تنفي صدور النهي من جانب الله، وفي نفس الوقت تنفي كون هذا المنع يشمل كافة أشجار الجنة "فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة نأكل"[٢] ولكننا من نغمة حديثها نستطيع أن نتبين أنها بدأت ترحب بفكرة أن الله كان قاسيًا في وصيته، وهكذا بدأت تفرق في المبدأ بين حقوقها وحقوق الله، وفي عملها هذا فتحت قلبها ليبذر فيه العدو بذار الخطية. بل إننا نرى في قولها غير الدقيق "لا تأكلا منه ولا تمساه"[٣] تأكيدًا لهذه الحقيقة فبإضافة كلمة "لا تمساه" التي لم ترد في وصية الله تظهر المرأة روح الضيق والتذمر من قسوة الوصايا الإلهية[٤].

"وهكذا إذ أعدت حواء إعدادًا تامًا من الناحية الذهنية والقلبية لم يبق سوى إغرائها بمظهر الثمرة الذي يؤكد فوائدها الذي ذكرها عدو الخير لدفع حواء لارتكاب الخطية. فلم تكن مجرد حاسة التذوق هي التي دفعت بالمرأة إلى أن تمد يدها وتقطف منها لأن الدافع كان أكثر تعقيدًا" فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر[٥] لقد كان الدافع الرئيسي لهذا الفعل وهو نفسه

---

(١) علم اللاهوت النظامي ص٦٢٣.
(٢) تكوين ٣: ٢.
(٣) تكوين ٣: ٣.
(٤) علم اللاهوت الكتابي ص٦٢.
(٥) تكوين ٣: ٦.

ولو بصورة جزئية الدافع الذي أعطى التجربة قوتها[١] "فالشيطان حاول استمالة رغبة المرأة الطبيعية ثم عمل بواسطة المرأة ليصطاد الرجل[٢] وأعطت رجلها أيضًا معها فأكل"[٣].

فالمرأة أخطأت ـ كما يقولون ـ وأكلت من ثمرة الشجرة المحرمة وأعطت الرجل فأكل معها.

فنتيجة لهذا أوقع الله عليهما العقوبة التي سنذكرها فيما بعد.

لذلك يقول د/ إبراهيم سعيد (إن حواء هي التي أغرت آدم بالأكل من ثمرة الشجرة فأكل)[٤].

تعقيب على ما سبق:

إن قصة السقوط فى الديانة المسيحية كما سبق أن بينا تتلخص في أن الحية أغوت حواء بالأكل من الشجرة المحرمة، ثم أغرت حواء آدم فأكل منها، هذا هو المعنى الذي يستفاد من رواية الكتاب المقدس لقصة السقوط وهو الرأي الذي ارتضاه البعض من المسيحيين. ولكن الأكثرية منهم فسروا قصة السقوط بأن وراء الحية قوة شيطانية تعمل من أجل أن يعصى آدم وحواء الله.

ولقد ناقشنا هاتين الفكرتين سابقًا من خلال الفقرات التي أوردها المسيحيون أنفسهم، وهنا تتسع دائرة المناقشة لنناقش فقرات المصدر الأساسي للقصة في الكتاب المقدس.

فى البداية يجب أن نذكر بما قررناه سابقا من أن قصة الخلق ـ بوجه عام ـ كما هى واردة فى سفر التكوين عليها كثير من الإشكالات، خاصة بعد أن بينا أن هناك روايتين بينهما من التناقض، وفيهما من الأخطاء والأغلاط ما يجعلنا نفقد الثقة فيما ورد فيهما.

---

(١) المصدر السابق ص٦٣.

(٢) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص٦٦.

(٣) تكوين ٣: ٦.

(٤) د/ إبراهيم سعيد ونخبة من اللاهوتيين: الدين المسيحي للمرحلة الثانوية ص٣١ سنة ١٩٦٦.

يضاف إلى ذلك أن الفقرات التى معنا هنا فى هذا الموضوع والتى نصور الأساليب التى استخدمها الشيطان لإغواء آدم عليها كثير من علامات الاستفهام وذلك على النحو التالى :ـ

كيف يحسن أن يقال "فقالت للمرأة : ليست موتًا تموتان ولكن الله يعلم أنكما يوم تأكلان منها تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر"[١] أفكانت الحية التى هي من وحوش الأرض أعقل من آدم وحواء وأفهم منهما وأعلم بحقائق الأمور بمراد الله تعالى من آدم وحواء مع تمام علم آدم كما تقدم هذا في قوله (وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها به وكل ما دعا آدم ذات نفس حية فهو اسمها)[٢].

فأين هذا من ذاك؟ فإن قيل : لعل الحية تكلمت بهذا عن جهل وادعاء للمعرفة؟ قلنا : تمام الكلام يؤكد أن هذا عن علم منها وجهل من آدم وحواء وهو قوله :

"فأخذت من ثمارها وأكلت وأعطت رجلها أيضًا معها فأكل فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان"[٣].

وأيضًا : فكيف يحسن أن يقال (وتكونان كالله تعلمان الخير والشر) أفكان آدم وحواء جاهلين لا يعلمان الخير والشر مع تمام علم آدم كما تقدم؟

ولو كانت الحية التي لم تأكل منها جاهلة بالخير والشر ـ وهذا كلامهما وهذا علمهما كما تقدم ـ فإن قيل : لعلها تكلمت بهذا لتعليم إبليس إياها أو لأن إبليس من بين أنيابها تكلم به. قلنا : هذان كلاهما خلاف ظاهر لفظ التوراة.

على أنا نقول : كيف يصح تكلم الحية وليست ناطقة؟ وكيف يحسن أن يقال "ورأت المرأة أن الشجرة طيبة المأكل"[٤] مع أنها لم تأكل منها إلى الآن ولم تعرف طعمها ولا أنها طيبة أم لا؟[٥].

---

(١) تكوين ٣ : ٤ ، ٥.
(٢) تكوين ٢ : ١٩.
(٣) تكوين ٣ : ٦ ، ٧.
(٤) تكوين ٣ : ٦.
(٥) على التوراة ص٣٢ ، ٣٣.

وإذا كانت الحية وحدها هي صاحبة الدور ـ كما هو ظاهر في سفر التكوين ـ فمازال علينا أن نواجه هذا السؤال: لماذا دبرت الحية تلك المكيدة للإنسان؟ وماذا كان هدفها من وراء حرمان الجنس البشري من المميزات الكبيرة التي كان الرب يعتزم أن يخلعها عليه؟ فهل كان تدخلها في هذا الأمر مجرد فضول؟ أم كانت تُكّن هدفًا أبعد من هذا؟ كل هذه الأسئلة لا يجيب عنها سفر التكوين أدنى إجابة: فالحية لم تغنم شيئًا من وراء تلك المكيدة بل إنها كانت على عكس هذا من الخاسرين إذ حلّت عليها اللعنة الإلهية وقضى عليها بأن تزحف على بطنها وأن تلعق التراب وربما لم تكن نياتها سيئة للغاية بل ربما كانت تقوم بعمل لا هدف وراءه كما يبدو من ظاهر القصة)[١].

والقصة توضح أن الحية أحيل جميع الحيوانات فلربما كان مكرها هو الذي جعلها تغوي الإنسان من أجل السقوط.

ولكن إذا كانت القصة تخبرنا بأنها كانت أشد ميلاً للخديعة من أي حيوان آخر فهل شاءت حقًا أن تدل على حكمتها بأن تطيح بآمال الإنسان دون أن تحقق لنفسها شيئًا منها؟ وربما ساورنا الشك ـ كما يقول جيمس فريزر ـ في أن الحية في القصة الأصلية قد أثبتت لنفسها مكانًا مرموقًا بأن استولت على البركة التي حرمت منها الجنس البشري إذ أنها في الواقع أكلت هي نفسها من شجرة الحياة فاكتسبت الخلود في الوقت الذي أغرت فيه الأبوين الأولين أن يأكلا من شجرة الفناء، ويبدو أننا لسنا مغالين في هذا الفرض فنحن نقرأ في حكايات بدائية ليست بالقليلة تحكي عن أصل الموت أن الحيات سعت في تدبير حيلة لتسخر من الإنسان أو لتلقي الروع في قلبه حتى تحتفظ لنفسها بالخلود الذي كان الإنسان معنياً به، فكثير من البدائيين يعتقدون أن الحيات وبعض أنواعها من الحيوان تجدد شبابها وتحيا إلى الأبد وذلك عن طريق تغيير لجلدها مرة في كل عام. ويبدو أن الشعوب السامية قد عرفت هذه العقيدة كذلك، فالحية ـ وفقًا لآراء الكتاب الفينيقيين القدماء ـ كانت أطول الحيوانات عمرًا

(١) جيمس فريزر: الفلكور في العهد القديم، ترجمة د/ نبيلة إبراهيم حـ١ ص١١٠.

لأنها كانت تجدد شبابها على الدوام عندما تغير جلدها، وإذا كان الفينيقيون قد اعتقدوا أن الحية معمرة وأن سبب هذا يرجع إلى تغيير جلدها فليس ببعيد أن جيرانهم وأقاربهم العبريين كانوا يعتقدون الاعتقاد نفسه)[١].

ثم يقول "والشيء الذي لا جدال فيه هو أن العبريين كانوا يعتقدون أن النسور تجدد شبابها عندما تغير ريشها، وإذا كان الأمر كذلك فلماذا لا يعتقدون بالمثل أن الحية كذلك يتجدد شبابها لتغيير جلدها؟ على أن فكرة خداع الحية للإنسان وسلبها منه الخلود عن طريق استيلائها على عشب الخلود الذي كانت الآلهة ـ كما يعتقدون ـ تقصد الاحتفاظ به للجنس البشري ـ تتمثل في الواقع في ملحمة جلجامش[٢] التي تعد معلمًا من المعالم الأدبية القديمة لدى الجنس السامي أكثر قدمًا من سفر التكوين"[٣].

"فالشعوب التي تربط فكرة خلود الجنس البشري بتغيير الحيات أو السحالي أو الخنافس أو ما أشبه ذلك لخلودها تنظر بطبيعة الحال إلى هذه الحيوانات بوصفها منافسًا بغيضًا سلبهم الإرث الذي شاء الإله أن يمنحهم إياه حقًا.. ومن ثم فإن هذه الشعوب تحكي حكايات تذكر فيها كيف أن هذه الكائنات الدنيئة قد دبرت مكيدة لكي تحرم الإنسان من هذا الحق الذي لا يقدر بثمن.

وهذا النوع من الحكايات ينتشر انتشارًا كبيرًا في أنحاء العالم وليس غريبًا أن نجدها منتشرة بين الشعوب السامية.

ويبدو أن قصة سقوط الإنسان التي تروي في الفصل الثالث من سفر التكوين ـ أي السفر الثالث ـ تعد رواية مختصرة لهذه الأسطورة البدائية فهي فى حاجة إلى قليل

---

(١) المصدر السابق ص١١٠ ـ ١١١.

(٢) وفى هذه الملحمة نقرأ كيف كان أو تنابيشتيم الإنسان المؤله أفشى للبطل جلجامش سر وجود نبات له مقدرة سحرية على إعادة الشباب إلى الإنسان يطلق عليه اسم (الرجل الكهل يعود شابًا) وكيف أن جلجامش اهتدى إلى هذا النبات وأصابه الزهو بأنه سيأكل منه ويسترجع شبابه الذي ولى، ثم كيف أن حية تسللت قبل أن يأكل جلجامش من هذا العشب وسرقت النبات السحري بينما كان جلجامش يستحم في المياه الباردة في أحد الينابيع. ثم كيف أن جلجامش بعد أن فقد الأمل في اكتساب الخلود جلس وبكى؟ المصدر السابق ص١١١.

(٣) المصدر السابق ص١١١.

من الإضافة حتى يكتمل تشابهها بمثيلاتها التى لا تزال القبائل البدائية تحكيها في بقاع كثيرة من العالم.

فالجزء المحذوف في الحكاية العبرية، وربما كان الجزء الوحيد، هو الذي يتمثل في سكوت القاص عن ذكر أكل الحية من فاكهة شجرة الحياة وما نتج عن ذلك من حصول هذا الحيوان الدنيء على الخلود، على أنه ليس من العسير علينا أن نفسر سبب وجود هذه الفجوة في الحكاية العبرية، فالاتجاه العقلاني الذي يبدو في ثنايا قصة الخلق العبرية ذلك الاتجاه الذي سلبها كثيرًا من الملامح التي تزين الرواية البابلية المطابقة لها أو تشوهها قد شكل عقبة في سبيل نسبة فكرة الخلود المزعومة إلى الحية. وقد استبعد مؤلف القصة في صنيعتها الأخيرة عاقبة الإساءة هذه من طريق المؤمنين عن طريق عملية بسيطة هي حذف هذه الحادثة كلية من القصة العبرية، ومع ذلك فإن هذه الفجوة الواسعة التي أحدثها الكاتب في القصة العبرية نتيجة تطفله لم تغب عن الدارسين الذين أخذوا يجيلون النظر في غير جدوى في الدور الذي كان يجب أن تلعبه الحية في القصة العبرية[١] ذلك لأن القصة في سفر التكوين ـ حذف منها الدور الذي كانت تلعبه في أساطير الساميين والبابليين.

على أن الحية في الديانات البدائية كانت رمزًا إلى الظلمة الذي يقابل النور.

ففي الديانة اليونانية: كان اليونانيون جميعًا يقدسون معبد دلفي في التلال الواقعة شمال خليج كورينثة وكانوا يحترمون نبؤة دلفي بقدر ما. وكانت دلفي مركز عبادة الإله "أبولو" الذي يرمز لقوتي النور والعقل وتروي ـ الأسطورة القديمة أنه قتل البيثون وهو الحية الأسطورية التي ترمز إلى الظلام وتخليدًا لهذا المعنى بني الناس معبدًا في دلفي[٢].

والشاهد من هذا القول: أن الحية في أسطورة اليونان ترمز إلى الظلمة.

---

(١) المصدر السابق ص١٣٥، ١٣٦.

(٢) برتراند رسل: حكمة الغرب حـ١ ص٦٣ ـ ٦٥ سلسلة عالم المعرفة.

وكذلك أيضًا في الديانة المصرية: يقول أدولف أرمان: فإنه من الواجب أن يكون لإله الشمس الذي على شكل آدمي قارب يسبح فيه فوق سطح محيط السماء، وبالفعل كان له قارب جميل من الذهب طوله (٧٧٠) ذراعًا. قام ببنائه الآلهة أنفسهم، تشرف على تسييره النجوم وتصاحب الآلهة العظمى الشمس فيه "إنه الإله العظيم رب السماء" الذي يحكم العالم من قاربه هذا، ولا غرابة في ذلك فإنه إله الشمس وهو سيد الآلهة. واعتقد المصري أن هناك ثعبانًا يلتف حول قرص الشمس الذي يحمله الإله على رأسه. هذا الثعبان هو الخادم الخطر الذي يحرق أعداءه بأنفاسه النارية، وهو بعينه الثعبان الذي يزين جبين الملك الأرضي والذي يعرف باسم الصل[١] والذي اعتبر كرمز لأسمى ما وصلت إليه القوة. أما الأعداء الذي يقابلهم الإله أثناء رحلته فهي بطبيعة الحال ولكن "رع" يمزق الصواعق ويبعد الأمطار ويفتت البرد "وامتاز الثعبان" "أبوفيس" بإنه أشد أعداء الشمس قوة وخطرًا ومن أجل ذلك اعتبر رمزًا لكل مكروه ودنيء"[٢] فالثعابين في الديانة المصرية كانت ترمز إلى القوة ـ وهذه القوة ما تسمى بالقوة النارية ـ وإلى كل مكروه دنيء.

ولو جمع الرمزان في ثعبان واحد لتبين ما يرمز إليه هذا النوع من الحيوانات في ديانة مصر القديمة وهو رمز الظلمة التي كان لها من القوة، والتي تقف أمام قوة النور. بجانب ذلك فإن هذه القوة لا تفعل إلاكل مكروه دنئ.

فالحية في قصة الخليقة الواردة فى العهد القديم تشبه ما جاء في بعض أساطير العالم من حيث الدور الذي قامت به، ومن حيث الرمز إلى الشر وإلى الظلمة، فالشبه قائم، والدواعي متوافرة، حيث إن اليهود كما هو معروف اختلطوا بالأمم السامية في فترة السب البابلي، وكان لهذه الفترة تأثيرها الواضح عليهم. والأستاذ العقاد يبين أن العبرانيين تأثروا بالديانات القديمة في جعل الحية تقوم بالدور الذي

---

(١) صل الشيء صليلاً: أي صوت صوتًا ذا رنين، وقالوا: صل بيض الحديد: رن من مقارعة السيوف، والمسمار: أي صوت عند الدق. والإناء الفارغ: رن عند قرعه، والسِّقاء: أي يبس، واللحم صلولاً: أي تغير ونتن . والماء ونحوه: أجن. والصِّل: الحية من أخبث الحيات، وقالوا هو صل أصلال إذا كان داهية خبيثًا، "المعجم الوسيط حـ١ ص٥٢١".

(٢) أدولف أرمان: ديانة مصر القديمة ص٢١ ترجمة د/ عبد المنعم أبو بكر، د/ محمد شكري.

قامت به في قصة الخليقة، ولكن هذا التأثر من نوع آخر وهو أن اليهود اعتقدوا أن الحية صاحبة الغواية تأثرًا بالأقدميين الذين كانوا يوحدون بين الضرر الحسي وبين الخطيئة الأخلاقية فيقول:

"ولم يكن الشيطان هو الذي أغوى حواء بالأكل من الشجرة المحرمة، بل كانت الحية هي صاحبة الغواية هنا، جريا على سنن الأقدميين الذين كانوا يوحدون بين الضرر الحسي وبين الخطيئة الأخلاقية، وقبل أن تصبح الحية مجرد رمز إلى الشيطان نلاحظ فيه المشابهة بين نفث السم ونفث الشر على أسلوب المجاز"(١).

ويقول "فقد كان الضرر والشر بمعنى واحد في العقائد البدائية، وكان الروح الضار كالحيوان الضار في مقاييس الأخلاق، أو مقاييس النعمة والبلاء، وكان من الجائز أن ـ تستقل الحية بالضرر دون أن يلقنها الشيطان غواية آدم، فهى حيوان ضار يؤذي ويخيف وكفى بذلك وصفًا للشرير في العقائد البدائية"(٢).

ويتبين ذلك من أن العبرانيين تأثروا بالديانات القديمة في جعل الحية صاحبة الغواية، وذلك من ناحية أنهم كانوا يوحدون بين الضرر الحس والخطيئة الأخلاقية.

وإذاً فلا مفر من القول بالتأثر سواء من هذا الجانب أو تلك، وإذا كان الأمر كذلك فالقصة التي وردت في الكتاب المقدس عن الخليقة ليست وحيًا من عند الله بقدر ما هي قصة تأثر فيها كاتبها بالأساطير والديانات القديمة.

أما القول الثاني: وهو أن وراء الحية قوة شيطانية بمعنى أن الشيطان نفث في الحية كل ما يريد أن يفعله مع آدم وحواء. فهو برغم أنه يندرج تحت ما قلناه سابقًا من تأثر القصة من ناحية جعل الحية رمزًا إلى الظلمة والشر بالديانات القديمة ومع هذا فإننا أيضًا نجد فكرة دخول الشيطان في الحية في الأساطير القديمة.

يقول الأستاذ/ شوقي عبد الحكيم: أما عن فكرة توحد حواء بالحية التي تتوحد بدورها بالشيطان فتتبدى بكثرة في أغلب أساطير الخلق السامية، وتذكر هذه

---

(١) إبليس ص٧٨.

(٢) المصدر السابق ص٩٢.

الأساطير أن الحية إذ ذاك لم تكن على شكلها الآن، بمعنى أن مسخًا قد حدث لها عقب توحدها بالشيطان إبليس حين وسوس لحواء ـ من فم الحية ـ بالأكل من الشجرة الممنوعة أو المحرمة[١].

والكتاب المقدس يبين لنا أن لعنة أصابت الحية[٢] بعد أن أغوت حواء، ولعل هذه اللعنة هى المرادة بهذا المسخ وسنذكرها فيما بعد.

ثم ننتقل إلى فقرة أخرى في القصة وهي: استخدام الحية للمرأة لكي تغويها بالأكل من الشجرة المحرمة، والمرأة بدورها تغري الرجل للأكل من الشجرة المنهى عنها.

هذا المعنى نجد شبيهاً له فى الديانات الأخرى، "فالعلاقة بين المرأة والشيطان تتواتر بكثرة شديدة خاصة في نصوص وأساطير الخلق الأولى عند عديد من ملل ونحل الشعوب والقبائل السامية العربية"[٣].

فالقصة التي وردت في سفر التكوين لم تسلم من النقدمن جميع الوجوه ومن جميع أطرافها وزواياها ومع ذلك فإننا لا نشك بأنه كانت هناك قصة حقيقية للخليقة أنزلت على موسى من عند الله ولكن هذه القصة الحقيقية اختلطت في أذهان اليهود بالقصص الأخرى لدى الديانات القديمة فكتبوا القصة الجديدة ـ التي هي الآن في الكتاب المقدس ـ وخلطوا فيها بين قصص الخليقة في الأساطير التي سمعوها وقصة الخليقة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام.

ما حدث لآدم وحواء بعد السقوط فى التصور المسيحى

إن الحية حين أغوت حواء بالأكل من الشجرة وعدتها بأنها إن أكلت منها هي وزوجها قائلة: (الله عالم أنه يوم تأكلان منه ـ أي من ثمر الشجرة تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر)[٤].

---

(١) الأستاذ شوقي عبد الحكيم: مدخل لدراسة الفلكلور والأساطير العربية ص١٣٣.

(٢) تكوين ٣: ١٤.

(٣) المصدر السابق ص١٣٥.

(٤) تكوين ٣: ٥.

فما أن أكل آدم وحواء من الشجرة إلا وحدثت المفاجأة لهما (فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان فخاطا أوراق التين وصنعا لأنفسهما مآزر)[١] جاء في أحد كتب الدين المسيحي (أن معنى انفتحت أعينهما أي أعين قلبيهما فأدركا معصيتهما وعرفا لأول مرة أنهما عريانان)[٢] وهنا يحق لنا أن نسأل مع العلامة "الباجى": كيف يحسن أن يقال "فأكلا فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان"؟ أفكانا أعميين قبل الأكل؟ أو منطبقي الأعين؟ مع قوله قبل هذا: "ورأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأنها شهية للنظر"[٣] فأين هذا من ذاك؟ أم كانا جاهلين بأنهما عريانان مع تمام علم آدم ـ كما تقدم ـ (وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها)[٤] فأين هذا الجهل التام مع العلم التام؟؟

فإن قيل: لعل المراد انفتاح أعين البصيرة لا أعين البصر؟ قلنا: هذا تأويل مخالف للظاهر مع أنه لا يصح؛ لأن العاصي لا يناسبه أن يترتب على معصيته انفتاح بصيرته، بل المناسب أن تعمى بصيرته[٥].

ويمكن إجمال ما أحدثته المعصية في آدم وحواء ـ حسب التصور المسيحى ـ فيما يلي:

١ ـ **الخجل**: وهو الذي نشأ عن الشعور بالإثم والانحطاط[٦].

لقد جاءتهما الخطية بالخجل والخزي والعار ـ كما يقولون ـ إذ أدركا أول كل شيء أنهما عريانان ولعل هذا هو الدافع الذي يجعله يرتكب الخطية في الظلام.

يقول يوحنا (وهذه هي الدينونة إن النور قد جاء إلى العالم وأحب الناس الظلمة وأكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة لأن كل من يعمل السيئات يبغض النور

---

(١) تكوين ٣: ٧.
(٢) الدين المسيحي للمرحلة الثانوية ص٣١ سنة ١٩٦٦.
(٣) تكوين ٣: ٦.
(٤) تكوين ٢: ١٩.
(٥) "على التوراة" ص٣٣.
(٦) علم اللاهوت النظامي ص٦٢٤.

ولا يأتي إلى النور لئلا توبخ أعماله)[١] وكلمة الخطية على الدوام مقارنة وملاصقة للعار والخزي إذ أنها تهدر في الإنسان كل ما هو آدمي وإلهي إذ تقتل فيه المروءة والشرف والكرامة والنبل والإنسانية وتسفل به إلى الحيوانية القذرة ألم تعر آدم وتكشف نوح[٢]،[٣].

ونحن نقول: ولكن آدم لم يرتكب الخطيئة في الظلام نعم إن آدم وحواء اختبآ بعد الخطيئة ولكنهما أكلا من الشجرة وهي في وسط الجنة.

٢ ـ **الخوف:** يصورون ذلك بقولهم وإذ سمع آدم وحواء صوت الرب الإله ماشيًا في وسط الجنة عند هبوب ريح النهار فزعا وخافا. وهذا ما تصنعه الخطية بمرتكبها إذ تظهره في مظهر الضعيف الأعزل الذي تمسك به حبال آثامه وشروره فلا يستطيع الهروب من عدل الله مهما حاول إلى ذلك سبيلاً[٤] وهذا المعنى مأخوذ مما جاء في سفر التكوين (وسمعا صوت الرب الإله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار فاختبآ آدم وحواء من وجه الرب في وسط شجر الجنة)[٥].

٣ ـ **العداوة:** فما أحدثته المعصية في آدم وحواء ـ كما يقولون ـ هول سخط الله أو الشعور بالذنب الذي يوجب العقاب ولذلك حاولا الأختفاء من حضرته تعالى[٦].

ثم إن الخطية أحدثت العداوة بين الإنسان آدم والمرأة حواء ـ حسب التصور المسيحى ـ ويتبين ذلك حينما حاول أن يلقي التبعية على حواء بالأكل من الشجرة، قال الله لآدم هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك بعدم الأكل منها فكان جواب آدم المرأة التي جعلتها معي هي التي أعطتني فأكلت. وكذلك أيضًا أحدثت الخطية العداوة بين الإنسان والحية ويتبين ذلك حينما سأل الله المرأة لماذا أكلت من الشجرة

---

(١) يوحنا ٣: ١٩، ٢٠.

(٢) تكوين ٩: ٢١.

(٣) القس/ إلياس مقار: رجال الكتاب المقدس حـ١ ص١٣، (القضايا المسيحية الكبرى) ص ٣٧٦.

(٤) المصدر السابق حـ١ ص١٤، ص٣٧٦.

(٥) تكوين ٣: ٨.

(٦) علم اللاهوت النظامي ص٦٢٤.

التي أوصيتكما بعدم الأكل منها فكان جواب المرأة أن الحية هي التي غررت بي فأكلت منها.

يقول القس إلياس مقار: "والخطية سر كل نزاع وخصام وعداوة في الأرض إذ لا سلام قال إلهي للأشرار وإذ سقط أبوانا الأولان ضعفت المحبة بينهما فلم تكن في جمالها الأول كما نشأت بينهما وبين الحية عداوة قاسية وأكثر من ذلك قتلت محبتهما لله، أما أن محبتهما لم تكن كالأول فذلك يبدو من محاولة آدم إلقاء التبعية على زوجته دون أن يهتم بحمايتها أو تحمل ذنبها كما كان ينتظر منه كمحب مخلص غيور، ولا ننسى أيضًا أنه عندما ذكرها أمام الله لم يقل "زوجتي" و"حواء" بل قال المرأة التي أعطتني "مما يدل على أن محبته لها لم تعد في قوتها الأولى، أما العداوة للحية فقد أضحت عداوة دائمة مستمره أبدية، ومن المستطاع ملاحظتها إذا ذكرنا العداوة القائمة بين الجسد والروح في الإنسان الواحد وبين المؤمن وغير المؤمن على طول الأجيال، أما العداوة لله فتبدو في البعد عنه وعدم الشوق إليه وفعل كل ما هو آثم وشرير وغير مرضي أمام عينيه"[١].

العقوبات التي حكم الله بها نتيجة السقوط في الخطيئة

وقبل أن نذكر العقوبات التي حكم الله بها نتيجة السقوط في الخطيئة ـ كما يصورها المسيحيون ـ نسأل متى علم الرب بالسقوط؟ وكيف؟ فإن الظاهر من نصوص العهد القديم أن الله عرف عن طريق الصدفة يقول سفر التكوين (وسمعا صوت الرب الإله ماشيًا في الجنة عند هبوب ريح النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجرة الجنة فنادى الرب الإله آدم وقال له: أين أنت؟ فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت فقال من أعلمك أنك عريان هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها فقال آدم المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت)[٢].

---

(١) رجال الكتاب المقدس حـ١ ص١٤ ـ ١٥، قضايا المسيحية الكبرى ص٣٧٧.
(٢) تكوين ٣: ٨ ـ ١٢.

وفى هذه الفقرات عدة إشكالات نذكرها فيما يلى :ـ

كيف يحسن أن يقال (وسمعا صوت الرب..) مع أن الرب سبحانه وتعالى منزه عن الصوت ماشيا، وهم إن جوزوا تجسده في عيسى ـ عليه السلام ـ عند ظهوره ـ على معتقدهم إلا أنهم يسلمون أنه في الجنة لم يتجسد.

وأيضًا فإن آدم أتم علمًا من أن يتوهم أنه يمكنه أن يختفي من الرب سبحانه في شجر الفردوس، وهذان السؤالان واردان بعينهما على قوله بعد هذا "فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فأختبأت".

وكيف يحسن أن يقال: فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت؟ مع أن الله تعالى لا يخفى عليه آدم ولا مكانه.

وكيف يحسن أن يقال: فقال له من عرفك أنك عريان "أكان آدم محتاجًا في معرفة نفسه أنه عريان إلى من يعرفه ذلك؟ ما على هذا في الجهالة مزيد. ولا يتوهم في حق آدم مثل هذا بل ولا في جهل آحادنا نحن.

وكيف يحسن أن يقال إن آدم اعتذر عن معاتبة الله إياه في أكل الشجرة المنهى عن أكلها في قوله "هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك بأن لا تأكل منها" بقوله "إن المرأة التي جعلتها معي هي التي أعطتني من الشجرة فأكلت". وكيف يليق بآدم أن يعتذر عن معصية الله بأن المرأة أعطته فأكل[1].

وبعد هذه المناقشة نستكمل بقية الحديث عن العقوبات التى حكم الله بها نتيجة السقوط فى المعصية فى التصور المسيحى، حيث يقول المسيحيون إن الله حين علم الله بسقوط آدم وحواء في الخطيئة حكم عليهما وعلى الحية بعقوبات ذكرت في الإصحاح الثالث من سفر التكوين. فحين سأل الرب الإله المرأة قائلاً (ما هذا الذي فعلت فقالت المرأة الحية غرتني فأكلت)[2] وهنا صدرت العقوبات من الله وهي على حسب ترتيب الكتاب المقدس كما يلي:

---

(١) الباجي: على التوراة ص٣٣.

(٢) تكوين ٣: ١٣.

أولاً: عقوبة الحية:

"قال الرب الإله للحية لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية. على بطنك تسعين وترابًا تأكلين كل أيام حياتك. وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه"[١].

حكم الله على الحية أولاً باللعنة

ولعن لعنة: نقيض بارك بركة[٢].

واللعنة وقعت على الحية ـ كما يقولون ـ بسبب خطيئة آدم، وكذلك أيضًا وقعت على الأرض بسبب هذه الخطيئة قال الله لآدم (ملعونة الأرض بسببك) [٣] ولعنة الله للحية والأرض تعني التصريح بحكمه عليهما[٤].

ونحن نقول: أليس ملفتًا للنظر أن يحكم الله على الحية وعلى الارض باللعنة بسبب خطيئة وقعت من مخلوق مكلف غيرهما؟ مع العلم بأنهما ليسا لهما ناقة ولا جمل في هذه الخطيئة.

نعم إن الشيطان ـ على معتقدكم ـ استخدم الحية، ولكن هل الحية مكلفة بأن ترد عن نفسها الشيطان؟ وهل لديها ما ترد به كيد الشيطان؟.

إن للشيطان قوة لا تستطيع الحية أن تقف أمام قوته. أليس من الظلم أن يحكم الله ـ تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا ـ على الحية باللعنة وهي حيوان لا يستطيع أن يرد كيد الشيطان؟

وما ذنب الأرض باللعنة إذا كان آدم أخطأ وأكل من الشجرة؟

هل الأرض مكلفة بأن تذكر آدم بأن لا يأكل من الشجرة؟ ليست الأرض مكلفة بذلك، وإذا كان كذلك فإنه من الظلم لها ـ تعالى الله عن ذلك ـ أن يحكم عليها باللعنة بدون أن يقع منها ما يستحق هذه اللعنة.

---

(١) تكوين ٣: ١٤، ١٥.
(٢) قاموس الكتاب المقدس ص٨١٨.
(٣) تكوين ٣: ١٧.
(٤) قاموس الكتاب المقدس ص٨١٨.

والعقوبة الثانية للحية: "على بطنك تسعين" معنى ذلك أن الحية كانت قبل السقوط بمظهر آخر غير هذا المظهر الذي نراها به الآن.

يقول كلايد تارنر (أما كيف كان شكل الحية ومظهرها وميزاتها الخاصة قبل السقوط فهو على الأرجح أمر غامض، يصورها البعض مخلوقًا جميلاً يسير منتصبًا لا زاحفًا على الأرض، والكتاب المقدس يقول إنها كانت أدهى الحيوانات وأمكرها)[١] ويقول القس/ بشاي سعيد بشاي: وحية التجربة كانت في المظهر كحية عادية، ولكنها تفوق وحوش البرية في المكر والدهاء، وقد جعلت طريق زحفها على الأرض ذكرى لا نحطاطها وعلامة على دينونتها[٢].

ومجمل القول فيه أن الحية كانت قبل العقوبة التي وقعت عليها بشكل آخر سواء أكان هذا الشكل قريبًا من مظهرها الذي نراها به الآن، أم أنها كانت مخلوقًا جميلاً يختلف عن مظهرها الآن.

ونحن نقول: إنه لا دلالة فى كتبهم على أن الحية كان لها مظهر مختلف عما هى عليه الآن. فمن أين جاءوا بذلك؟ وما دليلهم عليه؟

إن أقوالهم تدل عى أن مظهرها قبل السقوط أمر غامض وكل ما قيل فى هذا هو مجرد تصورات.

وما دمنا لا نستطيع معرفة مظهرها قبل السقوط، فإننا لا نستطيع أن نجزم ونحكم بأن مظهرها الذى نراها به الآن مخالف لما كانت عليه. ولا نستطيع أيضا أن نجزم بأن سعيها على بطنها عقوبة أو لا.

العقوبة الثالثة للحية: "وترابًا تأكلين كل أيام حياتك"

يفهم من ذلك أن "الحية كانت تتغذى بغذاء يتغذى به غيرها من ضروب الحيوان وأنها غدت الآن تسف التراب وأن التراب وهو خليط من مواد غير عضوية يصلح أن يتخذ غذاء للحيوان يتمثله الجسم الحيواني.

---

(١) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص٥٤.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص٣٣٣.

ولقد قال إشعياء إن الحيات سوف تأكل التراب تواضعًا وتعففًا في وقت يظلل السلام فيه الأرض وتتغير طبائع الحيوانات وخصائص أسنانها ومعدها (الذئب والحمل يرعيان معا، والأسد يأكل التبن كالبقر، أما الحية فالتراب طعامها. لا يؤذون ولا يهلكون في كل جبل قدسى قال الرب)[١]،[٢].

ففرق بين الفقرتين: فالتراب في الفقرة الأولى عقوبة من الله للحية، ولكن في الفقرة الثانية الحية تأكل التراب بكل وداعة لا تؤذي ولا تهلك.

وعلى أية حال فإن أساتذة علم الحيوان يؤكدون أن هذه الفصيلة من الحيوانات "تتغذى على الطيور والضفادع والثدييات"[٣].

العقوبة الرابعة للحية: "وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه"[٤].

بمعنى أن الله جعل العداوة قائمة بين الإنسان وبين الحية (ومن هذه الفقرة رأى كثير من العلماء والمفسرين ـ المسيحيين ـ في هذا النص وعدًا بمجئ ذاك الذي استطاع وحده أن يسحق سحقًا نهائيًا رأس الحية، ويسوع نسل المرأة هو الذي سحق الرأس المسموم رأس ـ الحية الذي سمم البشرية كلها)[٥] وهذا يعني أنه ليس وراء الحية قوة شيطانية، بينما الحية هي صاحبة الغواية؛ إذ لو كان وراء الحية قوة شيطانية لكان الخطاب بالوعيد بالسحق يقع أساسًا على الشيطان لا الحية. وهذا مردود بما سبق أن ذكرنا.

أما أن هذه الفقرة تحمل وعدًا بمجئ يسوع المخلص فإن هذا القول فيه مغالاة، لأن النص واضح في أن العقوبة التي وقعت على الحية هي العداوة بين نسل المرأة ونسل الحية. أما لماذا خص نسل المرأة بالذات؟ لأن الحية هي التي أغوت المرأة أولاً،

---

(١) إشعياء ٦٥: ٢٥.

(٢) عصام الدين حفني ناصف: اليهودية في العقيدة والتاريخ ص ١٦٠، ١٦١..

(٣) د/ أحمد حماد الحسيني، د/ عطا الله خلف الدويني وغيرهما: علم الحيوان العام ص٨٢٣ ط الأنجلو المصرية.

(٤) تكوين ٣: ٥.

(٥) د/ القس/ حنا جرجس الخضري: تاريخ الفكر المسيحي المجلد الأول ص٢٧.

فمن باب المقابلة تأتي العقوبة بين نسل المرأة ونسل الحية، وإلا فالجميع من نسل المرأة.

ثانيًا: عقوبة آدم وحواء:

أ ـ عقوبة حواء:

"قال الله لحواء تكثيرًا أكثر أتعاب حبلك. بالوجع تلدين أولادًا. وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك"[١] فالعقوبة لحواء تتلخص في أن الله سيجعل لها في الولادة التعب الكثير، ويجعلها تجد المشقة في الاشتياق إلى رجلها الذي يسود عليها.

ويعقب الأستاذ/ عصام الدين حفني على هذا قائلاً: (وأما أوجاع الحمل والولادة فهي من معقبات المدنية والترف، ويزداد شعور الناس بها على قدر ازدياد حظهم من رفاهية العيش ورفاهة الشعور على حين لا يشعر بها المتوحشون إلا هونًا منها، ويلاحظ مثل هذا التباين بين الحيوانات الوحشية والمستأنسة.

أما سيادة الذكر على الأنثى فهي القانون الساري في عالم الحيوان باستثناء أنواع قليلة مثل النحل[٢].

ب: عقوبة آدم:

وقال الله لآدم (لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً لا تأكل منها ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك. وشوكًا وحسكًا تنبت لك وتأكل عشب الحقل. بعرق وجهك تأكل خبزًا حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها. لأنك تراب وإلى تراب تعود)[٣].

يقولون لعن الله الأرض بسبب آدم، وكان من جراء هذه اللعنة أن الإنسان لا يأكل منها إلا بالتعب والمشقة، وأيضًا فإن الأرض أصبحت تنبت "شوكًا وحسكًا" "ولا يراد بهاتين اللفظتين أنواع خاصة من النبات بل كل نبات فيه شوك وحسك يؤذي الإنسان ويعيق عملهم"[٤].

---

(١) تكوين ٣: ١٦.

(٢) عصام الدين حفني ناصف: اليهودية في العقيدة والتاريخ ص١٦٢.

(٣) تكوين ٣: ١٧ ـ ١٩.

(٤) قاموس الكتاب المقدس ص٥٢٩.

وأوعده بأنه لا يجد راحة بل يتعب من أجل الحياة، وقال له وهكذا تكون حالك حتى تعود إلى التراب الذي خلقت منه، وهذا يعني أنه حكم عليه بالموت.

أما أن الشوك[١] والحسك[٢] وغيرهما من النباتات التي تؤذي الإنسان لم تخلق إلا بعد أن لعنت الأرض بسبب معصية آدم فإن هذا القول غير مسلم، إذ أنه يتناقض مع ما جاء فى كتبكم التى تذكر أن الله كان قد خلق كل النباتات والحيوانات في اليوم الثالث من أيام الخليقة الستة، بينما خلق الإنسان في اليوم السادس من أيام الخليقة. ففي اليوم الثالث قال الله (لتنبت الأرض عشبًا وبقلاً يبزر بزرًا وشجرا ذا ثمر يعمل ثمرًا كجنسه بزره فيه على الأرض. وكان كذلك. فأخرجت الأرض عشبًا وبقلاً يبزر بزرًا كجنسه وشجرًا يعمل ثمرًا بزره فيه كجنسه)[٣].

فلقد خلق الله كل ما تنبته الأرض في هذا اليوم، فأنبتت الأرض الأعشاب والأشجار والبقول، ومعلوم أن من الأعشاب من هو شوكي ومن هو حسك، أي نباتات شوكية ومرة، والشوك والمر يؤذي الإنسان في حياته، لأن اللفظتين رمز إلى كل ما يؤذى الإنسان كما جاء في سفر الخروج عن بني إسرائيل وما يأكلونه ليلة الفصح (ويأكلون اللحم تلك الليلة مشويًا بالنار مع فطير على أعشاب مرة يأكلونه)[٤] وهذه الأعشاب خلقت في اليوم الثالث بينما الإنسان خلق في اليوم السادس يضاف إلى ذلك أن الشوك والحسك ـ كما سبق ـ يرمزان إلى كل نبات فيه شوك وحسك، ونحن نقول: إن من النباتات التى خلقت فى اليوم الثالث القمح والشعير، ومعلوم أنه فى ثمرة نبات القمح والشعير إبرة شوكية، وهذه الإبرة الشوكية تمتد إلى الثمرة فتحفظها، بمعنى أنها خلقت معها أول خلقها، لا بعد ذلك، وإلا لما أثمرت الشجرة من أول أمرها.

---

(١) الشوك: ما يخرج من الشجر أو النبات دقيقًا صلبًا محدد الرأس كالإبر. المعجم الوسيط حـ١ ص٥٠٠.
(٢) الحسك: نبات له ثمرة خشنة تتعلق بأصواف الغنم وأوبار الإبل. المعجم الوسيط حـ١ ص١٧٣.
(٣) تكوين ١: ١١ ـ ٣
(٤) خروج ١٢: ٨.

نقطة أخرى وهى: أن النص الوارد فى كتبهم عن خلق النباتات يذكر أن الله خلق فى اليوم الثالث كل شجر ذا ثمر، ومعلوم أن الحسك والشوك نباتان لهما ثمر فهما مخلوقان قبل الإنسان لا بعده. هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى فإن الله خلق الحيوانات أيضًا قبل خلق الإنسان ومعلوم أن من هذه الحيوانات من يتغذى على الشوك والحسك مثل الإبل فإذا لم تكن قد خلقت فأي غذاء كان يتغذى عليه الإبل قبل أن يخلق الله الشوك والحسك بعد معصية آدم؟

حـ ـ العقوبات المشتركة بين آدم وحواء

أولاً: أن الله حكم عليهما بالموت:

(لأن الله قال لآدم يوم تأكل منها موتا تموتا) والوصية هنا لآدم وحواء بدليل ما ورد من حوار بين الحية وحواء

والموت: ضد الحياة.

يقول د/ سيد عويس: ويعرف الموت أحيانًا بأنه "طلوع الروح" أو هو "طلوع سر الحياة" أو هو" الانتقال إلى حياة أخرى" كما نجد من يصف الموت بأنه "حق" أو أنه "نهاية كل إنسان" أو "أنه راحة من تعب الحياة" أو "أنه هازم اللذات مفرق الجماعات" ولكن إذا حاولنا تعريف مفهوم الموت تعريفًا علميًا فإننا نواجه صعوبة كبيرة[1].

ثم يبين أنه حاول الاستعانة ببعض القواميس المتخصصة فلم يجد بها لهذا المفهوم تعريفًا. ثم يقول "ومع هذا فقد يوجد بعض التعاريف العلمية لمفهوم الموت فقد يقال إن الموت هو التوقف الدائم للوظائف الحيوية في أجسام الحيوانات والنباتات، وهو "ظاهرة التوقف عن الحياة" أو هو "ظاهرة توقف أو انقطاع الحياة" وفي قول آخر هو "ظاهرة التوقف النهائي في الحياة" وكل هذه التعاريف تمثل وجهة نظر الطب الشرعي. وتوقف الحياة في ضوء هذه التعاريف نوعان:

الأول: نوع وظيفي وهو خاص بتوقف القلب والتنفس الدائم وهو ما يعبر عنه بموت الفرد.

---

(١) د/ سيد عويس: الخلود في التراث الثقافي المصري ص٨٧.

الثاني: تبدأ بعد ذلك عندما تبدأ الأنسجة في التوقف عن العمل ويتم ذلك بعد حوالي ساعتين وهو ما يعبر عنه بموت الأنسجة[١] وإذا أخذنا بهذه التعاريف أو بأحدها، وهي في الواقع كلها متشابهة فإننا نواجه صعوبة أكثر، ذلك لأننا في هذه الحالة نواجه تعاريف مفهوم الحياة. وتعريف الحياة ليس بالأمر الهين لأننا نعرف جميعًا ما هو الإحساس بالحياة ومن ثم نعجز عن وصف هذا الإحساس في ضوء شيء آخر[٢].

وعمومًا فإن تعريف الحياة يتوقف على نظرة الإنسان نحو جوهر الحياة، فإذا كان ينظر إلى الحياة نظرة مادية فإنه يحاول تعريف الحياة تعريفًا ماديًا وعلى أساسه يعرف الموت، وكذلك أيضًا من ينظر إلى جوهر الحياة على أنها روحية فهو يعرف الحياة على أساس هذه النظرة وبالتالي كذلك يعرف الموت.

وربما تخضع تعاريف الحياة لنوع التخصص الذي يتخصص فيه الفرد فتختلف نظرة الكيميائي عن نظرة الطبيب وما إلى ذلك.

ومن هنا وجدنا تعريف الموت يختلف من فرد لآخر ومن فيلسوف لآخر.

يقول د/ سيد عويس: ولكن يلاحظ أن المعنى العلمي لمفهوم الموت أو المعنى العلمي لمفهوم الحياة سواء حاول شرح ذلك الطبيب الشرعي أو المتخصص في علم البيولوجيا أو المتخصص في علم الطبيعة يبدوان دائمًا في نظر الرجل البدائي معنيين غامضين. فتفسير الموت لأسباب طبيعية مثلاً تفسير غير مقبول عنده وإذا بدا له أن يتأمل الموت أو يفكر فيه فإنه يفشل حتمًا في اعتباره ظاهرة طبيعية. وعنده إذا مات إنسان ما دون ما سبب ظاهر كالجراح مثلاً فإنه يعتبره ضحية من ضحايا السحرة والأرواح الشريرة التي تتعاون معهم، ويعزي سبب موت أي ـ إنسان في بعض بلاد أفريقيا إلى سحر أحد سحرة القبائل المعادية أو إلى فعل أحد الجيران الحاقدين، ويكتشف المذنب أيا كان عادة عن طريق الاستعانة بأحد الكهنة أو عن طريق تعذيب أحدهم إلى أن يعترف[٣].

---

(١) يحيى شريف، محمد عبد العزيز البهنساوي: مبادئ الطب الشرعي والسموم، مكتبة القاهرة الحديثة ص٣ نقلاً عن المصدر السابق.

(٢) د/ سيد عويس: الخلود في التراث الثقافي المصري ص١٨.

(٣) المصدر السابق ٢٢.

والمعنى الديني للموت: هو خروج الروح من الجسم وبسببه يصبح الجسم هامدًا لا يحس ولا يشعر ولا يتحرك. فهل الموت لدى المسيحيين مختلف عما سبق؟ هذا ما سنتحدث عنه فيما يلى:ـ

والموت في نظر المسيحية إحدى عواقب الخطية لذلك سنشرح تعريف الموت لديهم على أساس التقسيم الذي يذكرونه.

يقول كلايد تارنر: للخطية عواقب عاجلة وأخرى آجلة عواقب روحية وأخرى جسدية. كانت عاقبة آدم وحواء عاجلة فقد أصبحا عرضة للحزن والموت[١].

ويقول: ولكن العاقبة المرعبة لخطية الإنسان يمكن جمعها في كلمة واحدة "الموت". فمنذ اليوم الذي عصى به الإنسان الله أصبح مخلوقًا ميتًا، إن جسده لم يمت يوم أخطأ بالذات ولكنه أصبح عرضة للمرض والوهن التي تنتهي إلى الموت، إلا أن الإنسان قد مات روحيًا منذ اليوم الذي أخطأ فيه ضد الله، إن الموت لا يعني توقف الحياة ولكنه يعني الانفصال أو الانحلال[٢] ويقول الأب/ متى المسكين: منذ أن سقط آدم والموت هو عدو الإنسان الكبير وبرغم أن للإنسان أعداء كثيرين بسبب الخطية ولكن الموت كان أشدها سطوة وبأسًا على نفسية الإنسان[٣].

ويقول جرهاردوس فوس: حسبما ورد في سفر التكوين نعرف أن وصيته هي (وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتًا تموت) وعلى أساس هذا التحذير ساد الاعتقاد في جميع الأجيال بأن الموت هو عقوبة الخطية وأن العالم كله قد أخضع للموت بسبب الخطية[٤].

يقول إبراهيم لوقا: إن الإنسان الأول سقط في عثرة العصيان وبسقوطه هذا أصبح واقعًا تحت حكم الموت الذي أنذره به الله تعالى عندما وضعه في جنة عدن وقضى به عليه[٥] معنى ذلك أن آدم لو لم يخطئ لما حكم عليه بالموت.

---

(١) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص٧٦.

(٢) المصدر السابق ص٥٧ ـ ٥٨.

(٣) الأب متى المسكين: القيامة والصعود ص٤٩.

(٤) علم اللاهوت الكتابي ص٦٤.

(٥) إبراهيم لوقا: المسيحية في الإسلام ص١٥٨.

جاء في "علم اللاهوت النظام" في الجواب على السؤال القائل: هل كان آدم قابلاً للموت لو لم يخطئ؟ لا ريب في أن الجواب الصحيح عليه هو سلبي بدليل نص الكتاب المقدس على أن الموت أجرة الخطية وتهديد الله لآدم بقوله (لأنك في يوم تأكل منها موتا تموت) لما فيه من الدلالة الصريحة على أنه إن كان لا يأكل ـ لا يموت، ثم قوله له: لأنك تراب وإلى تراب تعود، لما فيه من الدلالة البينة على أن الرجوع إلى التراب هو من باب القصاص، وأيضًا قول بولس (إن الموت دخل بالخطية)[١] "وإن في آدم يموت الجميع" أي الموت الجسدي[٢].

فاتضح من الكتاب المقدس أن الموت هو عقاب الخطية وأنه لولا معصية أبوينا الأولين لما حكم به علينا[٣].

وأما قول الآباء في: هل كان جسد آدم أصلاً مؤهلاً للبقاء أم لا؟ فالإجابه عليه كما يلى:

ذهب كثير من الآباء إلى أن آدم وضع في الفردوس الأرضي لكي يصرف مدة امتحانه فيه فإن وجد طائعًا ينقل إلى الفردوس السماوي المرموز إليه بالأرضى.

وذهب لوثيروس[٤]: إلى أن أبوينا الأولين لو لم يخطآ لأذن الله لهما بالأكل من شجر الحياة على الدوام، وأن من شأن ثمر تلك الشجرة حفظ جسديهما في الشبيبة الدائمة[٥].

وذهب آخرون إلى أن آدم لو ثبت في كماله لأصاب جسده وأجساد ذريته تغيير كالتغيير الذي علمهم إياه بولس أن يطرأ على الذين يبقون في الحياة إلى وقت مجئ

---

(١) رومية ٥ : ١٢.

(٢) ١ كورنثوس ١٥ : ٢٢.

(٣) علم اللاهوت النظامي ص٦٠٧ ، ٦٠٨.

(٤) هو مرتينوس لوثر، ولد في بلدة أسيليين من مقاطعة ثورنجية في جرمانيا سنة ١٤٨٣ م درس علم اللاهوت، وعين معلمًا له في جامعة ورتمبرج، ولما ابتدع البابا (لاون) العاشر أوراق ـ الغفرانات لم يرق هذا العمل في عيني لوثر فأخذ يندد بفساده تنديدا قاسيا، وظل لوثر في مناضلة البابا ومحاجته نحو ٢٨ سنة بعد أن خلع ثوب الرهبنة وتزوج من راهبة تدعى كترين بوريه، وفى آخر حياته مرض بالفالج وتوفي في ١٨ فبراير ١٥٤٦ م (القمص ميخائيل مينا: علم اللاهوت القسم الخاص ص٢٤ ، ٢٥.

(٥) أي الشباب الدائم.

المسيح الثاني فإنهم لا يموتون بل يتغيرون أي أن الفاسد يلبس عدم فساد، المائت يلزم عدم فساد، المائت يلزم عدم موت. فليزم من ذلك: **أولاً**: أن آدم لو لم يخطئ لم يمت. **ثانيًا**: أنه لو عنى بولس بقوله (لبسنا صورة الترابي) أي أجسادنا الحاضرة تشبه جسد آدم كما كون أصلاً لنتج أن جسد آدم كان كأجسادنا تحتاج إلى التغيير ليؤهل للخلود[١].

وعموم القول فإن الرأي الغالب والسائد بين الآباء هو الرأي الأول.

ويبين جرهاردوس فوس أنه برغم أن الاعتقاد بأن الموت هو عقوبة الخطية هو الاعتقاد السائد بين الآباء في جميع الأجيال إلا أن هناك كتابًا معاصرين يحاولون إعادة النظر في هذا المعتقد، فهناك بعض الآراء التي تنادي بأن الإنسان خلق منذ البداية خاضعًا لناموس الموت.

من هذه الآراء:

أولاً: أن شجرة الحياة تصور لنا في قصة التكوين على أن الإنسان لم يكن قد أكل من ثمارها ـ سواء قبل الامتحان أم بعده ـ أي أنه لم يكن قد نال من الحياة ومن ثم فيسرى عليه ناموس الموت.

ثانيًا: في سفر التكوين ٣: ١٩ نقرأ أن رجوع الإنسان إلى التراب أمر طبيعي "حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها لأنك تراب وإلى تراب تعود".

ثالثًا: أن سفر التكوين ٢: ١٧ يثبت لنا أن تهديد الله للإنسان لم يكن مداره أن الخطية ستجلب الموت بل إن الخطية سوف تسبب الموت المبكر الفوري "يوم تأكل منها موتا تموتا"[٢].

ويقول عن هذه الآراء: إن كل هذه الآراء تستند إلى تفسير علمي غير دقيق فالفكر الأول يخفق في التمييز بين الحياة التي نالها الإنسان عن طريق الخلق وبين الحياة التي لا تتعرض للفقدان والتي كان مقدرًا للإنسان أن يصل إليها عن طريق الامتحان، والحياة الثانية نجدها ممثلة في شجرة الحياة. وكون الإنسان لم يتناول من ثمارها لا يعني انتفاء هذه الحياة الدائمة بالنسبة له.

---

(١) علم اللاهوت النظامي ص٦٠٨.

(٢) علم اللاهوت الكتابي ص٦٤ بتصرف شديد.

أما الرأي الثاني فلكي نصل إلى إثباته يلزمنا أن نفصله عن القرينة. إن الكلمات (لأنك تراب وإلى تراب تعود) وردت ضمن منطوق لعنة فلو كانت تشير إلى ناموس طبيعي يسري على الإنسان منذ البداية فأي عقاب أو لعنة فيها، كما أنها لا يمكن أن تعني اللعنة كانت في الموت المبكر الفوري، فالكلمات التي تسبقها تنفي هذا الرأي، فهي تشير إلى عملية تعب متواصل ينتهي بالموت[١].

فالاعتقاد السائد بين المسيحيين أن أجرة الخطية الموت وعلى أساس ذلك فالموت في المسيحية يعني: الانفصال عن الله حيث إن الخطية أفضت إلى الموت وإلى الطرد من الجنة، فإن كانت الحياة تعني الشركة مع الله فبحسب قاعدة (بضدها تعرف الأشياء) فإن الموت يمكن أن يفسر على أنه انفصال عن الله، وهذه الإشارة نجدها ـ كما يقولون ـ في:

"فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها"[٢] فإن الطرد من الجنة أوالطرد من محضر الله معناه الطرد إلى الموت فأساس الموت هو في كون الإنسان قد طرد من محضر الله"[٣].

فالموت لا يعني توقف الحياة ولكنه يعني ـ لدى المسيحيين ـ الانفصال والانحلال[٤].

يقول د/ راغب عبد النور: وسقط الإنسان وطرد من الجنة وانفصل عن الله والانفصال عن الله هو انفصال عن الحياة وعن النور فعانى الموت ولفه الظلام بأكفانه[٥].

والموت في نظر المسيحية المترتب على مخالفة آدم لوصية الله وعصيانه لأمره يتضمن الموت الأدبي (الموت الجسدي، الموت الروحي)، الموت الأبدي..

❖ أما الموت الأدبي: فهو معناه العجز عن السلوك بالقداسة والكمال.

---

(١) المرجع السابق ص٦٥ بتصرف شديد.
(٢) تكوين ٣: ٢٣.
(٣) المرجع السابق ص٦٩.
(٤) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص٥٨.
(٥) د/ راغب عبد النور: شجرة الحياة ص٩.

فقد قال بولس عن الخطية قبل إيمانه بالمسيح إنها خدعته وقتلته[١] وإنها عاشت فمات هو[٢] كما قال للمؤمنين عن حالتهم قبل الإيمان "وأنتم إن كنتم أمواتا بالذنوب والخطايا"[٣]. [٤].

وآدم حين سقط في الخطيئة ـ كما يقولون ـ أصبح ميتًا بمعنى أنه أصبح عاجزًا عن السلوك السوي والقداسة والكمال، لأن الخطيئة تميت النفس وتخدعها وتقتلها، وبعد أن كان على صورة الله في المعرفة والقداسة والكمال ماتت المعرفة والقداسة ومات أيضًا كماله الأدبي. فالموت الأدبي: كلّ عام يشمل جميع الموت الجسدي والروحي، وينتهي الموت الجسدي والروحي إلى الموت الأبدى.

- أما الموت الجسدي: فيراد به موت الجسد وكل ما يسبقه[٥] (فيرجع التراب إلى الأرض كما كان وترجع الروح إلى الله الذي اعطاها)[٦].

"إن موت الجسد ـ كما يقولون ـ هو جزء من عقاب الخطية فلو لم تكن الخطية لما كان الموت الجسدي، لقد دبر الله تدبيرًا عجيبًا به كان يمكن لآدم وحواء أن ينجوا من الموت لو لم يخطآ. لقد وضع في الجنة شجرة الحياة التي كان يمكن أن يأكلا من ثمرها ويعيشا إلى الأبد وإننا لو أخذنا هذه الكلمات بصورة رمزية أو حرفية فالحقيقة هي هي، لقد دبر الله طريقة بها كان بإمكانها أن يخلصا من الموت.

يقول الكتاب المقدس إن آدم وحواء قد طردا من الجنة ليس لأنهما أخطآ ولكن لكي لا يأكلا من شجرة الحياة[٧] ومنذ ذلك اليوم والموت مخيم على العالم، كل

---

(١) رومية ٧: ١١.
(٢) رومية ٧: ٩.
(٣) أفسس ٢: ١.
(٤) عوض سمعان: طريق الخلاص ص١٤.
(٥) د/ أندرو وطسون: شرح أصول الإيمان ص٩٦.
(٦) جامعة ١٢: ٧.
(٧) تكوين ٣: ٢٢ ـ ٢٤.

من عاش على الأرض مات ولم يشذ عن هذه القاعدة غير أخنوخ[١] وإيليا[٢] لقد أصبحت الأرض مقبرة واسعة وفي بعض الحالات يكون الموت هو النتيجة المباشرة للخطية بعينها أو لعدة خطايا، ولكن الموت بوجه عام هو النتيجة غير المباشرة للخطية في الجنس البشري[٣].

❖❖ ويراد بالموت الروحي: فقدان البر الأصلي وابتعاد الله عن الإنسان بسبب الخطيئة[٤]. يقول كلايد تارنر: ليس المعنى الجوهري للموت هو الانقراض بل الانفصال مع ما يرافقه من دمار.

الموت الجسدي يعني انفصال الروح عن الجسد مما يسبب انحلال الجسم فيعود الجسد إلى التراب وترجع الروح إلى الله.

والموت الروحي هو انفصال النفس عن الله مما يسبب دمار النفس. إن الإنسان بحالته الطبيعية ـ فى نظرهم ـ ميت روحيًا وبعيد عن الله، ويصف بولس حالة أهل

---

(١) راجع تكوين ٥ : ٢٤ يقول الأب متى المسكين: إن أول نصرة حازها الإنسان ضد الموت بصورة حاسمة ملموسة كانت على يد أخنوخ بشهادة الكتاب المقدس (وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه) تكوين ٥ : ٢٤ ولكن لم تكن هذه النصرة الباهرة لأخنوخ ضد الموت جزافا فقد أثبت جدارة أمام الله كافأة الله علانية إذ ـ يقول بولس في الرسالة إلى العبرانيين "بالإيمان نقل أخنوخ لكي لا يرى الموت ولم يوجد لأن الله نقله إذ قبل نقله شهد له بأنه قد أرضى الله" عبرانيين ١١ : ٥ لأنه إن كان آدم بسبب عصيان الله وقع تحت سلطان الموت فأخنوخ بسبب إرضاء الله كان أول إنسان بعد آدم يهزم الموت ويطأه بقدميه ويرتفع إلى السماء حيا .أ . هـ (القيامة والصعود) ص٥٠ **ونحن نقول: إن هذا دليل على أن خطيئة آدم خاصة به وحده ولم يرث الخطيئة أبناؤه إذ لوورثها أخنوخ لمات. ولأن الكتاب المقدس يبين أن سبب عدم الحكم على أخنوخ بالموت هو رضاء الله عليه** . فهذا يعنى أن رضاء الله سبحانه وتعالى هو الطريق الصحيح للانتصار على الموت والخلاص منه ـ وليس كما يدعى المسيحيون من أن الخلاص عن طريق ابن الله المخلص.

(٢) راجع الملوك الأول إصحاح ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢١ "وإيليا أيضًا نجد غلبته على الموت بواسطة إرضاء الله إذ نجاه الله من إيزابل والأنبياء الكذبة. ورفع إلى السماء في موكب سماوي مهيب بمركبة نارية وخيول شاروبيمية أرسلت من السماء خصيصًا لنقل إيليا حيا بجسده كأعظم نصرة على الموت (راجع أيضًا القيامة والصعود ص٥١). وبين نصرة أخنوخ على الموت بواسطة إرضاء الله ونصره شعب إسرائيل بأجمعه على الملاك المهلك بواسطة طاعة وصية الله توجد أمثلة عديدة لنصرات كثيرة ومتوالية فردية وشعبية على الموت سواء إزاء وحوش أو حوادث أو حروب، أو أمراض أو كوارث امتدت فيها جميعًا يد الله وانتشلت الإنسان من موت محقق مثل داود من فم الذئب والأسد ومن سيف جليات الجبار وإيليا من يد إيزابل وكذلك أيضًا نصرة اليشع النبى على الموت ... إلى آخره ص٥١ ـ ٥٢.

(٣) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص٧٧ ـ ٧٨.

(٤) شرح أصول الإيمان ص٩٧.

أفسس الروحية قبل إيمانهم (أموات بالذنوب والخطايا) "و بالطبيعة أبناء الغضب"[١] لقد كانوا بعيدين عن الله (إذ هم مظلمو الفكر ومتجنبون عن الحياة الله بسبب الجهل الذي فيهم بسبب غلاظه قلوبهم)[٢]، هذا هو الموت الروحي ينتهي أخيرًا إلى الموت الأبدي والانفصال الأبدي عن الله، ودمار النفس الأبدي هذا إن لم يأت الإنسان إلى معرفة الله (معطيًا نقمة للذين لا يعرفون بالله.. الذين سيعاقبون بهلاك أبدي من وجه الرب ومن مجد قوته)[٣] ودمار النفس الأبدي هذا يدعى "الموت الثاني"[٤].

فالموت الروحي ينتهي بالإنسان إلى الموت الأبدى الذي هو العذاب الواقع على الإنسان جسدًا وروحًا في جهنم إلى الأبد[٥] فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية[٦].

وقد ذكر الموت بصوره وأنواعه في مواضع عديدة في أسفار الكتاب المقدس وإصحاحاته فنجد ذكره في الفقرات المتعلقة بالموت الطبيعي (٦٣) مرة وبما يسمى بالموت الروحي (٢٩) مرة وبما يسمى بالموت الأدبي (٤٣) مرة وبموت المسيح (٥٦) مرة وبموت القديسين (٤٢) مرة وبموت الأشرار (٤٤) مرة وبالموت العقابي (٢٠) مرة وبالموت الجسدي (ست مرات) وبالموت للخطية أربع مرات فضلاً عن فقرات أخرى تتعلق بموضوع الميت (٢٤) مرة، أي أن الموت بأنواعه وصوره قد ذكر في الكتاب المقدس (٣٣١) مرة[٧].

وهكذا فقد الإنسان الأول آدم ـ كما يقولون ـ حالة الكمال الأدبي الذي خلقه الله عليهما وأصبح خاضعًا لناموس الفساد وسلطان الخطية[٨] فالخطيئة تهدم الحياة الروحية والاخلاقية والجسدية[٩].

---

(١) أفسس ٢ : ١ ـ ٣.
(٢) أفسس ٤ : ١٨.
(٣) ٢ تسالونيكي ١ : ٨ ، ٩.
(٤) كلايد تارنر : هذه عقائدنا ص٧٨ ، ٧٩.
(٥) شرح أصول الإيمان ص٥٩٧ ، طريق الخلاص ص١٥.
(٦) متى ٢٥ : ٤٦.
(٧) جمعية الكراريس البريطانية : مغنى الطلاب في مواضيع الكتب الإلهية ص٢٢٣ ـ ٣٢٥ نقلاً عن الخلود في التراث الثقافى المصرى ص١٥٨.
(٨) إبراهيم لوقا : المسيحية في الإسلام ص١٥٨.
(٩) أحمد عبد الوهاب : حقيقة التبشير ص٥١.

ويتبين مما سبق أن آدم قبل السقوط كان متمتعًا مع حواء بمزايا عديدة منها القداسة والقوة والطمأنينة والراحة فكانت نتائج معصيتهما فقد هذه المزايا بجانب العقوبات التي حكم الله عليها بها وأهمها موت النفس والجسد[١].

يقول إلياس مقار: وأجرة الخطية هي موت وقد مات آدم وحواء في اللحظة التي سقطا فيها وانفصلا عن الله، لقد ماتا في الحال الموت الروحي والأدبي إذ لم تعد لهما الشركة الجميلة الحلوة المقدسة مع خالقهما المحب وأبيهما القدوس بل لم يعد لهما ذلك الإحساس الذي ألفاه ودرجا عليه، إحساس الحنين إليه والشوق إلى رؤياه بل لقد شعرا للمرة الأولى بأن غشية من الظلام استولت على عيونهما فلم يعودا يميزان للمرة الأولى بالفرق بين الحق والباطل والنور والظلام والجمال والقبح والخير والشر بل شعرا بما يشبه السم الزعاف القاتل يسري في بدنيهما فينحدر في كيانهما كل المعاني والحقائق ويقتلهما في بطء وعذاب وقسوة وإلى جانب هذا كله شعرا بالموت المادي يأخذ سبيله إلى جسديهما بالضعف والوهن والتعب والمرض والانحلال وهكذا أدركا صدق القائل (لأنك يوم تأكل منها موتًا تموت)[٢].

ثانيًا: طرد آدم وحواء من الجنة:

خلق الله الإنسان الأول آدم ووضعه في جنة عدن وكان على آدم مسئولية أن يعمل لحفظ هذه الجنة وهذا النعيم وذلك بأن لا يقرب من شجرة معرفة الخير والشر وبينما كان آدم ـ كما يقولون ـ على صورة الله في المعرفة والقداسة والبر يتنعم بالجنة وما فيها وإذ بالحية تتسلل إلى المرأة حواء وتستغلها وتغويها بالأكل من الشجرة المحرمة فأكلت حواء، وعن طريق حواء امتدت يد آدم إلى الشجرة فأكل منها فكانت نتيجة ذلك ـ بجانب ما سبق ـ أن قال الرب الإله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفًا الخير والشر والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضًا ويأكل ويحيا إلى الأبد فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها فطرد الإنسان

---

(١) الدين المسيحي للمرحلة الثانوية سنة ١٩٦٦ ص٣٢.

(٢) رجال الكتاب المقدس حـ١ ص١٢، قضايا المسيحية الكبرى ص ٣٧٨، ٣٧٩.

وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم[١] ولهيب سيف متقلب[٢] لحراسة طريق شجرة الحياة[٣].

فكان طرد الله لآدم وحواء من الجنة ـ كما يقولون ـ لكي لا تمتد أيديهما إلى شجرة الحياة فيأكلا منها وعن طريقها يحيا آدم وحواء إلى الأبد، أي بواسطة ثمر شجرة الحياة يحيا الإنسان إلى الأبد. وأخرجهما الله أيضًا من الجنة ليعملا ويكدا في الأرض (طرد آدم وحواء من الجنة فطردا بذلك من الحياة الوادعة الآمنة المستريحة[٤].

كيف يقال إن الله أخرجهما من الجنة لكى لا يأكلا من شجرة الحياة لكى تتم عقوبة الموت عليهما، مع أنهما وهما فى الجنة لم يكونا يعرفان شجرة الحياة، فكان مصيرها الموت هناك أيضا، حتى ولو لم يأكلا من شجرة المعرفة؟

وكيف يحسن أن يقال: (وقال الرب الإله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا يعلم الخير والشر)، أيتوهم عاقل أن الإلهية تكتسب فضلاً عن أنها تكتسب بالأكل؟

---

(١) كروب. كروبيم (صيغة الجمع العبرية) أو كروبون (صيغ الجمع العربية) والكروبيم: "ملائكة يرسلون من قبل الله أو يقيمون في حضرته تعالى أقامهم الله على أبواب جنة عدن عندما طرد آدم وحواء منها، ويقال عنهم إنهم ذوو جناحين أما أشباههم فكانت من ذهب وأوقفت على غطاء تابوت العهد" وكلم الرب موسى وتصنع كروبيم من ذهب صنعة خراطة تصنعهما على طرفي الغطاء (خروج ٢٥ : ١٨) وعمل في بيت قدس الأقداس كروبين صناعة الصياغة وغشاهما بذهب. وأجنحة الكروبين طولها عشرون ذراعًا الجناح الواحد خمسة أذرع يمس حائط البيت والجناح الآخر خمسة أذرع يمس جناح الكروب الآخر وجناح الكروب الآخر خمسة أذرع.... إلى آخره. وأجنحة هذين الكروبين منبسطة عشرون ذراعًا وهما واقفان على أرجلهما خمسة إلى داخل (أخبار الأيام الثاني ٣ : ١٠ ـ ١٣)، وكان جناحا الكروبين يظللان التابوت.

وكان الكروبيم تحت عرش الله لما ظهر لحزقيال (ثم رفعت الكروبيم أجنحتها والبكرات معها ومجد إله إسرائيل عليها من فوق وصعد مجد الرب من على وسط المدينة ووقف على الجبل الذي على شرقي المدينة) حزقيال ١١ : ٢٢ ـ ٢٣ بالمقابلة مع (فإذا سارت الحيوانات سارت البكرات بجانبها وإذا ارتفعت الحيوانات عن الأرض ارتفعت البكرات) حزقيال ١ : ٩. أ. هـ قاموس الكتاب المقدس ص ٧٧٩.

(٢) ولهيب سيف متقلب: هو أداة التأديب والقصاص (الدين المسيحي للمرحلة الثانوية ص ٣٢).

(٣) تكوين ٣ : ٢٢ ـ ٢٤.

(٤) قضايا المسيحية الكبرى ص ٣٧٨.

وكيف يحسن أن يقال عقب ذلك (والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة ويأكل ويحيا إلى الأبد) فإن ظاهره أن الحياة والموت ليسا بيد الله وقدرته بل بسبب بعض المأكولات وأن الله خشى من حياته الأبدية بسبب أكل الشجرة فأخرجه من الفردوس، ولو كان أكل الشجرة الأولى موجبًا لعلم الخير وأكل الثانية موجبًا للحياة كما هو ظاهر اللفظ لكان آدم عقيب أكل الشجرة الأولى أكل من الشجرة الثانية ضرورة من غير تأخير، إذ قد علم الخير والشر فيعلم أن هذا خير فلا يمكنه الصبر عليه أصلاً.

كيف يحسن أن يقال "وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم..." عقيب قوله "فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض" فإن آدم في الأرض خارج الفردوس فكيف يمكنه الدخول إلى الفردوس بغير إذن الله حتى يحتاج إلى حفظ طريق الشجرة وهي داخل الفردوس؟ وأيضًا: فلو كان دخول الفردوس بغير إذن الله ممكنًا لدخله الآن كل واحد منا أو بعضنا، ولكان المناسب له أن يقال: ليحفظ دار الفردوس التي هي دار النعيم لئلا يدخلها آدم العاصي بعد إخراجه منها سواء أكل من الشجرة أم لا[1].

عقوبات الجنس البشري نتيجة لسقوط آدم في الخطيئة فى المسيحية

إن الرأي السائد في الديانة المسيحية أن خطية آدم لم تضر به وحده بل امتدت إلى جميع نسله فشملتهم.

يقول علم اللاهوت النظامي في إجابة على سؤال: هل أضرت خطية آدم به فقط؟ الجواب: قد أجمع المسيحيون[2] على أن خطية آدم لم تضر به فقط بل بجميع نسله أيضًا، ولكنهم اختلفوا في كيفية علاقة آدم بنسله من هذا القبيل، وسبب اشتراكهم في نتائج معصيته، وفي ماهية الخطية التي ورثها نسله، وفي امتدادها.

---

(١) على التوراة ص ٣٤ ـ ٣٥.

(٢) قوله (أجمع المسيحيون) خلاف الواقع فهناك من المذاهب اللاهوتية التي ترفض عقيدة وراثة نسل آدم لخطيئته، وهم البيلاجيون.

أما التعليم الإنجيلي في ذلك فهو أن خطية الإنسان في الحال التي سقط فيها تقوم باشتراكه في جرم خطية آدم الأولى المحسوب عليه، وبفقد البر الأصلي، وبفساد طبيعته كلها المسمى غالبًا الخطية الأصلية، وبجميع الخطايا الفعلية الصادرة من ذلك. والبشر بسبب هذا الفساد الأصلي فسدوا فسادًا تامًا في كل قوي النفس والجسد، وفي كل أجزائها، ومالوا عن الخير كل الميل، وعجزوا عن عمله وتبعوا الشر، ومن هذا الفساد تصدر كل الخطايا الفعلية. وأيضًا أنه إذ لم يقطع العهد مع آدم من أجل نفسه فقط بل من أجل نسله أيضًا فالجنس البشري جميعه المتناسل منه تناسلاً طبيعيًا قد أخطأ منه وسقط معه بخطيته الأولى ولذلك نسبته إلى آدم هي علة هذه الحالة الردية، وأن هذا السقوط أوصل الجنس البشري إلى حال الخطية والشقاوة[١].

فخطية البشر في الحال التي سقطوا فيها تقوم بإجرامهم ـ كما يقولون ـ في خطية آدم الأولى وبفقدان البر الأصلي وبفساد طبيعتهم كلها المسمى غالبًا بالخطية الأصلية وبجميع الخطايا الفعلية الصادرة من ذلك[٢].

يقول حبيب جرجس: إن خطية آدم عمت جميع نسله وعادت بالويل والشقاء على سائر الجنس البشري وصار محكومًا عليهم أن يولدوا أثمة وعبيدًا للخطية والموت وذلك لأن آدم لم يلدهم إلا وهو في حالة الإثم والمعصية والغضب فبناء عليه كان جميع الجنس المتناسل منه بالطبيعة آثمًا ومخطئًا وواقعًا في المعصية عليهم كما حسب عليه[٣].

ويقول إبراهيم لوقا: ولما كان الشوك لا يثمر تينا فقد صار جميع نسل هذا الإنسان الأول فاسدًا كفساده واقعًا تحت حكم الموت[٤].

ويقول كلايد تارنر: إن الإنسان بسقوطه لم يجلب الدمار على نفسه فحسب بل على ذريته أيضًا، وأيضًا بما أن آدم هو أبو الجنس البشري فتأثير خطيته قد تعداه إلى نسله لأنهم أصبحوا ورثة لطبيعة ساقطة. هذه الحقيقة ظاهرة بوضوح في العهدين

---

(١) علم اللاهوت النظامي ص٦٤٨، تفسير أصول الإيمان حـ١ ص٥٦، شرح أصول الإيمان ص١١٥.

(٢) ج. أ. وليمسون: تفسير أصول الإيمان جـ١ ص٦١ ترجمة الشيخ/ فايز فضيل.

(٣) خلاصة الأصول الإيمانية في معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ص٢٣ ـ ٢٧.

(٤) إبراهيم لوقا: المسيحية في الإسلام ص١٥٨.

القديم والجديد فقد قال داود: هاأنذا بالإثم صورت وبالخطية حبلت بي أمي[١] لم يتهم داود أمه بالخطية ولكنه يعلن أنه قد ولد بطبيعة فاسدة. والعهد الجديد يبين هذه الحقيقة بوضوح أجلى يقول بولس (ومن أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع)[٢].

ويقول "لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة"[٣]، [٤].

ويقول كلايد تارنر أيضًا: ومن جراء الخطية أصبح الإنسان فاسدًا بطبيعته وبعد سنين عديدة قال يسوع (هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثمار جيدة وأما الشجرة الرديئة فتصنع أثمارًا ردية، ولا شجرة ردية أن تصنع أثمارًا جيدة)[٥] وهكذا فإذا كان رأس الجنس البشري فاسدًا فإنه لا يستطيع أن يثمر إلا نسلاً فاسدًا.

إن البراهين على صدق هذه الحقيقة غير قائمة في الأسفار المقدسة فحسب ولكن يمكن أن نبرهن على صحتها باختباراتنا الخاصة[٦].

وسوف نناقش ذلك كله فيما بعد، ولكننا مع هذا سنعلق تعليقا موجزا على هذه الادعاءات:

أما قوله "هذه الحقيقة ـ وراثه الخطيئة ـ واضحة وظاهرة في الكتاب المقدس فإن هذا القول ليس صائبًا لأن الكتاب المقدس يوضح أنه لا يؤخذ الأبناء بجرائم الآباء" فمن ذلك قوله: "النفس التي تخطئ هي تموت والابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون"[٧] ومثله أيضًا في سفر التثنية: (لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء كل إنسان

---

(١) مزمور ٥١ : ٥.
(٢) رومية ٥ : ١٢.
(٣) رومية ٥ : ١٩.
(٤) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص٥٩.
(٥) متى ٧ : ١٧، ١٨.
(٦) نفسه، نفس الصفحة.
(٧) حزقيال ١٨ : ٢٠.

بخطيته يقتل)[١] وكذلك ما جاء على لسان بولس "دينونة الله العادلة الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله"[٢] كل ذلك يثبت أن خطيئة الإنسان لا تتعدى نفسه ولا يقع إثم خطيئة الإنسان على غيره ولا يتحمل خطأه سواه"[٣].

فهذه الفقرات توضح أن كل إنسان مسئول عن عمله إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر ولا تزرو وازرة وزر أخرى، وما استدل به (كلايد تارنر) من قول داود فإنه لا يعدو سوى مناجاة من عبد طائع لله، ولا شك أن الإنسان العابد الذى يناجي ربه ويتضرع إليه دائمًا وأبدًا يطلب من الله الرحمة ولا يكون ذلك إلا بالإقرار بالضعف أمام المعاصي ولا أدل على ذلك مما جاء في بداية المزمور الذي جاء منه القول السابق (ارحمني يا الله حسب رحمتك حسب كثرة رأفتك..."[٤].

أما الفقرات الأخرى التي استدل بها من كتابات بولس، فإن بولس هذا ـ كما قلنا سابقًا ـ ليس من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ تلاميذه ولكنه كان من أشد أعداء المسيحية وفجأة وبدون مقدمات أصبح المؤسس الحقيقي للمسيحية.

أما استدلاله على وراثة الخطيئة لنسل آدم بأن الجنس البشري متناسل من آدم المخطئ والشجرة الطيبة تنتج ثمرة طيبة والشجرة الردية تنتج ثمرة ردية فإن هذه النظرية تحتاج إلى توضيح ذلك أننا نرى الرجل المؤمن الولي يولد له من يكون فاسقًا، وكذلك الرجل الكافر الفاسق يولد له من يكون مؤمنًا تقيا[٥].

ومن ناحية الأشجار فرغم أن القضية فى المعنويات، وهى لا تخضع للوراثة كالحسيات فإننا نجد الشجرة الطيبة نعم تنتج ثمارًا طيبة ولكننا نجد المذاق يختلف من ثمرة لأخرى فنرى واحدة أقل في الحلاوة وأخرى أكثر في الحلاوة وهذا فيه بعض

---

(١) تثنية ٢٤ : ١٦.

(٢) رومية ٢ : ٦.

(٣) د/ محمد وصفي : المسيح والتثليث ص٣٦٩.

(٤) مزمور ٥١ : ١.

(٥) يشوع ٢٤ : ٢ ـ ١٤ وذلك عن آباء إبراهيم (قاموس الكتاب المقدس) ص١١.

الاختلاف. معنى ذلك أن قوله غير مسلم به لأنه يختلف من شخص لآخر ومن ثمرة لأخرى.

المذاهب اللاهوتية في الخطية[١]

لقد قلنا في الفصل السابق أن هناك ثلاثة مذاهب لاهوتية اشتهرت في الكنيسة على الدوام وهي:

المذهب الأوغسيطني

المذهب البيلاجي

المذهب النصف البيلاجي

ونحن بصدد دراسة الخطية التي هي من أهم الأسباب التي نتجت عنها المذاهب الثلاثة، بل إنها أكثر قضية اختلفت حولها المذاهب الثلاثة نذكر بإيجاز آراء المذاهب الثلاثة في الخطية وما ينتج عنها.

وسنبدأ بالمذهب الأوغسطينى لأن الكنيسة الغربية تؤمن به وكذلك الكنيسة الإنجيلية ولأن الكنائس الأخرى تعتقد أنه يتوافق مع تعاليم الإنجيل.

المذهب الأوغسطينى في الخطية:

ما قلناه سابقًا من وراثة نسل آدم لخطيئة هو عين المذهب الأوغسطينى.

وأهم آراء هذا المذهب:

- أن الله خلق الإنسان أصلاً على صورته تعالى في المعرفة والبر والقداسة مختارًا خالدًا وخوله سلطانًا على الخلائق ولذلك كان له قدرة على اختيار الخير والشر وإثبات طبيعته الأدبية.
- أن آدم إذ ترك لحرية إرادته أخطأ إلى الله باختياره حين تجرب من إبليس فسقط من الحال التي خلق عليها.

---

(١) اعتمدنا في هذه الفقرة بالذات على كتاب (علم اللاهوت النظامي) حيث إنه الكتاب الأول في علم اللاهوت النظامي المسيحي، ولأن هذه الفقرة شرحت فيه شرحًا وافيًا.

❖ أنه نشأ من معصيته فقد الصورة الإلهية وفساد طبيعته كلها حتى صار ميتًا في الروح غير مائل إلى الخير الروحي وعاجزًا عنه ومضادًا له، وصار أيضًا قابلاً للموت الجسدي وعرضة لكل أسواء هذه الحياة وللموت الأبدي.

❖ أن الاتحاد النيابي بين آدم ونسله هو علة ما حل عليهم من نفس نتائج المعصية التي حلت عليه وأنهم يولدون أبناء الغضب (أى في حال الدينونة) خالين من صورة الله وفاسدين أدبيًا.

❖ أن هذا الفساد الذاتي الموروث هو بالحقيقة من طبيعة الخطية غير أنه ليس من الخطايا الفعلية.

❖ أن فقد البر الأصلي وفساد الطبيعة اللذين نتجا من سقوط آدم هما عقاب لأنهما قصاص خطيته الأولى.

❖ أن التجديد أو الدعوة الفعالة هو عمل الروح القدس العجيب الذي تكون فيه النفس مفعولاً لا فاعلاً وهو متعلق بإرادة الله على الإطلاق فيلزم عن ذلك إن الخلاص هو من النعمة فقط[1] وهو كما ترى لا تختلف عما قلناه سابقًا.

المذهب البيلاجي في الخطية:

وهو مذهب بيلاجوس ومن مبادئه: أن القدرة تحدد الالتزام وأن للإنسان قدرة كافية لعمل كل ما يكلف به الحق، وأن الخطية إنما تقوم بالعمل الصالح وأن القداسة إنما تنشأ عن الأعمال الصالحة. ولذلك الخطية لا تنسب إلى أخلاق النفس وأميالها الراسخة بل إلى أعمالها فقط. وشريعة الله لا تحيط بالأخلاق الراسخة بل باختيار الإرادة وأعمالها فقط. والقاعدة التي يقوم عليها هذا النظام كله هي قولهم: إذا وجب على قدرت. وعلى ذلك يمكن حصر هذا المذهب في مبدأين:

الأول: أن القدرة تحدد التكليف.

---

(١) علم اللاهوت النظامي ص٦٣٨ ـ ٦٤٠.

الثانى: أن الخطية لا تختص البته بأخلاق النفس وصفاتها الباطنة، بل إنما تقوم بالأعمال الصالحة، وأن القداسة كذلك لا تختص بخصال النفس، بل إنما تقوم بالأعمال الصالحة.

والنتائج اللازمة عن المبدأين اللذين أمكن حصر المذهب البيلاجى فيهما مايلى:-

- ❖ نفى وجود بر أصلي في آدم وفى كل مخلوق بشري
- ❖ نفى وجود خطية أصلية في البشر بل عدم إمكانية ولادة البشر في الخطية.
- ❖ حصر الخطية في الأعمال الاختيارية أي لا خطية إلا ما نشأ عن الأعمال الاختيارية ومن ذلك نشأ المذهب البيلاجي في حرية الإرادة الذي ملخصه أن الحرية التامة تستلزم دائمًا القدرة المطلقة في الإرادة على اختيار الخير والشر والعمل بحسب الاختيار وذلك في كل البشر على الإطلاق.
- ❖ نفى مبدأ النيابة على الإطلاق سواء كانت في نسبتنا إلى آدم أم إلى المسيح.
- ❖ إمكان الخلاص بدون الإنجيل وتجديد الروح القدس أي لكل إنسان قدرة على تخليص نفسه.
- ❖ أن آدم خلق قابلاً الموت الجسدي ولذلك لم يكن موت الجسد عقاب الخطية[١] وهذه الآراء يعتبرها المسيحيون (بدعة).

وأهم ما في هذا المذهب من قول هو الاعتقاد بأن كل إنسان مسئول عن عمله وأن الإنسان لم يحمل من خطيئة آدم شيئًا وهو ما نوافق عليه. وعلى هذا المذهب ليس هناك ما يسمى بالخطية الأصلية.

المذهب النصف البيلاجي:

وهذا المذهب بعضه أخذ عن بيلاجيوس وبعضه عن أوغسطينوس، وهو يخالف البيلاجي برفض الاعتقاد أن خطية آدم أضرت نفسه فقط، وهو يعلم أن نتائج تلك الخطية اجتازت إلى كل البشر وأثرت في النفس والجسد كليهما، فجعلت الجسد تحت طائلة الموت والمرض والألم وأضعفت النفس حتى صارت مائلة إلى الشر وعاجزة

(١) المرجع السابق ص ٦٣٢ ، ٦٣٣.

بدون المعونة الإلهية عن تكميل شئ مما هو محسوب عند الله من الصلاح والخير، غير أن هذا الضعف في النفس والميل إلى الخطية فعلاً لا يحسبان عندهم من باب الخطية بل من البلية والتعطيل فقط، على أنهم يسلمون أن تلك الحال تؤدي لا محالة إلى ارتكاب الخطايا فعلاً. وهو يخالف الأوغسطيني في أنه يعلم:

- ❖ أن خطية آدم غير محسوبة على نسله ولم يصب الجنس بسبب سقوط آدم غير الضعف الأدبي وانحراف الصحة الروحية وذلك على قولهم ليس خطية.
- ❖ أن بداءة الخلاص هي من الإنسان أي هو يبتدئ أن يطلب الله ثم يأخذ الله في مساعدته.
- ❖ أن الإنسان يشارك الله في عمل التجديد والتقديس، فنصف العمل محسوب لله والنصف الآخر للإنسان[1].

❖ ❖ ❖

والرأي السائد فى المسيحية هو الاعتقاد بأن خطية آدم أضرت بالجنس البشري وأن نتائج الخطية امتدت إلى نسل آدم وهو عين ما جاء في المذهب الأوغسطيني.

ولقد نتج عن الاعتقاد بأن خطيئة آدم أضرت بنسله ثلاث قضايا رئيسية هي:

١ ـ تعليل حسبان خطية آدم على نسله.

٢ ـ فساد الطبيعة الموروثة من آدم أي (الخطية الأصلية).

٣ ـ عجز الإنسان الساقط عن كل خير روحي.

القضية الأولى: تعليل حسبان خطية آدم على نسله:

لقد اختلف المسيحيون في تعليل حسبان خطية آدم على نسله على مذاهب متعددة أشهرها:

الأول: أن خطية آدم ليست سبب إثم الجنس البشري مطلقًا وأنه ليس بين آدم والبشر نسبة طبيعية ولا جسدية ولا شرعية تسبب فيهم الخطية، ومن أهل هذا المذهب من نسب خطأ البشر إلى قصد أو ترتيب إلهي وهو أنه إن أخطأ آدم يخطئ جميع البشر بدون نسبة بينه وبينهم توجب ذلك، ومنهم من نسبها إلى اختيار الإنسان الحر فقالوا كما اختار آدم أن يخطئ كذلك يختار كل إنسان الخطية بدون

(١) المرجع السابق ص٦٣٧.

وجود نسبة طبيعية أو شرعية بينه وبين آدم[١] وعن هذا المذهب جاء في علم اللاهوت النظامي "ولا يخفي أن هذا المذهب غير مطابق لتعليم الكتاب المقدس"[٢] لأن الكتاب المقدس ـ كما يقولون ـ يعلمنا أن خطية آدم أضرت بجميع الجنس البشري حيث إن آدم هو رأس الجنس البشري ونائبهم الشرعي وبخطئه امتدت الخطيئة إلى نسله.

الثاني: مذهب أوريجانوس[٣]: وهو نسبة خطأ البشر الحاضر إلى عمل اختياري من كل إنسان في وجود سابق لا إلى معصية آدم الأولى، أي أن النفوس تولد في هذا العالم في حال الخطية لأنها وجدت سابقًا في كينونة أخرى وأخطأت فيه على الله، وهذا الرأي ـ كما جاء في علم اللاهوت النظامي ـ رأي وهمي لا أساس له في الكتاب المقدس الذي يعلمنا أن الله خلق الإنسان جسدًا ونفسًا ورأى ذلك أنه حسن ـ خلافًا لمضمون هذا المذهب أن آدم هو روح ساقط ـ وأنه خلق على صورته تعالى في المعرفة والبر والقداسة وهو سقط في تلك الحال في هذه الحياة لا في غيرها، وأنه بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم ودخل بالخطية الموت وأن الجميع أخطأوا بإنسان واحد، وكل ذلك يناقض هذا المذهب[٤].

الثالث: مذهب الجوهر العام: وهذا المذهب يقوم على: "أن البشر اشتركوا في خطية آدم لأنهم كانوا فيه حقيقة وأرادوا وفعلوا كل ما أراد وفعل هو. وقد سمى هذا

---

(١) علم اللاهوت النظامي ص ٦٤٩.

(٢) نفس المرجع ص٦٤٩.

(٣) أوريجانوس يحتل مكان الصدارة بين القادة الأولين للفكر المسيحي، ويعتبره البعض أعظم بطل مسيحي ظهر في القرون الأولى. بل نفس الذين اختلفوا معه وهاجموه وطعنوا في حياته وفي كتاباته لا ينكرون عليه مكانته كمفكر لم تنبت القرون المختلفة كثيرين مثله. ولد أوريجانوس لوينداس في حوالي سنة ١٨٥ م في مدينة الإسكندرية وكان بكر العائلة كبيرة العدد، وفي سن السابعة عشرة اجتاز هذا الشاب التقي الرقيق الإحساس في اختبار أليم قاس عندما بدأ "سفريوس" اضطهاداته "العنيفة ضد المسيحيين سنة ٢٠٢"م والتي راح ضحيتها والده الرجل التقي لونيداس. ولقد تعرض أوريجانوس لعذابات في أثناء الاضطهاد المريع الذي شنه الإمبراطور ديسيوس (١٤٩ ـ ٢٥١م) والذي شمل الإمبراطورية كلها تقريبًا وقد قيد بسلاسل ثقيلة في يديه ورجليه وعنقه وزج به في سجن مظلم وكوي بالحديد وكان هم القاضي أن يحتفظ به حيًا ليطيل عذابه. كان لهذا الاضطهاد والعذابات التي أضعفت جسده تأثيرها العميق والكبير على صحته حتى بعد أن خرج من السجن فمات هذا المعلم المصري في صور ودفن فيها في سنة ٢٥٣م. (راجع تاريخ الفكر المسيحي المجلد الأول ص٥٣٩ ـ ٥٤٦، التربية الدينية المسيحية للمرحلة الثانوية ط١٩٧٧ حـ٣ ص٥١ ـ ٦١.

(٤) علم اللاهوت النظامي ص٦٥٠.

المذهب بمذهب الجوهر العام لأنه مبني على الاعتقاد أن كل البشر جوهر واحد وأن كل فرد منهم هو جزء من ذلك الجوهر الجنس العام ومشترك مع جميع الأفراد في حياة واحدة. وبموجب هذا الرأي تكون خطية آدم خطيتنا نحن أيضًا لأننا ارتكبناها بالفعل وقد حسبت علينا باعتبار كونها خطيتنا لا باعتبار كونها خطيته فقط.

وقد استصوب هذا المذهب البعض من اللاهوتيين القدماء غير أن جمهور المحدثين رفضوه من وجهين:

الأول: من جهة عدم صحته في حد ذاته.

الثاني: من جهة عدم مناسبته لإيضاح النسبة بين آدم والبشر فيما يتعلق بحسبان الخطية الأصلية[١].

الرابع: مذهب الحسبان بالواسطة: "وهذا المذهب يعلم: أن البشر خطاة لأنهم يرثون من آدم طبيعة فاسدة آثمة بسببها يحسبهم الله مذنبين ويعاملهم كذلك، أي أنهم خطاة ليس لأن جرم معصية آدم حسب عليهم ولا لأن بينهم وبين آدم نسبة شرعية مع أنهم لا ينكرون تلك النسبة بل لأنهم يولدون خطاة وأن الله يقاص كل إنسان على الخطية لأنه ولد خاطئًا واستحق القصاص لا لأن آدم كان نائبه وهو قد سقط بسقوطه"[٢].

الخامس: ويسمى مذهب الحسبان رأسًا بدون واسطة: "وهو الأكثر قبولاً عند جمهور اللاهوتيين.

وحقيقة هذا المذهب: أن آدم هو رأس البشر الطبيعي ونائبهم الشرعي وأن البشر بسبب ذلك امتحنوا فيه ونتج لهم من سقوطه:

أولاً ـ ولادة كل فرد منهم في طبيعة فاسدة.

ثانيًا ـ وتحت طائلة قصاص معصيته.

---

(١) المرجع السابق ص٦٥٠.

(٢) المرجع السابق ص٦٥٠.

فالأمر الأول نشأ عن رئاسته الطبيعية أي أنه فسد فنال زرعه بالولادة طبيعة فاسدة بموجب الناموس العام أن الشيء يلد نظيره بمعنى أن كل شجرة جيدة تصنع أثمارًا جيدة وأما الشجرة الردية فتصنع أثمارًا ردية[١]. وقد ناقشنا ذلك فيما سبق.

والأمر الثاني: نشأ عن رئاستهم الطبيعية التي بموجبها كان نائبهم الشرعي (بتعيين رسمي من الله) وحسب عليهم جرم معصيته لأنه نائبهم الشرعي.

وحاصل هذا المذهب: أن جرم خطية آدم الأولى وفقدان بره الأصلي وفساد طبيعته بسقوطه وصل إلى جميع المتناسلين منه لأنه رأسهم الطبيعي ونائبهم الشرعي وأن بين البشر وآدم نسبة طبيعية ونسبة شرعية وأنهم بواسطة الأولى أخذوا منه الطبيعة الفاسدة وبواسطة الثانية حسب عليهم جرم معصيته[٢].

هذا المذهب هو الذي يؤمن به أكثر المسيحيين، ومضمونه أن خطية آدم أضرت به وبنسله حيث إنه كان نائبهم الشرعي والطبيعي.

ونحن نقول إن هذه النسبة لا تجعل الإنسان يتحمل خطيئته نعم إن الشيء يلد نظيره ـ أي في الاستعداد العام ـ ولكن ليس من اللازم أن يكون هذا النظير له مثل صفاته وأفعاله الأخلاقية والدينية من حيث الصلاح وعدمه طالما إننا بازاء مخلوق له حرية الفعل والترك.

القضية الثانية: فساد الطبيعة الموروثة من آدم:

الأمر الثاني الناشئ من نسبة البشر إلى آدم لدى المسيحيين هو الخطية الأصلية أو فساد الطبيعة الموروثة من آدم أو الحال التي تولد عليها النفس بقطع النظر عن حسبان جرم معصية آدم عليها. وهو يقوم بما يأتي:

١ ـ خلو النفس من البر الأصلي الذي كان لآدم قبل سقوطه.

٢ ـ وراثتها طبيعة فاسدة من الوالدين.

---

(١) متى ٧: ١٧.

(٢) علم اللاهوت النظامي ص٦٥١ بتصرف شديد.

٣ ـ عجزها في الأمور الروحية وهو نتيجة ضرورية مما سبق.

وقد سبق قولهم إن حسبان الجرم نشأ من رئاسة آدم النيابية الشرعية لأن الجرم لا يمكن أن ينقل كصفة ذاتية من شخص إلى آخر ولكن كنسبة خاصة إلى الشريعة يمكن أن يحسب من واحد إلى غيره.

وأما القضايا الثلاث الباقية التي ذكرت أعلاه فنشأت ـ كما يقولون ـ من رئاسته الطبيعية، والمراد بذلك أن آدم بعد سقوطه صار يلد أولادًا على شبهه كصورته، أي بدون بر، فاسدي الطبيعة، وعاجزين عن أن يكونوا صالحين، أو يفعلوا الصلاح من مجرد قوتهم وذلك بموجب الناموس العام الموضوع من الله أن الشيء يلد نظيره، وقد أجمع جمهور اللاهوتيين المسيحيين على أن هذه الأحوال الأربع (أي الثلاث المذكورة مع حسبان الجرم) المجتمعة في كل فرد من بني آدم قد جعلت قصاصًا عليهم بسبب معصية آدم.

وأما بعضهم فلم يروا لزومًا لاعتبار غير حسبان الجرم قصاصًا وقالوا: إن الثلاث الباقية نتائج طبيعية عين الله وقوعها بسبب سقوط آدم وأنها نشأت بواسطة الولادة الطبيعية[1].

القضية الثالثة: عجز الإنسان الساقط عن كل خير روحي:

والأمر الثالث الناشئ من نسبة البشر إلى آدم وسقوطه هو عجز الإنسان الساقط عن عمل الصلاح الروحي أمام الله من تلقاء نفسه وبقوته الذاتية وذلك مدلول عليه ضرورة الموت الروحي.

والمذاهب المسيحية المشهورة في شأن قدرة الإنسان الساقط في الأمور الروحية هى:ـ

الأول: المذهب البيلاجي: وهو أن للخطاة قدرة كاملة على عمل ما يكلفهم الله به.

---

(١) المرجع السابق ص٦٧٢.

والثاني: المذهب النصف البيلاجي: (ويوافقه المذهب الأرميني) [١] وهو:ـ أن قوى الإنسان ضعفت بسبب سقوط الجنس لكنه لم يفقد كل قدرة على عمل الصلاح الروحي أمام الله. وأصحاب هذا المذهب يسلمون بلزوم النعمة الإلهية لمساعدة الإنسان في حياته الروحية وحفظه من الارتداد ولكنهم ينكرون وجوب تلك النعمة لتقديره على ابتداء الحياة الجديدة فيقولون إن كل إنسان قادر من تلقاء نفسه أن يتوب ويؤمن بالمسيح ويقصد الحياة الروحية لكنه يحتاج إلى مساعدة الله على إتمام ذلك والمواظبة عليه[٢].

الثالث: المذهب الأوغسطينى ويقولون عن هذا المذهب إنه المذهب الإنجيلي:ـ

وهو: أن البشر عجزوا منذ السقوط كل العجز باعتبار قدرتهم الذاتية عن الرجوع إلى الله أو عن عمل الصالحات الحقيقية أمامه تعالى للفساد الذاتي الموروث[٣].

مما سبق يتبين لنا: أن صورة الإنسان بعد السقوط ـ فى الديانة المسيحية ـ تتجلى بوضوح من خلال العقوبات التي صاحبت سقوط الإنسان.

وعموم القول فإن الإنسان بعد السقوط ـ فى الديانة المسيحية ـ فقد موهبة البر والقداسة بل والصلاح ولم يفقد آدم وحده هذه الكمالات بل امتدت إلى جميع نسله إلى بني البشر جميعًا فأصبحوا يولدون بلا بر وبلا صلاح بل بالخطية الأصلية المتعلقة بظهورهم.

---

(١) ينسب المذهب الأرميني إلى يعقوب أرمينيوس الذي كان أستاذًا لعلم اللاهوت في مدرسة ليدن الجامعة من سنة ١٦٠٢م إلى حين موته سنة ١٦٠٩م مع أنه كان راعيًا لكنيسة هولندا الكلفينية. حامي أولاً سرًا ثم جهرًا عن النظام اللاهوتي الذي دعى من ثم فصاعدًا باسمه وانتشر بغاية السرعة رغمًا عما اعترضه حالاً من المقاومة من المعتبرين في الكنيسة، ثم بعد برهة قصيرة قدم الأرمينيون للرؤساء لأجل تحديد تعليمهم خمس عقائد تعبر عن إيمانهم بالتعيين السابق والنعمة فاشتد الجدال في شأن تلك العقائد بين الكلفينيين والأرمينيين، ولما عجزت كل الوسائط عن تسكيت أهل البدع دعا ديوان الولاية العامة انعقاد سنودس عام في (دورت) من هولندا فالتأمت جلساته من سنة ١٦١٨م إلى سنة ١٦١٩م وحكم فيه بإجماع على التعليم الأرميني وأثبت إيمان الكنائس المصلحة العامة الكلفيني. وليس الآن من يعترف بقانون الإيمان الأرميني من الكنائس الإنجيلية الكبيرة سوى كنيسة المثوديست في إنجلترا وأمريكا (راجع علم اللاهوت النظامي ص١٤٠.

(٢) علم اللاهوت النظامي ص٦٩١.

(٣) المرجع السابق ص٦٩٢.

يقول القس إنسطاسى شفيق: (وعندما سقط الإنسان تعطلت نفسه فأمحت عنها صورة الله وانفسدت طبيعته وصار ميتاً فى الخطية وتعطل جسده أيضا وصار خاضعاً للموت بسبب السقوط وتعطل العالم أيضًا نظرًا إلى الإنسان تعطيلاً عظيمًا كما لو فقد النظام والتريب ورجع إلى الحالة الخربة التي كان عليها قبل انتظامه)[١].

ويقول د/ حنا جرجس الخضري: (ومن هذا التاريخ ـ تاريخ السقوط ـ وبعد ذلك "فسدت الأرض وامتلأت ظلمًا ورأى الله الأرض فإذا هي قد فسدت"[٢]. إن سقوط الإنسان الأول كان عبارة عن الحلقة الأولى لسلسلة طويلة ثقيلة قيدت البشر جميعًا وكانت تطوح بهم بلا رحمة إلى الهلاك الأبدي الذي هو انفصال الخالق عن المخلوق)[٣].

ويقول دوم كولومبا مرميون: ولكن آدم أخطأ فأضاع على نفسه وعلى نسله هذه الهبة الإلهية ـ التي هي مشاركة الطبيعة الإلهية ـ التي جعلها الله لآدم وجعلت منه ابنا لله ـ فأصبحنا لذلك نولد خطاة عارين من هذه النعمة التي تجعل منا أبناء الله وصرنا إذ ذاك أبناء الغضب وأعداء الله[٤].

ويقول بنيامين بنكرتن ـ "يزعم الناس بعض الأحيان أن الداء الوحيد الذي اعتراهم بالخطية هو العجز أو الضعف ولكن وجد فيهم داء آخر أشر وهو عدم الإرادة أو بالأحرى الرفض والعصيان"[٥].

يعتقد المسيحيون أن الإنسان بزلته قد أضاع الكمالات التي كان الله قد وهبه إياها والتي قد دعاها الكتاب المقدس صورة الله، ويؤيد ذلك قول بولس(إن الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله)[٦].

لقد سقط الإنسان تحت ثقل غضب الله إذ تعدى الناموس الإلهي[٧].

---

(١) القس إنسطاسى شفيق: الفداء في إنجيل لوقا ص٣٢.

(٢) تكوين ٦: ١١ ـ ١٢.

(٣) د/ القس/ حنا جرجس الخضري: تاريخ الفكر المسيحي ـ المجلد الأول ص٢٧.

(٤) دوم كولومبا مرميون: المسيح حياة النفس، ترجمة المطران "نصر الله صغير" ص٣٣.

(٥) بنيامين بنكرتن: تفسير إنجيل متى ص٣٠٦.

(٦) رومية ٣: ٢٣.

(٧) الخلاصة الشهية في أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية ص٥٢ ـ ٥٣.

وبتعدي وصية الله فقد الإنسان ما اكتسبه من الصورة الإلهية التي أخذها عندما خلق، بمخالفة وصية الله هوى الإنسان إلى حالة يرثى لها، فضعفت قوى عقله وغشيت الظلمة نوره وتدنست قداسة إرادته، وعقب راحته الاضطراب وانفتح إليه سبيل الأهواء التي تدأب على محاربة العقل فأضحى مسرحًا محزنًا لتلك الحروب الداخلية وقد دفعت الأهواء البشر إلى شرور كثيرة وسببت هذه الشرور أمراضًا مختلفة يتعرض لها الإنسان فتضعف جسمه وتضنيه الكوارث والهموم ومن هنا نجم الموت الجسدي الذي هدد الله الإنسان به إذا خالف وصيته. غير أن هذا الموت الجسدي قد اقترن بموت آخر مرعب وهو الموت الروحي أعني فصل الإنسان عن الله لأن المعصية قطعت الرباط الذي به كان الإنسان متحدًا بالله وهو طاهر: نور العقل وقداسة الإرادة البريئة من كل دنس[١].

فهم يرون أن آدم اختار المعصية والشر فدخل الانحلال والفساد إرادته وجرى عليه حكم الله بالموت[٢] بمعنى أن هذا الإنسان عاجز بسبب الخطيئة عن كل خير روحي ومتصف بانحراف العواطف وعصيان الإرادة.

وهذا الإنسان لا يستطيع أن يقوم بأعمال البر والصلاح، لأن قدرته على عمل الصلاح وأعمال البر سلبت منه بخطيئة آدم.

ومقتضى هذا الاعتقاد أن الجنس البشري مكبل بقيود خطية آدم والتي بسببها عجز الإنسان عن كل خير روحي.

وهذه العقيدة تتعارض مع واقع تاريخ الجنس البشري من نصوص الكتاب المقدس حيث إنه من المعروف أن الله قد اختار بعض هؤلاء البشر الآثمين اختارهم رسلاً وأنبياء، اختارهم واصطفاهم ليبلغوا رسالاته للناس ولهداية البشر، اختارهم وأيدهم بمعجزاته وآياته وكتبه ورسالاته، اختارهم لبرهم وصلاحهم ووعدهم جنات الفردوس والنعيم، اختار نوحًا رسولاً بارًا، واختار إبراهيم له خليلاً، واختار لوطا نبيًا، واختار موسى كليمًا، واختار إسماعيل وإسحاق ويعقوب الملقب

---

(١) المصدر السابق ص٧٤.

(٢) سر التدبير الإلهي (التجسد) ص٩٧.

بإسرائيل، واختار داود المبارك جد عيسى الذي طالما تفاخر عيسى بأنه من سلالته واختار ابنه سليمان واختار غيرهم كثيرين كل هؤلاء اختارهم سبحانه رسلا مكرمين وأنبياء مطهرين[١] فهل هؤلاء الذين اختارهم الله لتبليغ رسالاته عاجزين عن كل خير روحي؟ الجواب في نظر المسيحية نعم وذلك بمقتضى اعتقادهم بفساد الطبيعة البشرية التي ورثت لنسل آدم.

ولكن جواب الكتاب المقدس يتعارض مع مايعتقده المسيحيون :ـ

ففي رسالة بطرس الثانية (إن كان الله لم يشفق على ملائكة قد أخطأوا بل في سلاسل الظلام طرحهم في جهنم وسلمهم محروسين للقضاء. ولم يشفق على العالم القديم بل إنما حفظ نوحًا ثامنًا كارزا للبر إذ جلب طوفانًا على عالم الفجار)[٢].

وفي الرسالة إلى العبرانيين (بالإيمان نوح لما أوحى إليه عن أمور لم تر بعد خاف فبنى فلكًا لخلاص بيته فبه دان العالم وصار وارثًا للبر الذي حسب الإيمان)[٣].

والله سبحانه وتعالى بارك نوحًا وبنيه المؤمنين ففي سفر التكوين (وبارك الله نوحًا وبنيه وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض)[٤].

كل ذلك يدل على أن نوحًا كان رجلاً بارًا مؤمنًا بالله يعمل الصلاح بدليل أن الله نجاه ومن معه من المؤمنين، وبدليل أن الله باركه.

وعن سيدنا إبراهيم يقول سفر التكوين (فآمن بالرب فحسبه له برًا)[٥].

وأيضًا "مبارك أبرام من الله العلي مالك السموات والأرض)[٦].

وفي قاموس الكتاب المقدس (وكان إيمان إبراهيم عظيمًا إلى الحد الذي عنده كان مستعدًا أن يقدم ابنه وحيده إسحاق[٧] ذبيحة للرب ولكن الرب منعه من ذلك وقد

---

(١) محمد مجدي مرجان: المسيح إنسان أم إله ص١٥٦، ١٥٧.

(٢) ٢ ـ بطرس ٢: ٤، ٥.

(٣) عبرانيين ١١: ٧.

(٤) تكوين ٩: ١.

(٥) تكوين ١٥: ٦.

(٦) تكوين ١٤: ١٩.

(٧) تكوين ٢٢: ٢ ـ ١٢ ولقد اعتقد المسيحيون أن الذبيح هو إسحاق وسنناقش ذلك في الفصل الرابع من هذا الباب.

كانت حياة إبراهيم مع الناس مظهرًا لإيمانه بالله وقد ظهر هذا في كرمه (تكوين ١٣ : ٩ ـ ١٤ : ٢٣) وإضافته للغرباء (تكوين ١٨ : ٢ ـ ٨) وإخلاصه ووفائه وأمانته وحنوه ورقة عاطفته (تكوين ١٤ : ٣ ـ ٢٤، ١٨ : ٢٣ ـ ٣٢ ـ ٢٣ ـ ٢) وشجاعته (تكوين ١٤ : ١٤ ـ ١٦) [١] كل ذلك يدل على البر والصلاح لإبراهيم عليه السلام ولا يدل على وراثة العجز عن كل خير روحي.

ويقول إنجيل لوقا عن زكريا وامرأته (وكانا كلاهما بارين أمام الله سالكين في جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم) [٢].

ويقول الإنجيل عنه (كما تكلم بفم أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر) [٣].

وعن دانيال يقول الكتاب المقدس:

"ففاق دانيال هذا على الوزراء والمرازية لأن فيه روحًا فاضلة وفكر الملك في أن يوليه على المملكة كلها. ثم إن الوزراء والمرازية كانوا يطلبون علة يجدونها على دانيال من جهة المملكة فلم يقدروا أن يجدوا علة **ولا ذنبًا لأنه كان أمينًا ولم يوجد فيه خطأ ولا ذنب**[٤]" وتكلم دانيال عن نفسه (إلهي أرسل ملاكه وسد أفواه الأسود فلم تضرني لأني وجدت بريئًا قدامه وقدامك أيضًا أيها الملك لم أفعل ذنبًا) [٥].

وعن النبي داود جاء في الملوك الأول (ولم تكن كعبدي داود ـ الخطاب ليربعام ـ الذى حفظ وصاياي والذي سار ورائي بكل قلبه ليفعل ما هو مستقيم فقط في عيني[٦] وعن الملك حزقيا (وجه وجهه إلى الحائط وصلى إلى الرب قائلاً آه يا رب اذكر كيف سرت أمامك بالأمانة وبقلب سليم وفعلت الحسن في عينيك. وبكى حزقيا بكاء عظيمًا ولم يخرج إشعياء إلى المدينة الوسطى حتى كان كلام الرب إليه قائلاً ارجع وقل لحزقيا رئيس شعبي هكذا قال الرب إله داود أبيك قد سمعت

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص١١ ـ ١٢.
(٢) لوقا ١ : ٦.
(٣) لوقا ١ : ٧٠.
(٤) دانيال ٦ : ٤.
(٥) دانيال ٦ : ٢٢.
(٦) ملوك أول ١٤ : ٨.

صلاتك. قد رأيت دموعك. هاأنذا أشفيك في اليوم الثالث تصعد إلى بيت الرب. وأزيد على أيامك خمس عشرة سنة وأنقذك من يد ملك آشور[١].

فالله استجاب لدعائه وشفاه بل وزاد له في عمره وذلك لانه كان بارًا صالحًا يعمل الصلاح والخير بقلب سليم.

ويشهد الكتاب المقدس للنبي "أيوب" بأنه كان رجلاً صالحًا تقيًا مستقيمًا "قال الله: عبدي أيوب لأنه ليس مثله في الأرض رجل كامل مستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر"[٢].

ويقول أيوب عن نفسه (قلت أنا برئ بلا ذنب زكى أنا ولا إثم لي)[٣].

وفي قاموس الكتاب المقدس عن أيوب (ويظهر من خلال المحاورات التي دارت بين أيوب وأصحابه أنه كان يشعر شعورًا قويًا باستقامته ومع ذلك فإنه لا يستطيع أن يدرك سر اليد التي جاءت عليه بقوة وبقسوة، ويزداد التنازع الداخلي القلبي كلما ازداد اليأس من حالته الخارجية الظاهرة ولكنه في كل هذه يبقى ثابتًا على عزمه راسخًا في اعتقاده أنه مهما يقع عليه من سوء ومهما يصيبه من شر فإنه سيبقى على ثقته بالله واتكاله عليه ثم يرى بريقًا من النور عندما يجول بخاطره أنه في وقت ما ووفقا لمسرة الله ورضاه سيظهر بر أيوب وتعلم براءته)[٤].

كل هؤلاء الأنبياء السابقين ثبت برهم وصلاحهم من خلال شواهد الكتاب المقدس والتي تصرح بأن خلاص هؤلاء كان باستقاماتهم وتقواهم وصلاحهم (وكان فيها هؤلاء الرجال الثلاثة نوح ودانيال وأيوب فإنهم إنما يخلصون أنفسهم ببرهم)[٥].

فالجواب الصحيح للسؤال الذي طرحناه سابقًا:ـ

---

(١) ملوك ثان ٢٠: ٢ ـ ٦، إشعياء ٣٨: ٢ ـ ٦.

(٢) أيوب ١: ٨ ـ ٩، ٢: ٣.

(٣) أيوب ٣٣: ٩.

(٤) قاموس الكتاب المقدس ص١٤٨.

(٥) حزقيال ١٤: ١٤.

أنه قد ثبت البر والصلاح والتقوى لأفراد من البشر أي من نسل آدم. ومادام قد ثبت ذلك فإن معناه أن الله قد وهب هؤلاء الأفراد ما يستطيعون به أن ينالوا رضاه عن طريق توجيه هذه المواهب إلى الله وبها يكون الصلاح والتقوى، وإذا جاز ذلك على أفراد فبالتالي يجوز على جميع الأفراد إذا سلكوا الطريق الصحيح إلى رضاء الله سبحانه وتعالى، وعلى ذلك فلا مجال للقول بأن الجنس البشري سلب منه كل خير روحي نتيجة لخطيئة آدم.

على أن الاعتقاد بأن الإنسان الساقط عاجز عن كل خير روحي عقيدة لا تناسب مع الأحداث والوقائع الدينية التي جاء ذكرها في الكتاب المقدس، ومضمون هذه الأحداث أن الله يفرق في المعاملة، بين المطيعين له والعاصين. فلو كان الجنس البشري الذي ورث الطبيعة الفاسدة من آدم سلب منه كل خير روحي ـ أو عاجز عن كل خير روحي ـ لما كان هناك المطيع والعاصى ولما كانت هناك تفرقة في المعاملة بين المطيع والعاصى لأن كل الأفراد ـ على أساس هذا الاعتقاد ـ سواسية في العجز عن طاعة الله لأن الطاعة تكون بالبر والخير، والبر والخير الروحي رفع عن الإنسان بسبب الطبيعة الفاسدة التي ورثها عن آدم.

من هذه الأحداث :ـ

الأول: قابيل وهابيل:ـ

ونرى في هذه الواقعة أن الله فرق في المعاملة بين ولدي آدم هابيل وقابيل، قدم كل واحد منهم قربانا فقبل سبحانه القربان من أحدهما لصلاحه وتقواه ولم يتقبل من الآخر لعدم صلاحه وتقواه.

فكانت نتيجة ذلك أن مد قابيل يده إلى أخيه هابيل وقتله، فكان جزاء هابيل أن الله وعده سيدخله الجنة لصلاحه وتقواه وجزاء قابيل الخسران والبوار والجحيم.

والقصة كما وردت في سفر التكوين (وكان هابيل راعيًا للغنم وكان قايين عاملاً في الأرض. وحدث من بعد أيام أن قايين قدم من أثمار الأرض قربانا للرب. وقدم هابيل أيضًا من أبكار غنمه ومن سمانها. فنظر الرب إلى هابيل وقربانه. ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر. فاغتاظ قايين جدًا وسقط وجهه. فقال الرب لقايين لماذا اغتظت ولماذا سقط وجهك. إن أحسنت أفلا رفع. وإن لم تحسن فعند الباب خطية رابضة

وإليك اشتياقها وأنت تسود عليها، وكلم قايين هابيل أخاه. وحدث إذ كانا في الحقل أن قايين قام على هابيل أخيه وقتله)[١].

فرق الله في المعاملة وفي الجزاء بين ولدي آدم في الدنيا والآخرة كل حسب عمله ولو كان الله لم يعف عن آدم ـ كما يقولون ـ أو كانت الخطية تتوارث كما يدعون لكان جزاء ولدي آدم وحواء واحدًا.

ولما كان هناك مبرر للرضى عن هذا وللسخط عن ذاك ولا إدخال هذا في الجنة وذاك في السعير وإنما هى العدالة الإلهية لا تأخذ البرئ بجريرة الآثم وإنما تعطي لكل ذي حق حقه[٢].

وأيضًا لو كانت الطبيعة الفاسدة تتوارث والتي عن طريقها يعجز الإنسان عن كل خير روحي لما استطاع هابيل أن يرضي الله لأن رضاء الله بالخير، والإنسان الوارث الخطية والطبيعة الفاسدة عاجز عن هذا الخير، ولو كان الأمر كذلك لما كان هناك من حاجة إلى ثواب وعقاب لأن كل الجنس البشري ساقط في الخطية.

الثاني: الطوفان:

وهو يعني إغراق الكافرين الضالين ونجاة المؤمنين المهتدين. وفيه نجى الله نوحًا ومن آمن معه، وأهلك وأغرق الذين كفروا به وبرسالته، وهو إجابة على السؤال القائل لماذا نجى الله نوحًا وأغرق قومه؟

إن الله نجى نوحًا ومن معه لأنهم قوم صالحون فرضى عنهم ونجاهم، وأغرق غيرهم لأنهم غير صالحين وهذا يدل على أن نجاة الفرد في الدنيا وكذا في الآخرة إنما تكون بإيمانه وصلاحه وبره، وأن عدم النجاة في غير ذلك، فلو كانت الخطية متوارثة لما استطاع الإنسان أن يقوم بالصلاح والبر ولما استطاع أن ينال نجاة الله في الدنيا والآخرة.

---

(١) تكوين ٤: ٢ ـ ٨.

(٢) المسيح إنسان أم إله ص١٦٧.

ولكن الواقع الذي حدث خلاف ذلك فهذا يدل على عدم توارث الخطية الأصلية. والقصة كما جاءت في سفر التكوين: "ورأي الله الأرض فإذا هي قد فسدت. إذ كان كل بشر قد أفسد طريقه على الأرض. فقال الله لنوح نهاية كل بشر قد أتت أمامي. لأن الأرض امتلأت ظلمًا منهم. فها أنا مهلكهم مع الأرض. اصنع لنفسك فلكًا من خشب جفر. تجعل الفلك مساكن[١].....

فها أنا آت بطوفان من الماء على الأرض لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء. كل ما في الأرض يموت. ولكن أقيم عهدي معك. فتدخل الفلك أنت وبنوك وامرأتك ونساء بنيك معك[٢]..... فدخل نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه معه إلى الفلك من وجه مياه الطوفان[٣].....

وكان الطوفان أربعين يومًا على الأرض. وتكاثرت المياه ورفعت الفلك. فارتفع عن الأرض. وتعاظمت المياه وتكاثرت جدًا على الأرض[٤].... فمات كل ذي جسد كان يدب على الأرض. من الطيور والبهائم والوحوش وكل الزحافات التي كانت تزحف على الأرض وجميع الناس. كل ما في أنفه نسمة روح حياة من كل ما في اليابسة مات. فمحا الله كل قائم كان على وجه الأرض. الناس والبهائم والدبابات وطيور السماء. فانمحت من الأرض. وتبقى نوح والذين معه في الفلك فقط[٥].

وغير ذلك من الأحداث الدالة على أن الله بفضله ينجي المؤمنين ويهلك الكافرين، وذلك مثل نجاة موسى ومن آمن معه وإغراق فرعون ومن معه، ونجاة لوط ومن آمن معه وإهلاك قومه الذين كفروا به، وغير ذلك من أحداث.

لماذا كل هذه العقوبات نتيجة للخطية

والمرء منا يتساءل: لماذا كل هذه العقوبات الكثيرة التي امتدت إلى العالم كله من حيوانات ونباتات بل وإلى بني البشر أجمعين؟ لماذا كل هذه اللعنات التي انصبت

---

(١) تكوين ٦: ١٢ ـ ١٤.
(٢) تكوين ٦: ١٧ ـ ١٨.
(٣) تكوين ٧: ٧.
(٤) ٧: ١٧ ـ ١٨.
(٥) تكوين ٧ ـ ٢١ ـ ٢٣.

على العالم كله مع أن الأمر كله لا يعد سوى ثمرة شجرة امتدت يد حواء إليها فأكلت وأعطت آدم فأكل؟

جاء "في علم اللاهوت النظامي": وقد اعترض البعض على ذلك بقولهم إن الإنسان لا يفسد كل الفساد بمعصية واحدة.

فنجيب أن هذا يصح بمعنى أن الإنسان لا يبلغ أعظم الشر بخطية واحدة، ولكن معصية واحدة توجب على مرتكبها الموت الروحي بإيجابها عليه غضب الله ولعنته وفقد الاتحاد به تعالى، كما أن ثقبًا واحدً في القلب يميت الجسد أو وخزة واحدة في عين إنسان تعميها طول حياته، وأما البلايا الآخر المختلفة التي نشأت لآدم وحواء من معصيتهما فإنما هي تابعة لتلك[١]. ويقول عوض سمعان: كما أن الخاطئ ـ في نظر الله ـ ليس من يعمل خطايا كثيرة فقط بل ومن يعمل خطية واحدة أيضًا، فقد قال الكتاب: (لأن من حفظ كل الناموس وإنما عثر في واحدة فقد صار مجرمًا في الكل. لأن الذي قال: لا تزن قال أيضًا لا تقتل. فإن لم تزن لكن قتلت فقد صرت متعديا الناموس)[٢]. ولذلك لأجل خطية واحدة طرح بعض الملائكة من السماء[٣]، ولأجل خطية واحدة طرح آدم وحواء من جنة عدن[٤] ولأجل خطية واحدة حرم موسى من دخول أرض كنعان[٥] ولأجل خطية واحدة مات حنانيا وسفيره في الحال[٦] فضلاً عن ذلك فإن الخطية تحسب خطية حتى إذا كان المرء لا يعلم أنها خطية أولا يشعر بها عند عملها لأن الجهل بالقانون لا يبرئ المعتدي عليه ولأن عدم الشعور بالخطية سهو، والسهو عن وصايا الله خطية، ولذلك قال الكتاب: "ولا تقل قدام الملك إنها سهو"[٧] مما تقدم يتضح[٨] لنا أنه إذا عاش الإنسان دون أي خطية

---

(١) علم اللاهوت النظامي ص٦٢٤.
(٢) يعقوب ٢: ١٠، ١١.
(٣) ٢ ـ بطرس ٢: ٤.
(٤) تكوين ٣: ٢٤.
(٥) تثنية ٣٢: ٥.
(٦) أعمال الرسل ٥: ١ ـ ١١.
(٧) جامعة ٥: ٦.
(٨) الكلام لازال للقس/ عوض سمعان.

إيجابية ولكن لم يعمل كل الصلاح الذي يستطيع القيام به لكن أخطأ خطية واحدة عن طريق الجهل أو السهو يكون خاطئًا كذلك[١].

معنى هذا أنهم يعتقدون أن الخطية الواحدة تؤدي إلى الهلاك الأبدي.

ولنا أن نقول: إنه إذا كانت الخطية الواحدة توجب على الإنسان الفساد فإنه لا يخلو إنسان من ارتكاب خطأ يصح أن يطلق عليه معصية أو عصيان حتى المسيح نفسه وإليك الأدلة:ـ

مثلاً: المسيح حين جاءه قوم من الكتبة والفريسيين قائلين يا معلم نريد أن نرى منك آية فأجاب وقال لهم جيل شرير فاسق يطلب آية[٢]. وقالها أكثر من مرة. ويظهر من هذا أنه كان معتادا على السب والشتم لأنهم سألوه بكل احترام وخاطبوه بلفظ يا معلم ولكنه ما لبث أن سمع سؤالهم فنزل فيهم بقوارع الكلمات[٣] ومع ذلك فلم يفسد المسيح، علمًا بأن السب معصية يقول المسيح (من قال لأخيه يا أحمق فقد استوجب نار جهنم[٤]).

وأيضًا: إن الله أوصى بإكرام الآباء والأمهات على لسان المسيح فقال:

"أكرم أباك وأمك وأحب قريبك كنفسك"[٥] وبرغم ذلك فإنه خالف أمر الله هذا؛ إذ لم يكرم أمه ولم يلتفت إليها بل بقيت واقفة وزاد على ذلك إذ قال في جواب المخبر من هي أمي وإخوتي؟ يقول متى (وفيما هو يكلم الجموع إذا أمه وإخوته قد وقفوا خارجًا طالبين أن يكلموه. فقال له واحد هو ذا أمك وإخوتك واقفون خارجًا طالبين أن يكلموك. فأجاب وقال للقائل له. من هي أمي ومن هم إخوتي)[٦].

---

(١) عوض سمعان: طريق الخلاص ص١٠، ١١.
(٢) متى ١٢: ٣٩ـ١٦: ٤.
(٣) جلال الدين شمس أحمدي: البرهان الصحيح في إبطال ألوهية المسيح ص٥٠.
(٤) متى ٥: ٢٢.
(٥) متى ١٩: ١٩.
(٦) متى ١٢: ٤٦ـ٤٨.

ولما قالت له أمه ليست لهم خمر فقال لها مالي ولك يا امرأة يقول يوحنا (وفي اليوم الثالث كان عُرْسٌ في قانا الجليل وكانت أم يسوع هناك. ودعي أيضًا يسوع وتلاميذه إلى العرس. ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له ليس لهم خمر. قال لها يسوع مالي ولك يا امرأة) [١] أهذا يكون احترام للأم؟ وهل يجوز زجرها بهذه الصورة؟ هل يليق بشأن الصالح أن ينادي أمه بلفظ امرأة؟[٢].

وهكذا نرى أن المسيح أخطأ إذ خالف أمر الله بإكرام الأمهات[٣].

فالمسيح وقع منه بعض الأخطاء التي يطلق عليها مخالفة ومع ذلك لم يفسد السيد المسيح ـ عليه السلام.

على أن بولس مؤسس المسيحية الحالية وأكبر دعاتها قد ارتكب من المعاصي والخطايا والتي بحسب مضمونها تساوي أضعاف معصية آدم التي لا تعدو سوى تناول ثمرة واحدة من شجرة محرمة، فلو قورنت معاصي وخطايا بولس بمعصية آدم لظهر الفرق الواضح والبون الشاسع بينهما. يقول سفر الأعمال عن بولس (أما شاول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ويجر رجالاً ونساء ويسلمهم إلى السجن) [٤] (أما شاول فكان لم يزل ينفث تهددًا وقتلاً على تلاميذ الرب) [٥] فهي ليست واحدة بل سطو على الكنيسة وسطو على بيوت التلاميذ بل وتسليمهم هم وأبناؤهم ونساؤهم إلى السجن. وتسأل لماذا؟ لأنهم يؤمنون بالله وبرسالة المسيح.

ولم يقتصر الأمر على السجن بل تعداه إلى سفك الدماء وقتل التلاميذ وأبنائهم.

إن هذا الخطايا أفظع بكثير من خطيئة آدم. فإن المسيح قال لتلاميذه:

"قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل. ومن قتل يكون مستوجب الحكم. وأما أنا فأقول لكم إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم. ومن قال

---

(١) يوحنا ٢: ١ ـ ٤.

(٢) البرهان الصحيح في إبطال ألوهية المسيح ص٥٠.

(٣) نحن نجل السيد المسيح ونوقره ونؤمن بأن مثل هذه الأمور لا تقع منه.

(٤) أعمال ٨: ٣.

(٥) أعمال ٩: ١.

لأخيه رقا[١] يكون مستوجب المجمع. ومن قال يا أحمق يكون يستوجب نار جهنم"[٢].

❖ والخطية الواحدة عامة تستوجب الفساد الكلي في نظر المسيحية وذلك لأن الخطية عندهم موجهه إلى الله ذاته وأن المخطئ بخطئه قد عاند الله.

يقول د/ عزت زكي (الخطيئة في ذاتها هي ثورة وتمرد على الله)[٣].

ويقول باركلي (إن أساس الخطية هو وضع الذات مكان الله فالخطية هي أن يعبد الإنسان نفسه بدلاً من عبادة الله)[٤].

ويقول حبيب سعيد (لم تكن الخطية في نظر كتاب الأسفار المقدسة المسيحية حماقة أو دمامة، ولم تكن داء أو جهلاً بل هي عصيان وإرادة شريرة جامحة وليست موجهة إلى تقليد من التقاليد الاجتماعية المرعية ولا إلى نظام أدبي عاطل عن العنصر الشخصي بل إلى الله الحي ذاته[٥].

ويقول عوض سمعان (إن الاعتقاد السائد بين معظم الناس هو أن من يفعل الخطية يسئ إلى نفسه أو إلى غيره من الناس فحسب لكن الحقيقة الواقعة هو أنه يسئ بها إلى الله قبل كل شيء آخر، لأن الله هو الذي نهى عنها لتعارضها مع طبيعته ومع الكمال الذي يريد أن يراه في خلائقه العاقلة. فقد قال الكتاب عن الله أنه لا يطيق الإثم[٦] وأن عينيه أطهر من أن تنظر الشر[٧] ولذلك فإن من يفعل الخطية علم أم لم

---

(١) رقا: كلمة آرامية معناها "فارغ" أى "خاو" أو "تافه"، وهو تعبير يفيد معنى الازدراء (قاموس الكتاب المقدس ص ٤٠٨).

(٢) متى ٥: ٢١، ٢٢.

(٣) د/ عزت زكي: الأخلاقيات في محيط الفكر الديني ص١٢٧.

(٤) باركلي: (تفسير العهد الجديد) رسالة رومية ص٤٢.

(٥) حبيب سعيد: أديان العالم ص٢٨٠.

(٦) إشعياء ١: ٣.

(٧) حبقوق ١: ١٣.

يعلم ـ يرفض شريعة الله[١] وبنقض عهده[٢] ويتمرد على شخصه[٣] ويسلبه حقوقه[٤] ويفسد أمامه[٥] ويحتقر اسمه[٦] وينجسه أيضًا[٧].

ويقول دوم كولومبا مرميون (إن الشخص الخاطئ بعمله ينكر على الله حكمته وحقه في سن الشرائع، ويتجاهل قداسته، ويأبى أن يؤدي له ما يجب له من عبادة إنه لا يعترف بقدرته، ولا بحق الطاعة له على من وهبهم الحياة. إنه ينكر عليه صلاحه وسموه على كل ما ليس هو، وينحدر به إلى ما دون الخلائق، وكأنه يقول بعمل لا يفهمه لا أعرفك ولا أخدمك. فالخطية إنكار في الواقع لكمالات الله وغمط لحقوقه)[٨].

وعلى ذلك فإن آدم ـ فى نظرهم ـ حين أخطأ واختار المعصية حريته عاكست حرية الله ومشيئته، ارتكب الخطية فدخل الفساد إرادته وطبيعته[٩] والإنسان الساقط متصف بانحراف العواطف وعصيان الإرادة ولا يجوز للمخلوق أن يعمل بحسب إرادته مطلقًا[١٠].

إننا نعرف أنه لا توجد إرادة معاندة في الكون لإرادة الله، وأن ما يقع من الإنسان من خطيئة أو معصية إنما هو في حد ذاته تقصير من الإنسان، بدليل أن الله سبحانه وتعالى شرع العلاج للخطايا والمعاصي وهي التوبة، فلو كانت الخطيئة معاندة لإرادة الله لكان من الأولى أن يهلك الله من يعانده لا أن يجعل له باب التوبة مفتوحًا أمامه

---

(١) إرميا ٦ : ٩.
(٢) يشوع ٧ : ١١.
(٣) هوشع ١٣ : ١٦.
(٤) ملاخي ٣ : ١٨،
(٥) نحميا ١ : ٧.
(٦) ملاخى ١ : ٦، حزقيال ٣٦ : ٢٠.
(٧) عوض سمعان : طريق الخلاص ص١٢.
(٨) المسيح حياة النفس ص٢٠٥.
(٩) أسبيروجبور : سر التدبير الإلهي (التجسد) ص١٥٠.
(١٠) بنيامين بنكرتن : تفسير إنجيل متى ص٨١.

على مصراعيه والتوبة تلك هي التي تعيد إلى الإنسان وضعه الطبيعي تجاه الله سبحانه وتعالى.

❖ ❖ ❖

❖ ومن ناحية أخرى قال بعضهم (إن خطية آدم تستوجب الفساد الكلى لأنها تشبه خطيئة إبليس.

جاء في علم اللاهوت النظامي (فالحالة التي سقط إليها آدم بمعصيته كحالة الملائكة الساقطين في سوء المنقلب العظيم)[١].

فهم يرون أن حالة الإنسان الساقط آدم وما آل إليه نتيجة للمعصية كحالة الملائكة الذين سقطوا في المعصية وأصبحوا شياطين.

وبالموازنة الدقيقة والنظرة الفاحصة يتبين لنا مدى الاختلاف الواسع بينهما.

فقصة سقوط الشياطين تختلف كل الاختلاف عن قصة آدم عليه السلام من جميع النواحي والزوايا:ـ

أولاً: أن طبيعة الملائكة الساقطين روحية بحتة بمعنى أن عصيانهم يستدعي ما آل إليه حالهم من أنهم أصبحوا أرواحًا شريرة، بينما كانت طبيعة آدم طبيعة جسدية وروحية، والإنسان إذا مال إلى أحدهما بتطرف أصبح مخطئًا، والإنسان يجد المشقة في أن يوفق بين مطالب كل طبيعة منهما وعلى ذلك فإن خطأه يستدعي الرأفة ورحمة الله معه.

ثانيًا: أن معصية هؤلاء الملائكة الساقطين إنما هي التكبر والتعالي على الله والسعي نحو التأله بقدرته الذاتية، بينما كانت معصية آدم لا تتعدى سوى تناول ثمرة من شجرة نهى الله عنها.

وفرق كبير بين الذي ينحو بمعصيته نحو الألوهية، وبين معصية لا تتعدى الخطأ الذي هو بالنسبة لمعصية الشيطان أقل بكثير.

---

(١) علم اللاهوت النظامي ص٦٢٤.

ثالثًا: أن معصية آدم كانت بإغراء من الحية أو الشيطان، فكان آدم منساقًا إلى المعصية لا بالحرية الكاملة التي تعشق المعصية، ولكن بالإغراء والوسوسة من الشيطان عن طريق المرأة، بينما معصية الشيطان كانت بالحرية الكاملة لا بمعاكسة أحد له، وفرق بين خطأ صاحبه له الحرية كل الحرية دون أية مشاكسة من أحد وبين خطأ توافرت له دواعي الخطأ من طبيعة جسدية تحاول التغلب على الطبيعة الروحية التي في الإنسان ومن إغراء ووسوسة من الشيطان ومن طبيعة المرأة التي هي أكثر قبولاً لإغراء الشيطان ووسوسته.

رابعًا: أن الحالة التي انتهى إليها الشيطان بسقوطه ـ أن أصبح رئيسًا للأرواح الشريرة في العالم فليس هناك من معصية إلا وهو قد تسبب فيها، ولقد تحولت فيه قوات الخير إلى قوات للشر ليس له فكر سوى عمل الشر وسوق الإنسان إليه، لم يفكر لحظة في أن يعلل لله سبحانه وتعالى سبب خطأه ويرجوه مغفرته، فكانت نتيجة خطيئته الطرد من رحمة الله دون رجعة، بينما كانت الحالة التي انتهى إليها الإنسان أنه أحس بخطئه وحاول أنه يعتذر إلى الله ـ سبحانه بأن المرأة هي التي أغرته.

نعم إن الإنسان طرد من الجنة ولكنه يحاول أن يعود إليها بالتوبة والعمل الصالح بدليل أن يوجد من فصيلة الإنسان من هو بار يحاول إرضاء الله ولكننا لا نجد مثل هذا لدى الملائكة الساقطين.

فلا مجال للمقارنة بينهما من جميع الوجوه.

❖ ❖ ❖

ما الطريق إلى الخلاص من خطيئة آدم لدى المسيحيين

لقد كانت خطيئة آدم ـ كما يقولون ـ سببًا في العقوبات واللعنات التي أصابت الإنسان والحيوان والنبات لأنها كان تأخذ ـ في نظر المسيحية ـ صورة الخطية ضد كمالات الله وطبيعته وناموسه ونظامه الأدبي، وأنها كانت بمثابة الثورة والتمرد والمعاندة لله سبحانه وتعالى.

لقد بعد الإنسان عن الله ـ فى نظرهم ـ بسبب هذه الخطيئة وأصبح متصفًا بالطبيعة الساقطة التي لا تستطيع القيام بأي نوع من أنواع الخير والبر، وأصبح

الإنسان في حالة الشقاوة والتعاسة إذ أن السعادة والهناء في القرب من الله والشقاوة والتعاسة في البعد عنه، ولكن هل يبقى الإنسان على هذه الحالة من الخسران والبوار أم أنه يستطيع أن يشق طريقه إلى غفران هذه الخطيئة فينال رضى الله ورحمته؟ وكيف يمكن أن يشق الطريق إلى الله مرة أخرى بعد السقوط؟ هل يستطيع القرب من الله بعمل الصالحات وطلب المغفرة والرحمة؟ أم أن هناك طريقا آخر.

لقد ذكر القس/ إلياس مقار عدة طرق للخلاص من الخطيئة وذكر فيها الطرق الخاطئة في نظره ـ ثم ذكر بعد ذلك الطريق الصحيح.

والطرق الذي ذكرها للخلاص من الخطيئة هي :ـ

أولاً: طريق الخلاص الظني:

"إن أول طريق خاطئ يمكن أن يكون هو الطريق التصوري أو الظني الذي يبنيه الناس على مجرد تصوراتهم أو ظنونهم دون سند من وحي أو كتاب، إذ يتصورون أن الله يمكن أن يغفر الخطية بمجرد الإغضاء عنها ونسيانها، ويقولون إنه إذا صح أن الإنسان يغفر بمجرد التسامح والنسيان فهل يكون الله أقل من الإنسان في ذلك؟ مع العلم بأن الله هو الذي يطالب الإنسان بأن يغفر لغيره بالصفح والترك والتسامح والنسيان ولكن القياس هنا مع الفارق البعيد، إذ أن الخطية من إنسان إلى إنسان آخر هي في الواقع جزء داخل من خطية هذا الإنسان تجاه الله إذ هي جزء من التشويش أو الإخلال ضد الناموس الأدبي الذي يمثل طبيعة الله الظاهرة، ومهما غفر الإنسان لأخيه الإنسان دون أن ينال الغفران الإلهي الشامل تجاه الله فمن العبث أن يقال أن موقفه صحيح تجاه الله"[١].

والواقع أن هذا فيه مغالطة شديدة ؛ هم يقولون إن الله يطالب الإنسان بالعفو عن أخيه الإنسان، ثم يقولون بعد هذا، الله لا يغفر هذه الخطيئة معنى ذلك أن الإنسان

---

(١) قضايا المسيحية الكبرى ص٣٨٩.

الذى يعفو عن أخيه الإنسان، ويتسامح معه، ويغفر له خطيئته، هو مطيع لله فى أمره بالعفو والصفح والتسامح، وفى نفس الوقت هو عاص له، لأنه عفا عن خطيئة، وغفر زلة، هى موجهة لله أصلا، لأنها جزء من الخطيئة الأصلية.

فهل يا ترى: هل الإنسان مطيع لله فى العفو والصفح والتسامح، أم أنه عاص له.

على هذا المنطق العجيب هو مطيع وعاص فى نفس الوقت!!

ثم يقول: فإذا كان الغفران من إنسان إلى إنسان آخر كافيًا لما كان ثمة حاجة إلى طلب غفران الله بالنسبة للخطايا مع الآخرين، بل لما كانت هناك حاجة لأن يشعر الإنسان عندما يخطئ إلى أخيه الإنسان بأن الجرم في الأمر إزاء الله في هذه الخطية يبتلع ويطوي الجرم إزاء البشر، حتى إن داود عندما صاح تائبًا عن خطيئته الكبرى لم يقل إنه أخطأ إلي بتشبع أو أوريا أو المملكة بل قال (إليك وحدك أخطأت والشر قدام عينيك صنعت)[1]. وهذا كله ينتهي بنا مرة أخرى إلى تأكيد ما سبقت الإشارة إليه أن الخطية تجاه الله هي الخطية ضد كمالات الله وطبيعته وناموسه ونظامه الأدبي، وأن هذه لا يكون فيها الغفران بمجرد التجاوز أو الإعفاء أو الإغضاء عن الصفات الطبيعية والأدبية في الله كالعدالة والحق والقداسة والجمال[2].

ويقول (قد يقال: أليس من حق الله وسلطانه وهو صاحب السلطان الأدق والأعلى أن يعفو بكلمة عمن يريد أو يشاء؟ وهل يكون الله أقل من الملوك والرؤساء الذين يستطيعون بكلمة أن يعفوا عن المجرمين والمحكوم عليهم بأقصى العقوبات، ومرة أخرى نذكر هنا أن القياس مع الفارق لأن عفو الملوك الأرضيين أو الرؤساء إذا صح أنه نبيل وعظيم ومجيد، إلا أنه مع ذلك على حساب العدالة في إطلاقها وكمالها ومجدها، وأنه إذا صح أن البشر لأنهم ناقصون يعفون أو يتساهلون بدافع من نقصهم أو ضعفهم عن العدالة المطلقة فإن الله لا يمكن أن يعفو أو يتساهل قيد

---

(١) مزمور ٥١: ٤.

(٢) المصدر السابق ص٣٩٠.

شعرة عن العدالة المطلقة، وأن القول إن الله قادر على العفو بمجرد كلمة وأن أحدًا لا يمكن أن يجرده أو يطلب إليه أن يتنازل عن السلطان، إن هذا القول يفهم القدرة الإلهية فهما خاطئا؛ لأن الله مع قدرته اللانهائية **تورد أشياء نقول بكل احترام وإجلال لا يقدر عليها**، فمثلاً يمكن أن نقول إن الله لا يقدر أن يخطئ ولا بقدر بحال ما أن يفعل شيئًا ضد طبيعته وكمالاته، ومن ثم يمكن أن **نقول بملء اليقين: إن الله لا يمكن أن يغفر الخطية بمجرد كلمة إلهية تصدر منه، لأنه لا** يقدر أن يكون غير عادل أو غير قدوس أو غير حق، فإذا استحال على سبيل المثال أن يقف الحجر الساقط في الفضاء لأن ناموس الجاذبية يجذبه إلى الأرض، وهذا الناموس لابد أن يعمل عمله استحال كذلك في معنى أعمق وأكمل أن يكون هناك الغفران لأية معصية أو خطية تصطدم مع ناموس الله الأدبي وطبيعته وكمالاته ونظامه العام ما لم تجد عقوبتها كاملة، ومن ثم فإن المسيحية ترفض رفضًا باتًا تصور أن الله يعفو لمجرد العفو من غير جزاء كامل تحتمه العدالة الإلهية المطلقة)[1].

ومضمون طريق الخلاص السابق كما صوره القس إلياس مقار: أن الله لا يقدر أن يغفر خطيئة الإنسان لمجرد التسامح والعفو، لأن هذا يتعارض مع عدالته الذي جعل لكل خطأ عقابه، والعقاب لا يرفعه الرجوع إلى الله.

وإذا كان الإنسان يقدر أن يغفر خطيئة الإنسان فإن الله لا يقدر أن يفعل ذلك، لأن خطأ إنسان ضد أخيه الإنسان جزء من الخطية ضد الله، ولأنه لو كان غفران الإنسان لأخيه الإنسان كافيًا لما كانت هناك حاجة بطلب الغفران من الله، بل لما كانت هناك حاجة لشعور الإنسان بالذنب والمعصية إزاء الله عندما يخطئ إلى أخيه الإنسان. وكذلك أيضًا إذا كان الملوك والسلاطين يستطيعون العفو عمن تحت أيديهم فإن الله لا يستطيع ذلك لأنه على حساب العدالة الإلهية.

وهذا القول غير صحيح، إذ أن نسبة عدم القدرة لله فى العفو لمجرد العفو سواء أكان عن طريق التوبة من الإنسان أم لا خطأ كل الخطأ، لأنه كيف يصح إثبات صفة

---

(١) المصدر السابق ص٣٩٠ ـ ٣٩١.

للبشر، ولا يصح نسبتها إلى الله وهى جائزة عليه سبحانه وتعالى، إذ يجوز أن يعفو عن العاصين بعفوه ورحمته.

على أن نسبة عدم القدرة إلى الله ـ فى أمر هو جائز عليه ـ معناه أن الله عاجز عن عفو المسيئين، وإذا كان الله عاجزا ـ تعالى الله عن ذلك ـ فلا يصح أن يطلق عليه أنه إله.

على أن نسبة عدم القدرة إلى الله تتعارض مع ورد فى كتابهم المقدس:

ففي سفر الخروج (أنا ظهرت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب بأني الإله القادر على كل شيء)[١] "ظهر الرب لإبراهيم وقال له أنا الله القدير. سر أمامي وكن كاملاً"[٢] والله سبحانه وتعالى واجب له القدرة خاصة القدرة على العفو عن المسيئين، يمد يد العون والرحمة والمغفرة لمن يطلبها (إن يد إلهنا على كل طالبيه للخير)[٣] ولله سبحانه وتعالى كثير التفضل والإحسان بنص الكتاب المقدس:ـ

"الرب إله رحيم ورؤف بطئ الغضب وكثير الإحسان والوفاء"[٤].

"احمدوا الرب لأنه صالح لأن إلى الأبد رحمته احمدوا إله الآلهة لأن إلى الأبد رحمته. احمدوا رب الأرباب لأن إلى الأبد رحمته"[٥].

والله سبحانه وتعالى بجانب أنه متصف بالعفو والرحمة فإن رحمته لا تتعارض مع عدالته التي جاء ذكرها في الكتاب المقدس.

ففى سفر إرميا (إني أنا الرب الصانع رحمة وقضاء وعدلاً في الأرض لأنى بهذا أسر يقول الرب)[٦].

(أنا الرب محب للعدل)[٧].

وفي سفر التثنية (لا تهابوا وجه إنسان لأن القضاء لله)[٨].

---

(١) خروج ٦ : ٣.
(٢) تكوين ١٧ : ١.
(٣) عزرا ٨ : ٢٣.
(٤) خروج ٣٤ : ٦.
(٥) مزمور ١٣٦ : ١ ـ ٣.
(٦) إرميا ٩ : ٢٤.
(٧) إشعياء ٦١ : ٨.
(٨) تثنية ١ : ١٧.

وفي المزمور (ثبت للقضاء كرسيه وهو يقضي للمسكونة بالعدل)[١].

فالله سبحانه وتعالى يوصف بالعدل والرحمة.

(وهم يجردون الله تعالى من صفة الرحمة لحساب صفة العدل، مع أن العدل يستلزم أيضًا غفران الخطايا لأن الله خلق الإنسان وهو يعلم أنه معرض للخطأ، ومن هنا يكون من العدل أن يقبل توبة التائب)[٢].

وتصوير العدل كعقبة في طريق المغفرة تصوير خاطئ، وما قيمة التوبة إذن إن كان العدل يمنع الرحمة والمغفرة؟.

يقول صاحب تفسير المنار (ما رأينا أحدًا من العقلاء ولا من علماء الشرائع والقوانين يقول: إن عفو الإنسان عمن يذنب إليه أو عفو السيد عن عبده الذي يعصيه ينافي العدل والكمال، بل يعدون العفو من أعظم الفضائل.

ونرى المؤمنين بالله من الأمم المختلفة يصفونه بالعفو ويقولون: إنه أهل للمغفرة فدعوى الصليبين أن العفو والمغفرة مما ينافي العدل مردودة غير مسلمة)[٣].

على أننا لو نظرنا إلى عقيدة الخلاص المسيحية ـ التي يعتبرونها هي الطريق الصحيح للخلاص ـ لوجدناها ترتكز في النهاية على مبدأ المغفرة بما يحتويه من تعارض مع العدل في نظرهم.

ذلك أن الفداء الخلاصي ليس بديلاً للمغفرة، ولكنه مجرد وسيلة، وهو بديل عن التوبة لا عن المغفرة، وكأنهم يقولون يغفر لا بالتوبة ولكن بالفداء. فلابد أن ينتهوا إلى مبدأ المغفرة وعندئذ يأتي ما يعترضون به من حيث العدل الإلهي.

على أنه يلزم من طريق الخلاص المسيحي ـ وهو صلب المسيح من أجل الخطيئة ـ شيء أعظم وهو انتفاء كل من العدل والرحمة في صلب المسيح، لأنه عذبه من حيث هو بشر وهو لا يستحق العذاب، لأنه لم يذنب قط، فتعذيبه بالصلب ـ على ما زعموا ـ لا يصدر من عادل ولا من رحيم بالأحرى، فكيف يعقل أن يكون

---

(١) مزمور ٩: ٧، ٨.

(٢) مشكلات العقيدة النصرانية ص٩٣.

(٣) تفسير المنار جـ٦ ص٢٣.

الخالق غير عادل ولا رحيم؟ أو أن يكون عادلاً رحيمًا فيخلق خلقًا يوقعه في ورطة الوقوع في انتفاء إحدى هاتين الصفتين فيحاول الجمع بينهما فيفقدهما معًا[١].

فدعوى عدم الجمع بين العدل والرحمة غير مسلم بها.

ثانيًا: طريق الخلاص البشري:

وهذا الطريق يقوم على المجهود أو البذل البشري، وهذا الطريق كما تؤكد المسيحية لا يقل خطأ عن الطريق الأول. وهو على أنواع :ـ

يقول القس إلياس مقار: ١ ـ فهناك طريق الإذلال الجسدي الذي حاول به كثيرون في العصور المختلفة من التاريخ التقرب إلى الله عن طريق حرمان الجسد أو تعذيبه أو إيذائه أو فرض عقوبات مختلفة عليه. ولكن هذا الطريق خاطئ ومضلل لأكثر من سبب :

أولاً : أن المحكوم عليه بالإعدام لا يغير من الحكم عليه أي تصرف يتصرفه إزاء جسده، والجنس البشري الساقط والمحكوم عليه بالموت نتيجة الخطية لا يغير من الحكم عليه أو يبدل فيه أي تصرف يقوم به الإنسان إزاء جسده.

ثانيًا: أن الجسد في حد ذاته ليس شرًا وأن الخطية قبل وبعد كل شيء هي لوثة في الفكر والنفس والروح، وأن آدم وحواء لم يخرجا من الجنة لمجرد اقتطاف ثمرة أكلها الجسد، بل لأنهما تعديا الوصية وخانا العهد وخرجا على الحدود الموضوعة لهما، فحصر الأمر كله في الجسد وإيقاع العقوبة به هو فهم ساذج للخطية والسقوط.

ثالثًا: لأن تعذيب الجسد فيه فهم خاطئ عن العدالة عند الله، إذ أن الله يهتم بأجسادنا وييسر لها سبيل الحياة والقوة والصحة ولا يمكن أن يسر برؤية تعذيبها وحرمانها، بل أكثر من ذلك أن الإمعان في هذا التعذيب والحرمان هو خروج عن الرغبة أو القصد الإلهي في استخدام أجسادنا الاستخدام الصحيح الحق السليم. وعليه فإن البحث عن الخلاص عن طريق الإذلال الجسدي طريق خاطئ مضلل[٢].

---

(١) نفس المصدر ، نفس الصفحة.

(٢) القس إلياس مقار (قضايا المسيحية الكبرى ص٣٩١ ـ ٣٩٢.

ونحن نقول: إن ما تعتقدونه من صلب المسيح وتعذيب جسده على الصليب هو من هذا القبيل، الذى تقول عنه إنه طريق خاطئ ومضلل.

فأنتم تعتقدون أن السبيل إلى الخلاص هو صلب ابن الله وتعذيبه على الصليب، وتعتبرونه إحدى الخطوات المهمة فى عملية الخلاص فكيف تنكر تعذيب الجسد وتعتبره طريقا غير صحيح للخلاص هنا، وتعتبره هو الطريق الوحيد للخلاص هناك!!

٢ ـ وهناك طريق آخر عند الناس: هو طريق الطقوس والفرائض التي يتوارثها الناس من جيل إلى جيل ومن عصر إلى عصر، ومن الواضح أن هذه الطقوس والفرائض لا يمكن أن تكون سبيلاً للخلاص من الخطية، لأنها في حقيقتها ليست إلا رموزًا أو مظاهر أو إشارات إلى الحقائق والأسرار التي ترمز إليها وتدل عليها وتفصح عنها، والخطية لا يمكن أن تستأصل أو يقضي عليها بمجرد الرموز والإشارات أو المظاهر[١].

٣ ـ الخلاص عن طريق الأعمال: وهناك طريق ثالث يمكن أن يدعى عن طريق الأعمال الذي يتوهم فريق من الناس أنها تخلصهم وتدنيهم من الله في اليوم الأخير، وهذا الطريق ـ كما يقول القس الياس مقار ـ لا نعتقد أن هناك طريقا مضللاً وخداعًا كما يضلل ويخدع طريق الأعمال، ولعل أقرب شبه له هو صدقة الزانية وإذا صح أن هذه الصدقة يقبلها الناس فإنها مكروهة في نظر الله، وبما أن الجنس البشري ساقط وخاطئ أمام الله، فكل عمل يأتي عن الساقط أو الخاطئ لا يمكن أن يصحح وضعه أو يغير مركزه.

ثم قال: هذه هي الطرق المرفوضة عند الله للخلاص.

ولقد سبق القول بأن يعقوب يقول بأن الخلاص بالأعمال، بينما كان بولس يعتقد أن الخلاص بالنعمة ولقد بينا هناك أن من يعمل أعمالاً صالحة يدعى عظيمًا.

ففي إنجيل متى (أما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيمًا في ملكوت السموات)[٢].

---

(١) المصدر السابق ص٣٩٤.

(٢) متى ٥ : ١٩.

ثالثًا: طريق الخلاص الإلهي:

إن الإنسان ـ في نظر المسيحية ـ لا يستطيع أن يقوم من تلقاء نفسه ما به يستطيع أن يكفر عن الخطية؛ إذ أن الطريق الصحيح إلى غفران الخطية ـ عندهم ـ هو الكفارة، وهذه الكفارة ـ لا يستطيع الإنسان أن يفعلها لأنها مرهونة بأوصاف إلهية لا تتوافر في الإنسان (فالخطية تستحق الدينونة ولا يصح مغفرة الخطية إلا بواسطة تزيل تلك الدينونة وتحمل عن الخاطي جرمه، وذلك لا يتم بمجرد توبة الخاطئ وإصلاحه لأنه ولو صار صالحًا لا يزيل ذلك عنه دينونة الخطايا التي ارتكبها، ولو غفر الله له خطاياه بدون كفارة لم يبق عنده إكرام لشريعته تعالى بل يحسبها طبعًا بلا كرامة وحينئذ لا يعتبر قداسة الله ولا يميز سمو حكمه الأدبي ولا يعرف حقيقة رحمته ولا يمجده في كمال صفاته، ولذلك لابد من الكفارة لرفع دينونة الخطية وإظهار صفات الله بأكمل بيان)[١].

"فالإنسان لانتقال الطبيعة الخاطئة إليه بالوراثة وتسلطها على كيانه تبعًا لذلك لا يستطيع بمجهوده الذاتي أن يتحرر منها أو يرتقي فوقها، ولذلك نرى أنه إذا تعهد يومًا بالإقلاع عن الخطية وبذل كل ما لديه من جهد في سبيل تنفيذ تعهده هذا، كثيرًا ما يغلب على أمره، فإن لم يفعل الخطية في الظاهر فقد يفكر فيها ويشتهيها في الباطن، ومن ثم يعود من حيث أتى لذلك فمثل الإنسان في مقاومة الخطية كمثل الماء الذي لا يستطيع من تلقاء ذاته أن يرتفع إلى مستوى أعلى من المستوى الذي هبط منه في أول الأمر، والنبي الذي أدرك عجز البشر عن التحرر من الخطية من تلقاء أنفسهم بسبب ولادتهم بها صاح قائلاً"[٢] "هل يغير الكوشي[٣] جلده أو النمر رقطه. فأنتم أيضًا تقدرون أن تصنعوا خيرا أيها المتعلمون الشر"[٤].

ولما كان الإنسان لا يستطيع أن يقوم بالكفارة والفداء فإن الله وحده هو الذي يستطيع أن يفدى البشر من الخطية ويكفرها عنهم.

---

(١) علم اللاهوت النظامي ص٨١٣.

(٢) عوض سمعان: طريق الخلاص ص١٣ ـ ١٤.

(٣) الكوشي الزنجي والحبشي.

(٤) إرميا ١٣ : ٢٣.

يقول عوض سمعان: (لا يستطيع فدائنا إلا الله)[١].

والطريق إلى فداء الله للبشر ـ فى نظر المسيحية ـ هو تجسد ابن الله وظهوره في صورة إنسان لكي يكفر عنهم هذه الخطية ويخلصهم من أوزارها.

يقول دوم كولومبا مرميون (إن الخطية أفسدت على الله النهج الذي وضعه ليتبنى آدم وتسللت إلى نسل رأس الجنس البشري وأقفلت في وجهه أبواب السماء، وكان يقتضي لفتح هذه الأبواب تعويض عن الإهانة وتكفير تام مطلق يمحو الخطية، ولما لم يكن باستطاعة الإنسان وهو خليقة بسيطة أن يقوم بهذا التكفير صار الكلمة جسدًا وأصبح الله إنسانًا وأخذ على عاتقه هذه المهمة)[٢].

"وبما أنه ليس من المعقول أن يخلق الله شخصًا نظيره لأن المخلوق يكون محدثًا والمحدث لا يكون مثل الأزلى، إذ ليس هناك كائن غير الله يستطيع القيام بفدائنا والتكفير"[٣].

وهكذا صار معلومًا بيقين أقوى وأشد أنه لن ينقذ الإنسان من سلطان الموت إلا إذا أنقذ من سلطان الخطية، لهذا نزل ابن الله من السماء وأخذ جسدنا بلا خطية وعاش بلا خطية وتحرر جسدنا منه إلى الأبد"[٤].

فإن العدل في مجال الفداء المسيحى هو استحقاق البشر للموت بسبب الخطية، ولكي يعالج الله مشكلة الإنسان الساقط ـ كما يقولون ـ أرسل ابنه الوحيد يسوع المسيح متجسدًا من العذراء، لكي يأخذ على نفسه في الجسد حكم الموت الذي نستحقه جميعًا، وفي نفس الوقت يتلاشى بموته على الصليب قوة الموت الذي تتسلط على طبيعتنا، وبذلك فإنه يخلصنا من خطايانا بقوة بره وطاعته الكاملة للآب. ومحبته الكاملة، وفي نفس الوقت يخلقنا خلقًا جديدًا في نفس جسده القاهرة للموت بقوة الحياة لأنه هو القيامة (الحياة)[٥].

---

(١) طريق الخلاص ص١٩.
(٢) المسيح حياة النفس ص١٩٣.
(٣) طريق الخلاص ص١٩.
(٤) الأب متى المسكين: القيامة والصعود ص٥٣.
(٥) باسيليوس: سر الفداء ص١٥.

فالطريق إلى الخلاص المسيحى من الخطية: تجسد ابن الله ثم موته على الصليب وقيامته من بين الأحياء وذلك لكي يبدد سلطان الموت الذي حكم الله به على البشر نتيجة السقوط.

وفي نفس الوقت هذه القيامة تهب للإنسان الحياة الأبدية.

يقول القس إلياس مقار:ـ

ولعل هذا الطريق يتميز على الأقل بالحقيقتين الأساسيتين التاليتين:ـ

الحقيقة الأولى:ـ

١ ـ أن خلاص الإنسان من الله وبترتيبه وهذا أمر بديهي طبيعي لأنه لا يمكن أن يصنع هذا الخلاص ويرتبه سوى الله وحده إذ من يستطيع أن يجمع بين العدالة الكاملة والرحمة الكاملة وبين القداسة الكاملة والمحبة الكاملة سوى شخص الله وحده، ومن يستطيع أن يصنع نظامًا لخلاص الإنسان الساقط ورفعه من وهدة الشر والخطية إلا الله وحده، ذلك فإن أي خلاص يتصوره الإنسان ويبتكره خياله لابد أن يكون ناقصًا كنقص هذا الإنسان، عاجزًا كعجز خياله، فإذا أضيف إلى هذا أن ذات طبيعة الله وصفاته في مقارنتها مع طبيعة الإنسان وصفاته تحتم صدور الخلاص من الله، إذ أن الخلاص والإنقاذ يأتي في العادة من الأكبر إلى الأصغر ومن الأقوى إلى الضعيف ومن القادر على كل شيء إلى العاجز عن كل شيء. كل هذا يجعلنا نجزم ونذكر أن ترتيب الخلاص من الألف إلى الياء ومن البداية إلى النهاية ومن الجملة إلى التفصيل يرجع أولاً وأخيرًا إلى شخص الله وحكمته وجوده وحنانه وحبه وقدرته[١].

الحقيقة الثانية:ـ

ويقول عن الحقيقة الثانية: "إن خلاص الإنسان يقوم أساسًا على الفداء، إذ أن الخلاص ليس مجرد فلسفة، بل هو الحقيقة العملية لا محيص منها لرفع الخطية كدين وكفساد عن الجنس البشري، وأية نظرية لا تقوم على تصحيح هذين الوضعين تعتبر نظرية باطلة غير سديدة أو سليمة)[٢].

---

(١) قضايا المسيحية الكبرى ص٣٩٥.

(٢) المصدر السابق ص٣٩٦.

ثم يقول "فإذا كان من المسلم ـ فى نظرهم ـ أن آدم سقط، وأن السقوط لم يلحقه وحده بل لحق الجنس البشري بأكمله، إذ كان آدم نائبه وممثله في الامتحان الإلهي، وكان وصول الخطية إلى البشر آتيا إليهم على خلاف الملائكة الذين سقطوا، فإن سقوطهم كان فرديا عن النيابة والوراثة، إذ لم يكن أحد من أبناء آدم هناك يشترك مع الأبوين اشتراكًا حرًا مستقلاً فعليًا في التعدي والسقوط، كانت العقوبة أيضًا أو الدين يتحتم بالطريق المقابل أن يتحملها نائب البشري وممثله.

ومن هنا برزت فكرة المخلص الذي يخلص العالم، وكان من المتعين أن يعبر هذا المخلص عن قدرة الله ومحبته الكاملة في إنقاذ الجنس البشري، ومثل هذا التعبير الكامل لا يمكن أن يصدر عن شخص آخر سوى الله ذاته[١]. وهذه هي الحقيقة الأولى في المخلص.

ثم يقول عن الحقيقة الثانية في المخلص: إنه لكي تتم وتصح نيابته عن الجنس البشري لابد أن يندمج في هذا الجنس ويصبح واحدا منه، إذ أن الغريب عن الجنس لا يمكن أن ينوب عنه نيابة كاملة. ومن البداهة أنه لكي يفدي هذا النائب غيره من الخطية لابد أن يكون هو كاملاً مبرأ من الخطية إذ فاقد الشيء لا يعطيه. ومن ثم كان من الضروري أن يتجسد المسيح ويأتي إلى العالم، والمسيح وحده بهذا المعنى هو الذي يستطيع أن ينوب عن البشر ليصبح كما أطلق الكتاب[٢] عليه آدم الثاني[٣].

ويقول عن الحقيقة الثالثة في المخلص: (إنه لابد أن يدفع الثمن كاملاً لرفع الخطية وإلا كان الأمر مجرد تمثيلية بعيدة عن الحقيقة والواقع، ومن ثم: لم يكن صلب المسيح مجرد دفاع عن مبدأ يؤثر الناس الموت على تركه واستشهاده من أجل عقيدة يتمسك بها صاحبها، وإلا لما افترق موت المسيح عن موت الشهداء وأصحاب المبادئ والمثل، ولكن موت المسيح كان كفارة وفداء عن العقوبة التي وقعت على الجنس البشري كله بسقوط وخطية نائبه الأول.

---

(١) المصدر السابق ص٣٩٦ ، ٣٩٧.

(٢) المصدر السابق ص٣٩٧،

(٣) ١ ـ كورنثوس ١٥ : ٤٥ (هذا مكتوب أيضًا صار آدم الإنسان الأول نفسًا حية وآدم الأخير روحيًا محييا).

فالصليب هو رافع العقوبة والدين وشاف ومطهر من اللوثة والطبيعة الفاسدة[١].

لذلك يقول يوحنا (ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية)[٢].

ونحن نقول هنا: ألم يكان مقتضى العدالة ـ وتتحقق معها الرحمة أيضا ـ أن يصلب آدم نفسه وتنتهى المشكلة؟.

ما دخل ابن إله ـ جدلا ـ فى الموضوع؟.

أية عدالة هذه؟.

وأين العقاب الذى تقتضيه؟ وعلى من وقع؟.

وأى تزمت هذا فى ضرورة إيقاع العقاب على المجرم يؤدى فى النهاية إلى إفلاته من أى عقاب، ليقع العقاب على غيره ضمن مسرحية ليس للإنسان فيها أى دور؟ إلا دور القناع يلبسه الممثل المختفى وراءه، أليس جسد المسيح هو ذلك القناع؟؟

المهم أن الخلاص المسيحي يقوم على المخلص الذي يستطيع أن يقوم بعملية الفداء والكفارة وهذا المخلص هو المسيح ابن الله، ولكي تتم عملية الفداء ـ فى نظرهم ـ كان لابد أن يتجسد المسيح أي يلبس جسدا ويظهر بصورة البشر ثم يموت مصلوبًا.

ولم يذكر/ القس الياس مقار الحقيقة الرابعة التي يجب أن تكون في المخلص والتي هي من أسس المسيحية ومن أسس عقيدة الخلاص لدى المسيحية وهي: قيامة المسيح من الأموات معلنًا انتصاره على الموت. إذ لو توقفت عملية الفداء عند موت المسيح على الصليب لم يكن مخلصًا كما يقول ـ كلايد تارنر:ـ

(إن مسيحا ميتا لا يمكن أن يكون مخلصًا فقيامة المسيح أكدت أن الله قد قبل عمله الكفارى على الصليب)[٣].

---

(١) المصدر السابق ص٣٩٨.

(٢) يوحنا ١ : ٧.

(٣) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص٩٢.

يقول بولس: "الذي أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا"[١].

ويقول (إن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم أنتم بعد في خطاياكم)[٢].

ويقول د/ فهيم عزيز: إن قيامة المسيح كانت ركنًا أساسيًا في هذا العمل العظيم[٣].

وعلى ذلك فإن دراستنا للخلاص تقوم على ما يأتي:ـ

١ ـ دعوى تجسد المسيح.

٢ ـ دعوى صلب المسيح.

٣ ـ دعوى قيامة المسيح.

وهو موضوع الدراسة في الباب الثاني إن شاء الله.

(١) رومية ٤: ٢٥.

(٢) ١ ـ كورنثوس ١٥: ١٧.

(٣) المدخل إلى العهد الجديد ص٨٩.

الفصل الرابع

عهد الله للإنسان بعد السقوط بالخلاص

تمهيد

يعتقد المسيحيون أن الإنسان عندما وصل إلى حالة العجز بسبب الخطية كان على الله أن يدبر له طريق الخلاص، وهذا التدبير وقع منه سبحانه على صورة عهد.

"فقصة آدم لم تنته بالطرد أو الموت أو الهلاك، وهيهات لها أن تكون كذلك وقد سبقت نعمة الله فأعدت له الخلاص المجاني الكامل العظيم"(١).

وأخذ هذا الإعداد صورة العهد:-

جاء في "علم اللاهوت النظامي": يتضح من الكتاب المقدس أن عمل الفداء وضع على صورة عهد، يتضح ذلك من التعبير عنه دائمًا بالألفاظ العبرانية واليونانية المستعملة في كلتا اللغتين للإشارة إلى العهد، ومن تضمن عمل الفداء أركان العهد ولوازمه(٢).

❖ ❖ ❖

تعريف العهد:

وكلمة العهد كما يقول ابن منظور: "كل ما عوهد الله عليه، وكل ما بين العباد من المواثيق. والعهد: الوصية، يقال عهد إليّ في كذا، أي أوصاني، ومنه حديث عليّ كرم الله وجهه:

عهد إلى النبي الأمي، "أي أوصى، ومنه قوله عز وجل" ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [سورة يس آية ٦٠] يعني الوصية والأمر.

والعهد: التقدم إلى المرء في الشئ. والعهد: الذي يكتب للولاة، وهو مشتق منه، والجمع عهود، وقد عهد إليه عهدًا(٣).

---

(١) القس إلياس مقار: رجال الكتاب المقدس ص١٦.

(٢) علم اللاهوت النظامي ص٧٥٤.

(٣) لسان العرب ص٣١٤٨ ط دار المعارف.

وفي المعجم الوسيط (عهد فلان إلى فلان ـ عهدا: ألقى إليه العهد وأوصاه بحفظه. ويقال: عهد إليه بالأمر، وفيه: أوصاه به.

وعهد الشيء: عرفه، يقال: الأمر كما عهدت، أي كما عرفت

وعهد فلانا: أي تردد إليه يجدد العهد به

وعهد فلانا بمكان كذا: لقيه فيه. فهو عهد

والعهد: العلم. يقال: هو قريب العهد بكذا: قريب العلم به، وعهدي بك مساعد الضعفاء: إني أعلم ذلك

والعهد: الوصية ﴿ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا ﴾ [سورة الأنعام آية ١٥٢] أي وصاياه وتكاليفه.

والعهد: الميثاق الذي يكتب للولاة، واليمين التي تستوثق بها ممن عاهدك. تقول: عليّ عهد الله لأفعلن كذا، والزمان: يقال كان ذلك على عهد فلان[١]

هذا هو العهد ومعانيه في كتب اللغة وهي معاني عامة تشمل أمورًا كلية، ويختلف معنى العهد تبعًا لاستعماله واستخدامه.

أما معنى العهد في الاصطلاح المسيحي: فهو يعني الميثاق الذي عقده الله مع الإنسان على صورة مشروع خلاصي يحققه تعالى على مراحل[٢].

ولقد ذكرت كلمة (العهد) في الكتاب المقدس ما يقرب من إحدى وسبعين ومائة مرة[٣] بمعان شتى، ولكن المعنى الذي ذكرناه سابقًا هو المقصود بكلمة العهد في علم اللاهوت، وهو المقصود بعهد الله للإنسان بالخلاص.

يقول د/ أندرووسطون: إن للفظة (عهد) معاني شتى في الكتاب المقدس. منها:

أولاً: أنها تعبر عن النواميس الطبيعية كتتابع الليل والنهار كما في سفر إرميا حيث قيل (هكذا قال الرب. إن نقضتم عهدي مع النهار وعهدي مع الليل)[٤].

---

(١) المعجم الوسيط جـ٢ ص٦٣٣ ، ٦٣٤.

(٢) الأب/ ديلي: تاريخ شعب العهد القديم، ترجمة: الأب جرجس مارديني ص٥٧، الأب بولس الياس اليسوعي: على خطي المسيح ص٢٤.

(٣) راجع فهرس الكتاب المقدس ص٤٢٣ ، ٤٢٤.

(٤) إرميا ٣٣: ٢٠ .

ثانيًا: أنها تعبر عن وعد مطلق أي غير معلق على شرط، كما في سفر التكوين (أقيم ميثاقي ـ أي عهدي ـ معكم)[١].

ثالثًا: أنها تعبر عن ترتيب مخصوص في معاملة الله للبشر كما في الرسالة إلى العبرانيين.

"ولكنه الآن قد حصل على خدمة أفضل بمقدار ما هو وسيط أيضًا لعهد أعظم قد تثبت على مواعيد أفضل. فإنه لو كان ذلك الأول بلا عيب لما طلب موضع لثان. لأنه يقول لهم لائمًا هوذا أيام تأتي يقول الرب حين أكمل مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهدًا جديدًا. لا كالعهد الذي عملته مع آبائهم يوم أمسكت بيدهم لأخرجهم من أرض مصر لأنهم لم يثبتوا في عهدي وأنا أهملتهم يقول الرب"[٢].

رابعًا: أنها تعبر عن وعد الله المرتبط بشرط وهذا هو المعنى المستعمل ـ عندهم ـ فى علم اللاهوت[٣].

وأطلق النصارى على الأسفار الخمسة وكتب الأنبياء العهد القديم[٤] على أساس أنها تتضمن نبواءات عن العهد الذي عقده الله مع بنى إسرائيل من أجل الخلاص.

وأطلق عليه لفظ (القديم) تمييزا له عن العهد الجديد الذي يتحقق فيه النبوءات السابقة، والذي يتضمن ـ كما يعتقدون ـ عهدًا جديدا بالإنسان مبرأ من الخطيئة الموروثة.

ويقولون لقد تم هذا الخلاص بدم المسيح. يقول بولس (ليس أننا كفاة من أنفسنا أن نفتكر شيئًا كأنه من أنفسنا بل كفايتنا من الله الذى جعلنا كفاة لأن نكون خدام عهد جديد[٥] "على قدر ذلك قد صار يسوع ضامنا لعهد أفضل"[٦].

---

(١) تكوين ٩: ١١.

(٢) عبرانيين ٨: ٦ ـ ٩.

(٣) أندرووطسون: شرح أصول الإيمان. أتمه وراجعه د/ القس/ إبراهيم سعيد ص٩٣، ٩٤.

(٤) إطلاق العهد القديم على الأسفار الخمسة وكتب الأنبياء هو السائد بين اللاهوتيين (قاموس الكتاب المقدس ص٦٤٤.

(٥) ٢ كورنثوس ٣: ٥، ٦.

(٦) عبرانيين ٧: ٢٢.

فالعهد القديم هو بذرة العهد الجديد، والعهد الجديد هو ثمرة العهد القديم، وفيه تمت نبوته سيما النبوات المتعلقة بشخص المسيح، والعهد الجديد كامن في العهد القديم، والعهد القديم متفتح وظاهر في العهد الجديد[١].

جاء فى (علم اللاهوت النظامى): واعلم أن التمييز المشهور بين العهد القديم والعهد الجديد إنما يشير إلى نظامين (وهما الموسوى والمسيحى) لعهد واحد، وهو ما يسمى عهد النعمة تمييزًا له عن عهد الأعمال، لأنه بعد نقض عهد الأعمال بسقوط آدم، أقام الله عهدًا آخر مع البشر وهو عهد النعمة بشرط الإيمان الذى هو شرط الخلاص فى النظام الموسوى والمسيحى[٢].

أقسام العهد

وهذا القول يجرنا إلى بيان أقسام العهد ـ كما يصوره اللاهوت المسيحى ـ فهناك ما يسمى بعهد الأعمال أو عهد الحياة.

وما يسمى بعهد النعمة

أما عهد الأعمال: فهو العهد الذى قطعه الله مع آدم. وسمى هذا العهد بعهد الأعمال لأن الأعمال هى الشرط الذى علق عليه[٣] أو لأنه متعلق بأعمال واجب على آدم حفظها[٤] ويدللون على ذلك بما جاء فى سفر التكوين (وأخذ الرب الإله آدم ووضعه فى جنة عدن ليعملها ويحفظها)[٥].

ويسمى هذا العهد بعهد الحياة، لأن وعد العهد الذى أقامه الله مع آدم أو الجزاء الذى وعده به على شرط طاعته هو الحياة، ويستفاد ذلك من تهديد الله له بقوله "لأنك يوم تأكل منها موتا تموت"[٦].

---

(١) الدين المسيحى للمرحلة الثانوية سنة ١٩٦٦ ص١٠٣.
(٢) علم اللاهوت النظامى ص٦١٢.
(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.
(٤) شرح أصول الإيمان ص٩٥.
(٥) تكوين ٢: ١٥.
(٦) علم اللاهوت النظامى ص٦١٢.

وذلك بمعنى أن الله لما خلق الإنسان على صورته فى المعرفة والبر والقداسة عاهده عهد الحياة (ويسمى غالبًا عهد الأعمال) على شرط الطاعة الكاملة، ونهاه عن الأكل من شجرة معرفة الخير والشر لئلا يموت. وذلك يتضمن :ـ

١ ـ إقامة الله عهدًا مع آدم.

٢ ـ الوعد المضاف إلى ذلك العهد وهو الحياة.

٣ ـ الشرط وهو الطاعة الكاملة.

٤ ـ قصاص المعصية وهو الموت[١].

وليس هناك من قول صريح فى الكتاب المقدس يدل على أن الله عقد عهدًا مع آدم.

ولقد أثار علماء اللاهوت سؤالاً حول هذا المعنى وأجابوا عليه، يقول السؤال: هل جاء القول بإقامة الله عهدًا مع آدم صريحًا فى كتاب الله؟ الجواب :ـ

كلا بل هو أخص وأصرح جملة تعبر عما جاء فيه صريحًا من أن الله وعد آدم وعدًا مقيدًا بشرط ورتب على العصيان قصاصًا معلومًا.

ولما ورد النص فيه أن الإنسان ينال الحياة الأبدية على إحدى طريقتين فقط :

إحداهما تقوم على الطاعة الكاملة، والأخرى بالإيمان، وسميت الثانية بالعهد وكانتا فى الجوهر شيئًا واحدًا سميتا باسم واحد وهو العهد[٢].

وعمومًا فليس هناك من مانع لدينا أن نسمى ما وقع بين الله وآدم عهدًا ولكن فى حدود الدائرة التى ناقشنا بها سابقًا الوعد بالحياة المترتبة على هذا العهد، والموت نتيجة للمعصية.

وإضافة الأعمال ـ بالجمع ـ إلى العهد فيه بعض التجاوز ذلك لأن ما كلف به آدم هو عمل واحد لا أعمال، وهو عدم الأكل من الشجرة المحرمة.

---

(١) نفس المرجع ونفس الصفحة.

(٢) نفس المرجع ونفس الصفحة.

ويعتقدون أن هذا العهد خاص بآدم عليه السلام الذى كان نائبًا عن الجنس البشرى معللين ذلك (بأنه إذا كان آدم قد ناب فى عهد الأعمال عن نسله فيمكن الحكم الجازم بأن ذلك العهد قد زال، لأن الاعتقاد أن البشر باقون تحت ذلك العهد هو بمثابة الاعتقاد أنهم لا يزالون تحت الامتحان، وأن الجنس لم يسقط بسقوط آدم ولكن البشر كلهم ساقطون ومحاطون بنتائج ضرورية وقصاصية من معصية آدم، وأنهم قد امتحنوا فيه لا أن كل إنسان يحتمل الامتحان بنفسه)[١].

أما العهد الثانى فهو ما يسمى بعهد النعمة:ـ

وهو العهد الذى عقده الله الآب مع المؤمنين، وهو واسطة لإتمام ما قصد إتمامه فى عهد الفداء، أى أن الغاية العظمى فى عهد الفداء تتم على الكيفية المعينة فى عهد النعمة[٢] أى أنه عهد عقده الله من أجل خلاص الإنسان من خطيئة آدم.

ويسمى بعهد النعمة "لأنه يظهر محبة الله للخطاة، إذ أن نعمة الله تخلصهم من الخطيئة بدون أن يستحقوا ذلك، ولذلك يسمى الإنجيل (بشارة نعمة الله) [٣] وهو بخلاف عهد الأعمال الذى هو متعلق بالأعمال، أما عهد النعمة فهو يخلص الإنسان بدون عمل[٤].

وهذا العهد ـ كما يتصورون ـ عقد مع البشر حالاً بعد سقوط آدم ونقضه لعهد الأعمال، وهو فى كل الأزمنة من عصر آدم إلى نهاية العالم، غير أن هيئته الخارجية تختلف مع مرور الدهور.

ففى زمان موسى أجرى على هيئة النظام الموسوى، ومنذ مجئ المسيح أجرى على هيئة النظام الإنجيلى، ولا يخفى أن مرور القرون منذ السقوط قطع عهود مختلفة مع الآباء وغيرهم من الأمة اليهودية، على أن هذه العهود بجملتها ضمن عهد النعمة، وهى إعلانات مكررة للعهد الأصلى الأساسى الدائم بين الله وشعبه[٥].

---

(١) المرجع السابق ص٦١٦ ، ٦١٧.
(٢) المرجع السابق ص٧٥٧.
(٣) قاموس الكتاب المقدس ص٩٧٣.
(٤) شرح أصول الإيمان ص٩٥.
(٥) علم اللاهوت النظامى ص٧٥٨.

العصور المختلفة لعهد النعمة

مما سبق يتبين لنا أن عهد النعمة هو فى كل الأزمنة من عصر آدم، وهذا أدعى إلى معرفة العصور المختلفة لعهد النعمة أو مراحل هذا العهد، وهى عصور فى حد ذاتها تاريخية أو مرحلية، كل مرحلة تسلم للأخرى.

العصر الأول:- ويسمى العصر الآدمى لأنه ينسب إلى آدم.

ومدة هذا العصر من آدم إلى إبراهيم عليهما السلام.

يقول علماء اللاهوت عن هذا العصر (وليس لنا من أنباء هذه المدة إلا القليل حتى لا نقدر أن نجزم إلى أى حد أعلن الحق، أو ما هى الوسائط التى استعملت لحفظه، فكل ما نعرفه عن أخبار تلك المدة هو أن الله قد وعد أهلها الوعد الأصلى بنسل المرأة[١]، ورسم لها العبادة بواسطة الذبائح، ونستدل على أن المقصود بالذبائح تعليم كيفية الخلاص بثلاثة أمور:-

١ ـ كونها مطابقة وموافقة لمطلوب الضمير البشرى؛ لأن حكم الضمير يؤدى إلى الاعتقاد أن الخاطىء يحتاج إلى الكفارة، والأرجح أن الله علم الإنسان أن تلك الكفارة يجب أن تكون بسفك دم.

٢ ـ سرور الله بها، ووضعه إياها فريضة دينية، وتضمينه إياها الفرائض الدينية التى أمر بها بعد ذلك.

٣ ـ توقع خلاص البشر بواسطة ذبيحة المسيح، ولذلك يحق لنا أن نحسب الذبائح القديمة رسمت قبل شريعة موسى للإشارة إلى طريق الخلاص المسيحى، وأنها فرضت لتعليم كيفية الخلاص[٢].

فالوعد فى هذا العصر هو القول (وأضع عداوة بينك وبين المرأة..... إلى آخره) فلقد رأى كثيرون من العلماء والمفسرين اللاهوتيين المسيحيين فى هذا النص وعدا بمجيء ذاك الذى استطاع وحده أن يسحق سحقًا نهائيًا رأس الحية وهو المسيح[٣].

---

(١) يشيرون بذلك إلى ما ورد فى سفر التكوين من وعد الله لآدم وحواء بأن نسل المرأة سيسحق رأس الحية. تكوين ٣: ١٥.

(٢) المرجع السابق ص٧٦٦.

(٣) تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص٢٧.

من هذا القول يتبين **أولاً** ـ كما يقول القس إلياس مقار :ـ

أن الله أعلن خلاص آدم قبل إعلان عقابه، وهذا واضح مما نقرأ فى سفر التكوين إذ قال الله للحيه قبل أن يحكم على آدم "وأضع عداوة بينك وبين المرأة نسلك وبين نسلها. هو يسحق رأسك وأنت تستحقين عقبه[١] أو فى لغة أخرى أن آدم سمع حكم الخلاص قبل أن يسمع حكم الموت، وهذا أكبر دليل على عمق رغبة الله فى خلاص البشر، وهو دليل على أن الله يسر بالرحمة والرأفة ولا يسر بموت الخاطىء[٢].

يقول ثانيًا : إن الله أعلن خلاص آدم بالدم.

لقد حاول آدم وحواء تغطية الخطية تغطية مشوهة حمقاء "إذ خاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر[٣] وهما أول من يعلم أنها لا يمكن أن تبقى أو تستر.

أما الله فقد ستر عريهما وخزيهما بذبيحة (وصنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما) [٤] إذ "بدون سفك دم لا تحصل مغفرة"[٥] وهنا ندرك[٦] أمرين أساسين أصيلين فى الخلاص.

أنه وقبل كل شيء من صنع الله، وأنه بالدم، الدم وحده[٧].

وقبل أن نترك هذا الموضوع لنا بعض المناقشات التى يستوجبها البحث العلمى :

بالنسبة للأمر الأول :ـ وهو أن الله أعلن الخلاص قبل العقاب، وأن آدم سمع الحكم بالخلاص قبل سماعه للحكم بالموت. هذا القول فيه بعض الشكوك ذلك لأنه معلوم أن الله حين وضع آدم فى الجنة قال له (وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا

---

(١) تكوين ٣ : ١٥.
(٢) القس إلياس مقار : رجال الكتاب المقدس ص١٦.
(٣) تكوين ٣ : ٧.
(٤) تكوين ٣ : ٢١.
(٥) عبرانيين ٩ : ٢٢.
(٦) الكلام لازال للقس إلياس مقار.
(٧) رجال الكتاب المقدس ص١٧.

تأكل منها لأنك **يوم تأكل منها موتا تموت**) فهذا بالضرورة عقوبة الأكل من الشجرة، الله قد أعلنه قبل أن يخطىء آدم، وهذا القول أيضًا فى حد ذاته عقوبة، وإعلان عن عقوبة (الموت) لو أكل آدم وحواء من هذه الشجرة.

ثم إن عقوبة وقعت على آدم وحواء بعد الخطأ مباشرة لأنهما حين امتدت أيديهما إلى الشجرة وأكلا انفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان، وهذا فى حد ذاته أيضًا إعلان للعقوبة بالطريقة العملية بعد أن قال الله لهما وعرفَهما قبل الخطأ بالعقوبة التى تقع فما أن أخطأ آدم وحواء إلا وقد وقعت عليهما تلك العقوبة.

ثم إن الفقرة التى استشهد بها ـ القس السابق ـ على أنها إعلان للخلاص قبل إعلان للعقوبة إنما هى ضمن العقوبات التى عاقب الله بها الحية ـ كما تدّعون ـ فليس هناك من فاصل بين العقوبة وإعلان الخلاص. وهذا نص الكتاب المقدس فى ذلك:

فقال الرب الإله للحية لأنك فعلت هذا ملعونه أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية. على بطنك تسعين وترابًا تأكلين كل أيام حياتك. وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك وأنت تستحقين عقبه. وقال للمرأة تكثيرًا أكثر أتعاب حبلك[1] ويظهر من النص أنها من فقرات العقوبة لا أنها إعلان منفرد للخلاص.

أما بالنسبة للأمر الثانى:ـ وهو أن الله أعلن خلاص آدم بالدم والاستدلال على ذلك بما جاء فى الكتاب المقدس من أن الله "صنع لآدم وحواء أقمصة من جلد وألبسهما" بمعنى أن الله صنع لهما جلدًا وأن هذا الجلد عن طريق دم.

فنحن نقول لا دليل فى هذه الفقرة على أن الخلاص بالدم: لأن الفقرة تقول "وصنع الرب" وصنع الله لا يخضع لمقايسنا البشرية من ناحية أن الجلد لابد وأن يكون عن طريق ذبح، لأنه من الممكن أن يكون قد صنع الله لهما جلدًا أى خلق لهما جلدًا

---

(١) تكوين ٣: ١٤ ـ ١٩.

خاصًا بهما من أجل ستر عورتيهما، ولا يدل بالضرورة على أن الله قد ذبح حيوانًا وصنع من جلد الحيوان أقمصة لآدم وحواء.

ثم إننا لو سلمنا أن هذه الفقرة تدل على أن الخلاص إنما يكون بالدم فهو دليل إدانة، بمعنى أنه إذا كان الله قد صنع لآدم وحواء أقمصة من جلد من أجل ستر سوآتهما وخلصهما من الورطة التى أحاطت بهما، فهذا دليل على أن آدم قد خلصه الله من الخطيئة ولا داعى لأن يُلعن هو وأبناؤه، ولا داعى لأن يرثوا الخطيئة. ثم إنه لابد وأن يثمر الجلد الذى صنعه الله من دم ثمرته، حتى يتبين أثره ويظهر للبشر نتيجته حتى يطمئن البشر ويتأكدوا من طريق الخلاص. ولا يمكن اعتبار ستر العورة خلاصًا لآدم وحواء من الخطيئة لأن لو كان خلاصا لهما لما كان هناك داعى لتعدى الخطيئة إلى غيرهما ولكنها لما لم تكن خلاصًا لهما ـ كما يقولون ـ فقد ورثها نسلهما.

ثم إننا لو اعتبرنا أنه كان تعليمًا لآدم وللبشر من بعده لطريقة الخلاص ـ لا خلاصًا لأن آدم لم يذبح دم.

فإننا نقول إن غير آدم من البشر قد ذبح قرابين لله وكفر عن خطيئة آدم، وإذا كانت هناك كفارة لهذه الخطيئة فلا داعى للقول بوراثتها، فلقد ذبح هابيل القرابين لله (وقدم هابيل أيضًا من أبكار غنمه ومن سمانها)[١].

وكذلك أيضًا ذبح نوح القرابين الكثيرة لله (وبنى نوح مذبحًا للرب. وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذبح. فتنسم الرب رائحة الرضا. وقال الرب فى قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضًا من أجل الإنسان لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته. **ولا أعود أيضًا أميت كل حى** كما فعلت. مدة كل أيام الأرض زرع وحصاد وبرد وحر وصيف وشتاء ونهار وليل[٢].

يظهر من هذا أن هابيل قدم من أبكار غنمه، وأن نوحًا قدم من جميع الحيوانات والطيور الطاهرة، وكان نتيجة لعمل نوح أن رد الله الحكم الذى أصدره على آدم

---

(١) تكوين ٤: ٤.

(٢) تكوين ٨: ٢٠ ـ ٢٢.

وحواء ونسلهما وهو الموت فقال الله لنوح (لا أعود أميت كل حى كما فعلت) فهذا يدل على أن الحكم بالموت الذى أصدره الله على آدم إنما كفر نوح[١] عنه.

وعليه فلا داعى للقول بأن نسل آدم قد ورث الخطيئة وعلقت به حتى جاء المسيح وكفر عنها.

ثم إن القول (بدون سفك دم لا تحصل مغفرة) الذى استشهد به القس إلياس مقار قول عام لا يقتصر على دم المسيح، أى أن أى سفك دم يحصل به المغفرة.

وعليه فمن الظلم أن يذبح إنسان للمغفرة وهناك طريق آخر طبيعى ـ ذبح الحيوان ـ يمكن أن يحصل الإنسان منه على هذه المغفرة، فما الداعى لأن يصلب إنسان بدون وجه حق وهناك ما يمكن الاستعاضة به عنه وليس فيه اجتراء وظلم لأحد؟

فإنه إذا كان بأى سفك دم تحصل مغفرة فإن أقرب طريق هو ذبح الحيوان الذى هو قربان لا الإنسان الذى خلق من أجل أن يكون خليفة لله فى الأرض لا أن يذبح ليكون قربانا.

العصر الثانى :ـ وهو يمتد من إبراهيم إلى موسى عليهما السلام

وهذه الحقبة ـ كما يدّعون ـ لها أهميتها فى تاريخ الشعب المختار: إذ هى أساس تاريخه وهى ساعة منشأه وتكوينه، تلوح فيه تباشير العهد مع الله.

ولها أهميتها فى التمهيد للمسيح من ناحية الوعد بالذرية الكثيرة وبامتلاك الأرض، وبهما يكتمل الوعد الثالث (ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض من أجل أنك سمعت لقولى)[٢] وقد رأت الكنيسة فى هذا الوعد الوعد بالمسيح ذاته ولذا وضع الفنانون فى القرون الوسطى إبراهيم فى جذع شجرة "يسى"[٣].

---

(١) وذلك على طريقتكم أنه من الممكن أن يتحمل إنسان وزر إنسان آخر ويكفر عنه.

(٢) تكوين ٢٢ : ١٨.

(٣) الأب/ ديلى: تاريخ شعب العهد القديم ص١١٠. ويسىَّ: اسم عبرى ربما كان معناه "رجل" وهو ابن عوبيد وأبو داود وابن ابن راعوث وبوعز (راعوت ٤ : ١٧ ـ ٢٢، متى ١ : ٥) وأبو ثمانية بنين منهم داود (١ ـ صموائيل ١٦ : ١٠، ١٧ : ١٢) أو سبعة بنين لهم نسل (أخبار الأيام الأول ٢ : ١٥) وكان له بنتان من زوجة غير أم داود (أخبار الأيام الأول ٢ : ١٦) وفى كنيسة المهد فى بيت لحم حائط من الفسيفساء يرجع تاريخه إلى القرن الثانى عشر رسمت عليه شجرة يسىَّ وفروعها (قاموس الكتاب المقدس ص١٠٦٤ ـ ١٠٦٥) وشجرة يسىَّ إشارة إلى نسب المسيح وأنه من نسل يسىَّ والد (داود) فالمسيح من نسل داود.

فالعهد بإبراهيم ـ منبت الشعب المختار وجد المسيح ـ خطا الله به خطوة جديدة فى سبيل العهد فلاح لهم العهد ـ كما يقولون ـ على صورة وعد سيتحقق فى شعب ويقتضى من هذا الشعب الإيمان الذى هو جواب الإنسان لدعوة الله[١].

ويظهر فى هذا العصر أن الله وعد إبراهيم بالبركة فى نسله وبالخلاص لكل شعوب الأرض من نسله (وقال الرب لإبرام[٢] اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك. فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك. وتكون بركة وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه. وتتبارك فيك جميع الأمم)[٣].

يقول باركلى (وعد الله إبراهيم وعدًا عظيمًا أن يجعل منه أمة عظيمة وأن كل أمم الأرض تتبارك به.

والحقيقة أن الأرض كلها أعطيت له ميراثا **ولقد أعطى الوعد لإبراهيم بسبب إيمانه وثقته فى الرب** لا بسبب أفضاله التى جمعها من أعماله الصالحة ولا بسبب أى مجهود بذله)[٤] ويقول فيكتور هبكو: منح الله لإبراهيم وعده الأول بخلاصه لكل شعوب الأرض كما منحه عهدا بأن يكون أمينًا معه إلى الأبد[٥].

قطع الله العهد مع إبراهيم فى حفله رسمية، فأخذ إبراهيم ـ كما يصورون ـ عجلة وعنزا وشطرهما شطرين، ووضع كل شطر قبالة صاحبه، تاركًا بينهما ممرًا، ولما صارت الشمس إلى المغيب وقع سبات عليه، فساوره رعب شديد، واكتنفه ظلمة دامسة بينهما مشعل نار يسير بين تلك القطع، مشعل النار هذا هو الله يقطع عهدًا مع إبراهيم[٦].

وإليك نص العهد الذى عقده الله مع إبراهيم كما جاء فى سفر التكوين:ـ

صار كلام الرب إلى أبرام فى الرؤيا قائلاً: لا تخف يا أبرام أنا ترس لك أجرك كثير جدًا. فقال أبرام أيها السيد الرب ماذا تعطينى وأنا ماضٍ عقيمًا ومالك بيتى هو

---

(١) تاريخ شعب العهد القديم ص١٠٢.

(٢) أحد أسماء إبراهيم عليه السلام ومعناه "الأب الرفيع" أو "الأب المتكرم" قاموس الكتاب المقدس ص٩.

(٣) تكوين ١٢: ١ ـ ٣.

(٤) تفسير العهد الجديد (رسالة رومية) ص٨٢.

(٥) فيكتور هبكو: تاريخ الخلاص ص١٥ ترجمة روفائيل صبحى.

(٦) تاريخ شعب العهد القديم ص١٠٢.

أليعازر الدمشقى، وقال أبرام أيضًا إنك لم تعطنى نسلا وهو ذا ابن بيتى وارث لى. فإذا كلام الرب إليه قائلاً لا يرثك هذا بل الذى يخرج من أحشائك هو يرثك. ثم أخرجه إلى خارج وقال انظر إلى السماء وعُد النجوم إن استطعت أن تعدها. وقال له هكذا يكون نسلك. فآمن بالرب فحسبه له برًا وقال له أنا الرب الذى أخرجك من أورالكدانيين[١] ليعطيك هذه الأرض لترثها. فقال أيها السيد الرب بماذا أعلم أنى أرثها. فقال له خذ لى عجلة ثلاثية وعنزه ثلاثية وكبشًا ثلاثيًا ويمامة وحمامة. فأخذ هذه كلها وشقها من الوسط وجعل شق كل واحد مقابل صاحبه، وأما الطير فلم يشقه. فنزلت الجوارح على الجثث وكان أبرام يزجرها، ولما صارت الشمس إلى المغيب وقع على أبرام سبات. وإذا رعبة مظلمة عظيمة واقعة عليه. فقال لأبرام اعلم يقينا أن نسلك سيكون غريبًا فى أرض ليست لهم ويستعبدون لهم فيذلونهم أربع مئة سنة. ثم الأمة التى يستعبدون لها أنا أدينها، وبعد ذلك يخرجون بأملاك جزيلة، وأما أنت فتمضى إلى آبائك بسلام وتدفن بشيبة صالحة. وفى الجيل الرابع يرجعون إلى ههنا لأن ذنب الأموريين ليس إلى الآن كاملاً. ثم غابت الشمس فصارت العتمة وإذا تنور دخان ومصباح نار يجوز بين تلك القطع.

فى ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقًا قائلاً لنسلك أعطى هذه الأرض من مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات[٢].

ويلاحظ أن العهد قد تم كما ظهر بين شقى الذبيحة، لأنه كانت العادة أن يدخل الخصمان، أحدهما عند رأس الذبيحة، والثانى عند ذيلها، ويلتقيان معا وسط الذبيحة، وعلى دمها السائل. وهناك يتم العهد. ولهذا سمى إجراء التعاهد (قطع العهد) لأنه يتم على ذبيحة مقطوعة، وفى هذا يقول آساف (اجمعوا إلى اتقيائى القاطعين عهدى على ذبيحته[٣،٤].

---

(١) أورالكلدانيين: هى مسقط رأس إبراهيم الذى ولد ونشأ فيها ولكنه خرج منها إطاعة لدعوة الرب. ومكان "أور" الآن خرائب تدعى "المغيّر" فى منتصف المسافة بين بغداد والخليج الفارسى وعلى مسافة عشرة أميال شرقى مجرى نهر الفرات فى الزمن الحاضر (قاموس الكتاب المقدس ص١٢٨).

(٢) سفر التكوين الإصحاح الخامس عشر.

(٣) مزمور ٥٠: ٥.

(٤) القس صموئيل حبيب: الخلاص فى مفهومه الكتابى والتطبيقى ص٣٣.

ويرد فى مكان آخر من الكتاب أن الله ثبت العهد فوضع الختان علامة له[١] وقد مارس إبراهيم الختان كعلامة للعهد مع الرب[٢].

"وقال الله لإبراهيم وأما أنت فتحفظ عهدى أنت ونسلك من بعدك فى أجيالهم. هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك يختن منكم كل ذكر. فتختنون فى لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بينى وبينكم. ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر فى أجيالكم.

وليد البيت والمبتاع بفضة من كل ابن غريب ليس من نسلك. يختن ختانا وليد بيتك والمبتاع بفضتك فيكون عهدى فى لحمكم عهدًا أبديا، وأما الذكر الأغلف الذى لا يختن فى لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها. إنه قد نكث عهدى[٣].

تم العهد بين الله وإبراهيم عندما أطاع إبراهيم الله وآمن بقوله :-

١ ـ فى الخروج من أورالكداينين مع أسرته إلى المكان الذى دعاه الله إليه (تكوين ١٥ : ٧).

٢ ـ فى تصديقه وعد الله بأن شخصًا من أحشائه يرثه (تكوين ١٥ : ٤)[٤].

آمن إبراهيم بالإله الواحد مالك السماء والأرض وإلههما (تكوين ١٤ : ٢٢) ٢٤ : ٣ وديان الأمم وكل الأرض (تكوين ١٥ : ١٤، ١٨ : ٢٥) والذى كل قوات الطبيعة طوع أمره ولا يستحيل عليه شيء (تكوين ١٨ : ١٤، ١٩ : ٢٤، ٢٠ : ١٧ ، ١٨) وهو الإله العلى المرتفع (تكوين ١٤ : ٢٢) وهو سر مدى أبدى (تكوين ٢١ : ٣٣) ولم يكن الله لإبراهيم الإله الواحد فحسب بل كانت لإبراهيم علاقة شخصية وشركة روحية قوية (تكوين ٢٤ : ١٤) ولذلك نال إبراهيم لقب "خليل الله"[٥].

---

(١) تاريخ شعب العهد القديم ص١٠٢.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص١١.

(٣) تكوين ١٧ : ٩ ـ ١٤.

(٤) الخلاص فى مفهومه الكتابى والتطبيقى ص٣٣.

(٥) قاموس الكتاب المقدس ص١١. ولقد ذكر لقب "خليل الله" فى الكتاب المقدس ثلاث مرات فى (أخبار الأيام الثانى ٢٠ : ٧ (ألست أنت إلهنا الذى طردت سكان هذه الأرض من أمام شعبك إسرائيل وأعطيتها لنسل إبراهيم خليلك إلى الأبد) وفى سفر إشعياء ٤١ : ٨ (وأما أنت يا إسرائيل عبدى يا يعقوب الذى اخترته نسل إبراهيم خليلى) وفى رسالة يعقوب ٢ : ٢٣ (وتم الكتاب القائل فآمن إبراهيم بالله فحسب له برًا ودعى خليل الله).

"وكان إيمان إبراهيم بالله مبعث الإيمان بالله فى الشعب المختار وبذلك تجاوزت دعوته شخصه فكان رأس شعوب كثيرة حملت وديعة الإيمان بالله الواحد وتناقلتها جيلاً بعد جيل حتى المسيح الذى كشف لنا عما يتضمن من كنوز وغنى... وقد سمع إبراهيم الله يقول له يومًا "أصير نسلك كتراب الأرض حتى إذا استطاع أحد أن يعد تراب الأرض فنسلك أيضًا يعد"[١] هذا الكلام هو الآن وعد ليس إلا[٢].

ولم يكتف الله من إبراهيم بهذا الإيمان والسخاء الذى رافقه ـ كما يصورون ـ بل أراد أن يسمو به إلى الذروة حيث يتفتح الإيمان بالله حبا وحيث تفوق الثقة بالله كل فطنه بشرية. وقد سرد لنا الكتاب مراحل هذا الارتقاء إلى الذروة :ـ

المرحلة الأولى: إسماعيل.

ومرت السنون وكرر الله وعده لإبراهيم بالنسل والعقبى إلا أن إبراهيم لا يرى حتى الآن من مجال لتحقيق الوعد فأراد أن يتجاوب مع قدرة الله، وكان لسارة جارية اسمها هاجر فأعطتها لإبراهيم وولدت هاجر إسماعيل. هو العهد يتحقق وها هى العقبى المرجوة فما أقدر الله وما أصدقه؟!!!

لقد أحس إبراهيم بالإيمان به[٣].

وفى نظر علماء المسيحية : "أن الله لن يتوقف بإبراهيم هنا فولد الجارية لن يرث العهد، ويسمو الله بإيمان إبراهيم إلى أعلى، وتمر السنون ويصبح الإيمان أشق، ومع ذلك فقد رضى إبراهيم بما أراد فازداد بذلك إيمانه"[٤].

وهنا تأتى **المرحلة الثانية :** إسحاق

"ورزقت سارة أخيرًا ابنا وبذلك نال إبراهيم مكافأة إيمانه وكان يفخر بابنه ويزهو ويقول فى نفسه وهو يراه يكبر بأنه قد صارت له الآن ذرية تعقبه على رأس العشيرة، وإذا بالله يفاجئه بالتضحية الكبرى وهى الأمر بذبح ابنه"[٥].

---

(١) تكوين ١٣ : ١٦.

(٢) تاريخ شعب العهد القديم ص ١٠٣، ١٠٤..

(٣) المصدر السابق ص١٠٥.

(٤) نفس المصدر ونفس الصفحة.

(٥) نفس المصدر ونفس الصفحة.

وهذا الابن فى نظر علماء المسيحية هو إسحاق ويستدلون بما جاء فى سفر التكوين عن هذا الأمر.

يقول سفر التكوين (وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم. فقال له:

يا إبراهيم فقال هأنذا، فقال: خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحاق واذهب إلى أرض المريا[١] وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذى أقول لك)[٢].

يقول الأب/ ديلى: "إرادتان لله تتنازعان: إسحاق هو الوعد بالعقبى، وإسحاق هو الذبيحة المطلوبة. ويرتقى إيمان إبراهيم مع ذلك إلى حيث يسمو به الله فيرضى مرة أخرى (فبكر إبراهيم صباحًا وشد على حماره وأخذ اثنين من غلمانه معه وإسحاق ابنه وشقق حطبًا لمحرقة وقام وذهب إلى الموضع الذى قال له الله"[٣] أصبح الآن إيمانه رجاء وحبًا وبذلك بلغ الذروة التى دعاه الله إلى ارتقائها.

ويأتيه الله أخيرًا بالحل للغز وبالخاتمة للعذاب (فقال الله لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئًا. لأنى الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عنى. فرفع إبراهيم عينيه وإذا كبش وراءه ممسكًا فى الغابة بقرنيه. فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضًا عن ابنه)[٤].

وبالوقت ذاته سما إبراهيم بإيمانه إلى تلك الذروة التى هى حقيقة بأن يرتقى جد المسيح إليها[٥].

أما عن ثواب الإيمان الذى بلغ الذروة والارتقاء:-

فيقول عنه الأب/ ديلى (ثواب الإيمان الوعد العظيم، سبق الله فوعد إبراهيم بأرض يعطيه إياها، وقد قال له بعد انفصاله عن لوط: جميع الأرض التى أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد[٦] فالوعد بالذرية كان أساس إيمان إبراهيم وقوام

---

(١) يقول قاموس الكتاب المقدس عن أرض المريا (هى أرض أوصى إبراهيم أن يصعد إليها وقدم إسحاق ابنه على أكمة منها وهى منطقة فى أورشليم) ص٨٥٩.

(٢) تكوين ٢٢: ١، ٢.

(٣) تكوين ٢٢: ٣.

(٤) تكوين ٢٢: ١٢/ ١٣.

(٥) تاريخ شعب العهد القديم ص١٠٦.

(٦) تكوين ١٣: ١٥.

حياته الدينية ، وإذا بوعد الله يتضمن بذبيحة إسحاق عنصرًا جديدًا يوسع فى الوعد إلى أقصى حد إلى اللانهائية (ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض من أجل أنك سمعت لقولى)[١].

لا يخلو هذا الوعد من غموض إلا أن الله ولا شك قد كشف يومئذ لإبراهيم عنه ذيل الستار فاستطاع المسيح أن يقول يومًا: (إبراهيم أبوكم ابتهج حتى يرى يومى فرأى وفرح)[٢][٣].

"لهذا جاء المسيح ـ كما يدّعون ـ وارثا للوعد وصار كل المؤمنين به أبناء إبراهيم الروحيين

"اعلموا إذاً أن الذين هم من الإيمان أولئك هم بنو إبراهيم"[٤].

"وأما المواعيد فقيلت فى إبراهيم وفى نسله. لا يقول وفى الأنسال كأنه عن كثيرين بل كأنه عن واحد وفى نسلك الذى هو المسيح"[٥] لتصير بركة إبراهيم للأمم فى المسيح يسوع لينالوا بالإيمان موعد الروح[٦] وأن تقدمة إسحاق ـ كما يقولون ـ ذبيحة كانت رمزًا للفداء[٧].

❖ ❖ ❖

والعلامات البارزة فى هذه الحقبة من مراحل عهد النعمة ـ والتى تستفاد من كلام المسيحيين ما يلى: ـ

١ ـ أن الله وعد إبراهيم نتيجة لإيمانه بأن يبارك نسله. والبركة فى نسله إنما تقع خاصة فى نسل إسحاق ـ كما يعتقدون ـ الذى هو له حق إرث عهد الله لإبراهيم بهذه البركة وذلك لأن ولد الجارية الذى هو إسماعيل لن يرث العهد، ولكى يؤكد

---

(١) تكوين ٢٢ : ١٨.

(٢) يوحنا ٨ : ٥٦.

(٣) تاريخ شعب العهد القديم ص١٠٦.

(٤) غلاطية ٣ : ٧ ـ ٩.

(٥) غلاطية ٣ : ١٦.

(٦) غلاطية ٣ : ١٤.

(٧) الدين المسيحى للمرحلة الثانوية سنة ١٩٦٦ ص٣٧.

الله أن الإرث فى البركة لإسحاق وأن الخلاص إنما يكون فى نسله الذى هو المسيح (إبراهيم أبوكم ابتهج حتى يرى يومى فرأى وفرح) أمر الله إبراهيم بذبح ابنه إسحاق ولكن الله فداه فكان هذا الفداء علامة على طريق الخلاص الذى يتم بالمسيح.

٢ ـ لقد صاحب قطع العهد مع إبراهيم بعض الطقوس الدينية من شطر بعض الحيوانات.... ولقد ثبت الله العهد مع إبراهيم فأعطاه الختان حتى يميز نسله الذى يرث الأرض والعهد عن باقى الأجناس التى لا تختتن.

ولنا وقفة مع هذه المرحلة من عهد النعمة :ـ

أولاً : أول ما يلفت الأنظار أن سبب إعطاء الله العهد لإبراهيم هو إيمانه بالله سبحانه وتعالى الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له شريك فى الملك ولم تكن له صاحبة ولا ولد. معنى ذلك أنه إذا انتفى هذا الإيمان عند قوم فإنهم ولاشك ليسوا هم المعهود إليهم بالخير والبركة، والحال الآن وما عليه المسيحيون من إثبات الألوهية لغير الله من المسيح والروح القدس مما يضطرنا إلى القول بأنهم ليسوا هم المعهود إليهم بالخير والبركة والكثرة، أى أنه لا يوجد لديهم الإيمان بالإله الواحد الذى يؤهلهم لأن يكونوا ورثة لعهد إبراهيم الذى أعطاه الله له بسبب الإيمان به وبوحدانيته.

ثانيًا : بالنسبة لمن له حق إرث العهد. الاعتقاد السائد لدى اليهود والمسيحين أن إسحاق ونسله هم الذين له حق الإرث لأنه نال البركة ولأنه هو الذبيح.

❖ إن الواقع التاريخى يحدثنا بأن إسحاق هو الابن الثانى لإبراهيم بعد إسماعيل أى أن إسحاق ليس هو البكر لإبراهيم.

ذلك لأن للبكورية امتيازات ـ كما يشهد بذلك الكتاب المقدس[1] يمتاز بها البكر عن غيره من أخوته :

---

(١) ولا أدل على ذلك مما ورد فى سفر التكوين ادعاء أن يعقوب حاول شراء بكورة أخيه (عيسو) (فقال يعقوب لعيسو بعنى اليوم بكورتك) تكوين ٢٥ : ٣١.

منها: نيابة البكر عن أبيه فى البيت حين غيابه.

ومنها: اختصاصه بالبركة على شرط أن يكون مستحقًا لها وإلا فتعطى لغيره كما حدث لعيسو ورأبين.

ومنها: أن يعطى نصيبًا واحدًا زائدًا عن إخوته، ويدل على ذلك ما جاء فى سفر التثنية "إذا كان لرجل امرأتان إحدهما محبوبة والأخرى مكروهة فولدتا له بنين المحبوبة والمكروهة. فإن كان الابن البكر للمكروهة فيوم يقسم لبنيه ما كان له لا يحل له أن يقدم ابن المحبوبة بكرًا على ابن المكروهة البكر. بل يعرف ابن المكروهة بكرًا ليعطيه نصيب اثنين من كل ما يوجد عنده لأنه أول قدرته له حق البكورية"[١].

ومنها: وهو أهمها وأعظمها اعتبارًا ـ عندهم ـ: أن البكر كان مكرسًا للرب[٢] ويدل على ذلك ما جاء فى سفر الخروج ضمن وصايا الرب لموسى (لا تسب الله. ولا تلعن رئيسًا فى شعبك. لا تؤخر ملء بيدرك وقطر معصرتك. وأبكار بنيك تعطينى)[٣].

وكان للبكر من أولاد الملوك الحق أن يتبوأ أريكة الملك بعد أبيه ويدل عليه ما جاء فى أخبار الأيام الثانى: "وأما المملكة فأعطاهم ليهورام لأنه البكر"[٤].

---

(١) تثنية ٢١: ١٥ ـ ١٧.

(٢) كانت العادة عند اليهود أن يكرسوا كل بكر ذكر لخدمة الرب ويدل على ذلك ما جاء فى سفر الخروج "أنك تقدم للرب كل فاتح رحم وكل بكر من نتاج البهائم التى تكون لك. الذكور للرب. ولكن كل بكر حمار تفديه بشاة. وإن لم تفده فتكسر عنقه. وكل بكر إنسان من أولادك تفديه" خروج ١٣: ١٢/ ١٣، ٣٤: ١٩" وهناك سبب آخر وهو أنهم أمروا بذلك ليتذكروا قتل الله لأبكار المصريين وإبقائه على أبكارهم فنسخ حكم هذه العادة منذ تعيين اللاويين (أبناء لاوى الابن الثالث ليعقوب من ليئة) فصار يستعاض عن كل بكر بلاوّى، ولما عدّوا اللاويين زاد عدد الأبكار ٢٧٣ ذكرًا عن عددهم فداهم العبرانيون بدراهم عن كل رأس خمسة شواقل من الفضة (نحو نصف جنيه إنجليزى). وأما البكر من البهائم فكان مكرسًا أيضًا لخدمة الرب. لا يفك ولا يبدل إلا إذا كان من الحيوانات النجسة حسب الشريعة وأراد صاحبه فكه. وإذا لم يرد بيع أو قتل أو بدل "خروج ١٣: ١٣ لاويين ٢٧: ٢٧". راجع قاموس الكتاب المقدس ص١٨٦.

(٣) خروج ٢٢: ٢٩.

(٤) أخبار الأيام الثانى ٢١: ٣.

على أن ذلك لم يكن مطردًا فإن سليمان ويهوآحازر وأبيا، خلفوا آباءهم فى الملك ولم يكونوا أبكارًا[١].

ولما كانت البكورية أمرًا ذا شأن واعتبار عند اليهود فإنهم كانوا يلقبون كل ما كان كبير الأهمية بالبكر ولذا جاء ذكر البكر[٢] وبكر من الأموات[٣] والابن الوحيد فى ألقاب المسيح[٤].

والسؤال القائم الآن: هل إسماعيل الابن البكر لإبراهيم لا يستحق البركة فيعطى إرث العهد لإسحاق بدلاً منه؟

والجواب من الكتاب المقدس: أن الله بارك إسماعيل: "وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه هأنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرًا جدًا. اثنى عشر رئيسًا يلد وأجعله أمة كبيرة"[٥] معنى ذلك أنه مستحق للبركة فباركه الله، وإذا كان إسماعيل يستحق بركة الله، والله باركه فإنه أولى من أخيه فى إرث العهد الذى قطعه الله مع إبراهيم، ذلك لأنه هو البكر لإبراهيم.

قد يقال: إن إرث العهد شىء والبركة شىء آخر.

فإننا نقول: إن عهد الله لإبراهيم عبارة عن أن الله وعده بأن يبارك نسله، وأن نسله يكثر ويثمر كثرة كبيرة حتى تكون له السيادة على الأرض وعلى جميع الأمم، فإذا كان الله قد بارك إسماعيل ووعده بالبركة فى نسله فهو أولى بإرث العهد من إسحاق الذى هو الابن الثانى لإبراهيم.

قد يقال أيضًا: إن إسماعيل ابن الجارية بينما إسحاق ولد سارة التى هى زوجة إبراهيم.

---

(١) الملوك الثانى ٢٣: ٣١، وأخبار الأيام الأول ٣: ١٤، أخبار الأيام الثانى ١١: ١٨ ـ ٢٠.

(٢) (الذى سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكرًا بين أخوة كثيرين) رومية ٨: ٢٩.

(٣) "الذى هو البداءة بكر من الأموات" كولوسى ١: ١٨.

(٤) قاموس الكتاب المقدس ص١٨٧.

(٥) تكوين ١٧: ٢٠.

نقول: إنه لا اعتبار لمثل هذا القول بجانب الاعتبار للبكورية، ويدل على ذلك ما جاء فى سفر التثنية فى النص الذى أشرنا إليه من قبل، الذى يدل على أنه لو كان للرجل امرأتان إحدهما مكروهة والأخرى محبوبة ثم كانت البكورة لابن المكروهة فإنه يعطى مما يملك والده نصيب اثنين من كل ما يوجد عنده، أو يعطى ضعف ما يأخذ الابن الثانى.

فإذا كانت بكورة المكروهة لها نصيب اثنين مما يملك الرجل ـ أى لا يكون كره الرجل لأمه سببًا فى نقض حق البكورة ـ فإن إسماعيل الذى هو بكر إبراهيم، وأمه ليست مكروهة بالنسبة لإبراهيم، بدليل أن سارة حين قالت لإبراهيم "اطرد هذه الجارية وابنها[1] **فقبح الكلام جداً فى عينى إبراهيم لسبب ابنه**" أى أن كونه من ابن الجارية لا يرفع عنه حقه فى البكورة، بمعنى أنه أحق من أخيه فى إرث العهد، فإذا كانت كراهة الزوج لزوجته لا ترفع حق البكورة فكذلك أيضًا كون البكر من جارية لا يرفع أيضًا حق البكورة.

❖ ولكنهم يقولون: إن الله ثبت إرث العهد لإسحاق بأن أمر إبراهيم بأن يأخذ إسحاق فيذبحه لكن الله فداه، فكان عمل إبراهيم هذا سببًا فى ازدياد الثقة والإيمان الذى هو سبب العهد الذى أعطاه الله له، وهذا العمل أيضًا أعطى للعهد صورته النهائية أى جعل ذبح إسحاق علامة على أنه وارث العهد والذى من نسله يكون الفداء للبشر ويكون خلاصهم من خطاياهم، فكان هذا الفداء الذى فدى الله به إسحاق علامة على أن الفداء سيكون من نسله، أى أنه وارث العهد.

والسؤال الوارد الآن: هل إسحاق فعلاً هو الذبيح؟

كما قلنا سابقًا يعتقد اليهود والنصارى أن الذبيح هو إسحاق، ويستدلون بما جاء فى سفر التكوين (أن الله امتحن إبراهيم. فقال له يا إبراهيم خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحاق[2]..) ونحن نقول إنه من خلال النصوص التوراتية نفسها نستطيع أن نؤكد أنه يستحيل أن يكون الذبيح هو إسحاق، بدليل ما جاء فى الفقرة التى

(١) تكوين ٢١: ١٠/ ١١.
(٢) تكوين ٢٢: ٢.

استشهد بها اليهود والنصارى على كون الذبيح إسحاق (ابن إبراهيم الوحيد) ؛ ذلك أن إسحاق لم يكن وحيدًا، حيث إنه ولد وكان عمر إسماعيل حوالى أربع عشرة سنة، ويدل عليه ما جاء فى سفر التكوين فى الإصحاح السادس عشر (فولدت هاجر لأبرام ابنا. ودعا أبرام اسم ابنه الذى ولدته هاجر إسماعيل. كان أبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لأبرام)[١].

أى أن هاجر ولدت إسماعيل وكان عمر إبراهيم ستا وثمانين سنة، بينما كان عمره وقت أن ولدت سارة إسحاق كما جاء فى الإصحاح الحادى والعشرين (وكان إبراهيم ابن مئة سنة حين ولد له إسحاق ابنه)[٢].

فيستحيل من خلال هذه النصوص أن يكون إسحاق هو الوحيد لأنه تبين منها أن عمر إسماعيل وقت أن ولدت سارة إسحاق أربع عشرة سنة فلا يمكن بحال من الأحوال أن يكون إسحاق هو الوحيد.

وأيضًا يدل على ذلك: أن سفر التكوين يذكر أن إسماعيل ختن فى الثالثة عشرة من عمره وذلك حسب ما جاء فى الإصحاح السابع عشر (فأخذ إبراهيم إسماعيل ابنه وجميع ولدان بيته وجميع المبتاعين بفضته كل ذكر من أهل بيت إبراهيم وختن لحم غرلتهم فى ذلك اليوم عينه كما كلمه الله، وكان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين ختن لحم غرلته. وكان إسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين ختن فى لحم غرلته[٣] وفى نفس هذا اليوم الذى اختتن فيه إسماعيل وعمره ثلاث عشرة سنة جاءت إبراهيم البشرى بأن زوجه سارة ستنجب له مولودا هو إسحاق.

فعمر إبراهيم وقت أن ختن إسماعيل تسع وتسعون سنة، وكان إسماعيل يبلغ من العمر ثلاث عشرة سنة، بينما ولدت سارة لإبراهيم إسحاق وعمره مائة سنة، وعليه فلا يمكن أن يكون إسحاق هو الوحيد فليس هو الذبيح. يقول الأستاذ/ حافظ بن عياد: "ويتأكد من خلال هذا كله أن كلمة (إسحاق) قد أضيفت إلى النص

---

(١) تكوين ١٦ : ١٥ ، ١٦.
(٢) تكوين ٢١ : ٥.
(٣) تكوين ١٧ : ٢٣/ ٢٤.

الأصلى من الفقرة الثانية فى الإصحاح الثانى والعشرين من سفر التكوين[١] لتنفى الذبح عن إسماعيل أبى العرب ولإسناد ذلك الشرف لإسحاق، وقد غفل صاحب الإضافة تلك عن التناقض الذى تصبح عليه بقية النصوص[٢] والنتيجة الطبيعية أنه إذا لم يكن إسحاق هو الذبيح لأنه لم يكن وحيدًا وقت أن أمر الله إبراهيم بذبحه فلابد وأن يكون هو إسماعيل لأنه كان وحيدًا قبل أن يولد لإبراهيم إسحاق.

وعليه فإن كل الدلائل تشير إلى أن إرث العهد والبركة لإسماعيل حيث إنه كان البكر لإبراهيم وحيث إنه هو الذبيح الذى وصف بأنه (وحيد إبراهيم).

وحيث إن نصوص التوراة تشير إلى أن الله وعد هاجر بالكثرة فى نسلها فقال لها "تكثيرًا أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة"[٣].

ووعدها بأن يجعل نسلها أمة كبيرة وعظيمة فقال لها (قومى احملى الغلام وشدى يدك به. لأنى سأجعله أمة عظيمة)[٤].

ووعد الله إبراهيم بأن يجعل من نسل إسماعيل أمة كبيرة بعد أن بارك إسماعيل فقال له "وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرًا جدًا. اثنى عشر رئيسًا يلد وأجعله أمة كبيرة"[٥].

فكل هذه الحيثيات ترجح كفة إسماعيل وتجعله هو المقصود بالعهد الذى وعده الله لنسل إبراهيم، ومن المجافاة للحق القول بخلاف ذلك.

وسنكتفى بالإشارة إلى أن المقصود بنسل إسماعيل الذين يرثون العهد هم العرب وهو إشارة إلى النبى العربى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

❖ ❖ ❖

ثالثًا: إن الله ثبت العهد الذى أعطاه لإبراهيم بالختان وجعله علامة للنسل الذى يرث العهد.

---

(١) يشير بذلك إلى قول الله لإبراهيم ـ كما فى سفر التكوين ـ "خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحاق".
(٢) مقال الأستاذ/ حافظ بن عياد فى مجلة منار الإسلام عدد ذى الحجة ١٤٠٣ هـ ص٣٤.
(٣) تكوين ١٦ : ١٠.
(٤) تكوين ٢١ : ١٨.
(٥) تكوين ١٧ : ٢٠.

والختان أولاً ـ هو التطهير، وهو من الشعائر المعروفة فى اليهودية، وهو قطع لحم غرلة كل ذكر ابن ثمانية أيام، وقد جعل هذا الطقس علامة عهد بين الله وإبراهيم الذى اختتن هو وأهل بيته وعبيده الذكور، وكان الختان يقوم به عادة رب البيت أو أحد العبرانيين، وأحيانًا الأم[١]، وقد ختن إبراهيم وهو فى التاسعة والتسعين، ثم تجددت سنة الختان لموسى[٢] فقضى أن لا يأكل الفصح رجل أغرل، وكان اليهود يحافظون كل المحافظة على هذه السنة وقد أهملوها أثناء رحلتهم فى البرية، على أنه عند دخول الشعب أرض كنعان صنع يشوع سكاكين من الصوان وختن الشعب كله[٣] وكان مفروضًا على كل الغرباء الذين يقبلون الدخول فى اليهودية أن يخضعوا لهذا الغرض مهما تكن أعمارهم[٤].

ومن الشرائع اليهودية أنه لا يجوز أن تتزوج المرأة برجل أغلف أى غير مختتن ويعتبر هذا العمل عارًا لمن يفعله. ففى سفر التكوين (لا نستطيع أن نفعل هذا الأمر أن نعطى أختنا لرجل أغلف، لأنه عار لنا، غير أننا بهذا نواتيكم. إن صرتم مثلنا بختنكم كل ذكر نعطيكم بناتنا ونأخذ لنا بناتكم ونسكن معكم ونصير شعبًا واحدًا. وإن لم تسمعوا لنا أن تختتنوا نأخذ ابنتنا ونمضى)[٥].

وكذلك لا يجوز للضيف أن يتناول من طعام الفصح إلا إذا اختتن (وإذا نزل عندكم نزيل وصنع فصحًا للرب فليختتن منه كل ذكر ثم يتقدم ليصنعه. فيكون كمولود الأرض، وأما كل أغلف فلا يأكل منه، تكون شريعة واحدة لمولود الأرض

---

(١) خروج ٤: ٢٥، ٢٦ (وحدث فى الطريق فى المنزل أن الرب التقاه ـ أى موسى ـ وطالب أن يقتله. فأخذت صفورة صَوّانة وقطعت غرلة ابنها ومست رجليه فقالت إنك عريس دم لى. فانفك عنه. حينئذ قالت عريس دم من أجل الختان "وفى قاموس الكتاب المقدس" تعليق على هذه الفقرة يقول (**وحسب الظاهر أن الرب طلب قتل موسى لأنه لم يختن** ابنه وعرفت صفورة ذلك فأسرعت وختنته بصوانة. ويظهر من هذه القصة أن سنة الختان التى أعطيت لإبراهيم كانت مطلوبة من كل نسله) ص٩٣١.

(٢) لاويين ١٢: ١ ـ ٣ (وكلم الرب موسى قائلاً كلم بنى إسرائيل قائلاً. إذا حبلت امرأة وولدت ذكرًا تكون نجسة سبعة أيام. كما فى أيام طمث علتها تكون نجسة. وفى اليوم الثامن يختن لحم غرلته).

(٣) يشوع ٥: ٢ ـ ٩ "فى ذلك الوقت قال الرب ليشوع اصنع لنفسك سكاكين من صوان وعد فاختن بنى إسرائيل ثانية... إلى آخره".

(٤) قاموس الكتاب المقدس ص٣٣٧.

(٥) تكوين ٣٤: ١٤ ـ ١٧.

وللنزيل النازل بينكم. ففعل جميع بنى إسرائيل كما أمر الرب موسى وهارون. هكذا فعلوا[١]".

هذا هو الختان سنة شرعية جعله الله علامة على تثبيت العهد، وعلامة على النسل الذى يرث هذا العهد، ثم إنه أيضًا لابد لمن يدخل فى الديانة اليهودية أن يختتن ولا يجوز الزواج ولا الأكل مع غير المختتنين.

ولنا أن نقول: إنه إذا كان الختان علامة على تثبيت العهد فلابد وأن يحدث أو يقع أو يحصل ممن يعتبرون أنفسهم هم المعنيون أو المقصودون من عهد الله لإبراهيم.

وحال المسيحيين الذين يجعلون هذا العهد إشارة إليهم. وما هم عليه من عدم الختان يجعلنا نتساءل: كيف يكون الختان علامة على تثبيت العهد وتؤمنون بأنكم أنتم المقصودون من العهد بينما لم يقع منكم الختان؟

فالمسيحيون يقولون بعدم الختان، أو يفسرونه تفسيرًا يخرج به عن معناه الحقيقى. ويقولون بعدم الختان استنادًا إلى كلام صدر من فم بطرس وبولس لاعلى كلام صدر من فم المسيح عيسى بن مريم عليه السلام.

والمعروف أن المسيح بين أنه غير ناسخ لشريعة وأحكام التوراة، ومن أحكامها كما تقدم (الختان) فكيف ينسخ؟ بينما المسيح يقول (لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس بل لأكمل)[٢].

ثم إن اليهود الذين آمنوا بالمسيح دعا بعضهم الأمم من بعد المسيح إلى دين المسيح "وقالوا: إنه ينبغى أن يختنوا ويوصوا بأن يحفظوا ناموس موسى"[٣].

فرد عليهم بطرس ومن معه من التلاميذ بأن الأمم الداخلة فى المسيحية عليهم أن يلتزموا بالامتناع عن أربعة أمور هى :-

---

(١) خروج ١٢ : ٤٨ ـ ٥٠.

(٢) متى ٥ : ١٧.

(٣) أعمال الرسل ١٥ : ٥.

نجاسات الأصنام، والزنا، والمخنوق، والدم[١].

بمعنى أنه لا عليهم أن يلتزموا بالاختتان، وما عليهم من واجبات إلا أن يمتنعوا عن تلك الأمور الأربعة.

ثم جاء بولس فبين أن الختان ليس قطع الغرلة من الجسد بل طهارة القلب من الحقد والحسد وما شابه ذلك وقال للعلماء من بنى إسرائيل: ما نفع قطع قطعة من الجسد والقلب بعيد عن رحمة الله[٢].

ففى الإصحاح الثانى من رسالته إلى أهل رومية يخاطب العالم اليهودى بقوله:

"هوذا أنت تسمى يهوديًا وتتكل على الناموس وتفتخر بالله وتعرف مشيئته وتميز الأمور المتخالفة متعلمًا من الناموس وتثق أنك قائد للعميان ونور للذين فى الظلمة ومهذب للأغبياء ومعلم للأطفال ولك صورة العلم والحق فى الناموس. فأنت إذاً الذى تعلم غيرك ألست تعلم نفسك. الذى تكرز أن لا يسرق أتسرق؟ الذى تقول أن لا يزنى أتزنى؟ الذى تستكره الأوثان أتسرق الهياكل؟ الذى تفتخر بالناموس أبتعدى الناموس تهين الله؟ لأن اسم الله يجدف عليه بسببكم بين الأمم كما هو مكتوب. فإن الختان ينفع إن عملت بالناموس. ولكن إن كنت متعديًا الناموس فقد صار ختانك غرلة، إذاً إن كان الأغرل يحفظ أحكام الناموس أفما تحسب غرلته ختانا. وتكون الغرلة التى من الطبيعة وهى تكمل الناموس تدينك أنت الذى فى الكتاب والختان تتعدى الناموس. لأن اليهودى فى الظاهر ليس هو يهوديًا ولا الختان الذى فى الظاهر فى اللحم ختانًا. بل اليهودى فى الخفاء هو اليهودى وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان الذى مدحه ليس من الناس بل من الله"[٣].

ونقول إن من الثابت قطعيًا أن عيسى عليه السلام ـ كان مختونا :ـ

(ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبى سمى يسوع)[٤].

---

(١) أعمال الرسل ١٥ : ٢٠

(٢) د/ أحمد السقا فى إحدى تعليقاته على كتاب (على التوراة٩ للباجى ص٧١.

(٣) رومية ٢ : ١٧ ـ ٢٩.

(٤) لوقا ٢ : ٢١.

هذا بالإضافة إلى أن الختان من أحكام التوراة والمسيح بين أنه غير ناقض لأحكام وشرائع التوراة، وإذا كان الأمر كذلك فإن تركه والأمر بتركه إنما هو خروج على أحكام التوراة وخروج على شريعة الله التى تؤمنون بها لأن الله هو المشرع فإذا جاء إنسان مهما تكن مرتبته فى الديانة وشرع أمرًا أو نهى عن شرع فإنما هو مردود عليه.

وأما تفسير الختان بأنه هو طهارة القلب فإن الرد عليه كما يلى :ـ

أولاً: أنهم كذبوا على الله حيث قالوا إنما أراد الله بهذا الحكم "إزالة غلوفية القلب" ولو كان ذلك حقًا لبينه موسى للناس ولما جاءهم بالختان ولما فعله ولما فعل بيحيى[١] وعيسى وسائر الأنبياء الذين حكموا بالتوراة ولم يزالوا يختتنون ويأمرون بالختان إلى زمان المسيح، ثم إن المسيح لم ينه عنه ولا أمر بتركه فهذا على الله ورسله كذب صراح.

ثانيًا: أنهم سفهوا أحكام الله ورسل الله حيث قالوا "لا منفعة فى ذلك"[٢].

مع أن الله قد حكم به وشرعه وبلغ ذلك أنبياؤه ورسله وعلموه الناس فكيف يجوز على الله وعلى أنبيائه أن يتعبدوا الناس بحكم لا فائدة له لا فى الدنيا ولا فى الآخرة؟ فهذا غاية الافتراء على الله وعلى رسله، ثم يلزمهم على ذلك أن يكونوا عابثين فى أفعالهم، وأن وجود والشرائع وعدمها واحدة، وكذلك إرسال الرسل وإنزال الكتب[٣].

---

(١) (وفى اليوم الثامن جاءوا ليختنوا الصبى وسموه باسم أبيه زكريا فأجابت أمه وقالت لا بل يسمى يوحنا) لوقا ١ : ٥٩ ـ ٦٠.

(٢) وذلك إشارة إلى قول بولس (هاأنا بولس أقول لكم إنه إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئًا) غلاطية ٥ : ٢، وأيضًا قوله "لأنه فى المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئًا ولا الغرلة بل الخليقة الجديدة" غلاطية ٦ : ١٥.

(٣) الإمام القرطبى: الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام ص٤٢٠، ٤٢١. ولقد ذكر بعضًا من فوائد الختان فقال "ثم إننا نبدى فوائد الختان حتى يظهر كذبهم وجهلهم وتواقحهم لكل إنسان، ففى الختان فوائد كثيرة منها: **أولاً**: أنها عبادة فى بدن الإنسان إذا فعلها أثيب وإن تركها عوقب ـ على القول بوجوبه ـ ولا فائدة أعظم من ذلك. **ثانيًا**: أنه لا يتأتى مع وجود الغلفة مبالغة فى النظافة ومع زوالها يتأتى ذلك. **ثالثًا**: أنه ألذ فى الجماع

وأسرع لمجيء شهوة الوقاع، ومع وجودها يكون أبعد للشهوة، وقد تكون الغرلة إذا طالت مكسلة عن الإنزال. **رابعًا**: أن خروج الماء الدافق من غير غلفة وانزعاجه أشد، فإن الغلفة إذا طالت ربما نقصت من انزعاجه وفترته وإذا كان كذلك وخرج الماء فاترًا قد لا يقع فى المحل الذى ينعقد فيه النطفة فلا ينعقد الولد ويكون هذا كالعزل ومقصود الشرع فى الغالب: تكثير النسل. فهذه أربع فوائد محققة لا يتصور إنكارها وقد لا يبعد أن يقصد الشرع جميعها أو بعضها، فإذن قد تبين أن النصارى كذبوا على الله وجهلوا شرع الله.

(الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد ص٤٢١).

ولقد فسر عالم الأديان الفرنسى (شارل جنيبير) قول بولس بعدم الختان لأنه رأى أن أهل اليونان غير راضيين عنه فقال (وكان بولس على علم بأن عملية الختان لا يرضى عنها أهل اليونان، وأن أغلب أحكام الشريعة اليهودية للحياة العملية لا تتفق مع عاداتهم وأساليب تفكيرهم، فلم يلبث أن آمن بأن تعاليم هذه الشريعة قد نسختها[١] تعاليم المسيح بل إن هذا المسيح أتى خصيصًا ليبدل عهدا قديمًا بعهد جديد[٢].

والخلاصة: ـ أنه إذا كان الختان ـ كما تقولون ـ علامة على تثبيت العهد وعلامة على حفظ العهد الذى وعده الله لإبراهيم، وإذا كان الختان علامة مميزة للمعهود إليهم بالبركة بين الأجناس الأخرى فإننا نقول إن هؤلاء المسيحين الذين منعوا الختان أو نسخوه بغيره ليسوا هم المعهود إليهم بالبركة والنسل الكثير والسيطرة على الأجناس الأخرى، لأن الله قال لإبراهيم ولنسله فى الختان (علامة عهد بينى وبينكم[٣])وهم لم يختتنوا فإنهم ليسوا هم المعهود إليهم لأن الختان هو علامة العهد.

وهذا يجعل ما استنتجناه سابقًا فى التعليق الأول من أن إسماعيل ونسله هم المقصودون بالعهد من حيث الكثرة والبركة هو الأصح وهو الأقرب إلى نصوص التوراة لأن نسل إسماعيل هم الذين يختتنون وهم الذين يعتبرون الختان سنة شرعية من سنن أبيهم إبراهيم عليه السلام.

العصر الثالث من عصور عهد النعمة:ـ ويمتد من موسى إلى المسيح. وكل ما اختص بالعصرين السابقين متضمن فيه، أضيف إليه بأمره تعالى كثيرًا من الفرائض السياسية والطقسية كالكهنوت والذبائح وغيرها[٤].

---

(١) وهو يشير بذلك إلى ما جاء فى رسالة بولس إلى أهل كولوسى (وبه ـ أى المسيح ـ أيضًا ختنتم ختانًا غير مصنوع بيد بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح، مدفونين كولوسى فى المعمودية التى فيها أقمتم أيضًا معه بإيمان عمل الله الذى أقامه من الأموات) كولوسى ٢ : ١١ ـ ١٢ جاء فى قاموس الكتاب المقدس فى تعليقه على هذا النص (فيتضح منه أن بولس يعلم بأن للمعمودية فى العهد الجديد نفس المكانة التى كانت للختان) ص٣٣٨.

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص١٠٤.

(٣) تكوين ١٧ : ١١.

(٤) علم اللاهوت النظامى ص٧٦٧.

وعهد هذه المرحلة يعتمد أساسًا على قصة خروج موسى والعبرانيين من مصر يقول الأب/ ديلى "غاية الله أن يعقد مع العبرانيين عهدًا فى سيناء، وكانت الخطوة الأولى فى هذا السبيل إخراج العبرانيين من مصر. هذا ما كان على موسى أن يقوم به فيعمل على إقناع فرعون بأن يترك العبرانيين يخرجون، وعلى إقناع العبرانيين بأن يقبلوا بالرحيل عن مصر"(١).

"فقال موسى لله من أنا حتى أذهب إلى فرعون وحتى أخرج بنى إسرائيل من مصر. فقال إنى أكون معك وهذه تكون لك العلامة أنى أرسلتك. حينما تخرج الشعب من مصر تعبدون الله على هذا الجبل. فقال موسى لله هاأنا آتى إلى بنى إسرائيل وأقول لهم إله آبائكم أرسلنى إليكم. فإذا قالوا لى ما اسمه فماذا أقول لهم. فقال الله لموسى أهيه (٢) الذى أهيه وقال هكذا تقول لبنى إسرائيل أهيه أرسلنى إليكم، وقال الله أيضًا لموسى هكذا تقول لبنى إسرائيل يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب أرسلنى إليكم(٣)..

"فإذا سمعوا لقولك تدخل أنت وشيوخ بنى إسرائيل إلى ملك مصر وتقولون له الرب إله العبرانيين التقانا. فالآن نمضى سفر ثلاثة أيام فى البرية ونذبح للرب إلهنا. ولكنى أعلم أن ملك مصر لا يدعكم تمضون ولا بيد قوية. فأمد يدى وأضرب مصر بكل عجائبى التى أصنع فيها. وبعد ذلك يطلقكم"(٤).

ولما لم يستطع موسى أن يقنع فرعون بترك بنى إسرائيل "كلم الرب موسى وهارون فى أرض مصر قائلاً: هذا الشهر يكون لكم رأس الشهور. هو لكم أول شهور السنة. كلّما كل جماعة إسرائيل قائلين فى العاشر من هذا الشهر يأخذون لهم كل واحد شاة بحسب بيوت الآباء شاة للبيت. وإن كان البيت صغيرًا عن أن يكون كفوا لشاة يأخذ هو وجاره القريب من بيته بحسب عدد النفوس. كل واحد على حسب أكله تحسبون للشاة، تكون لكم شاة صحيحة ذكرًا ابن سنة. تأخذون من

---

(١) تاريخ شعب العهد القديم ص١٤٣.

(٢) أهيه: اسم عبرى معناه "الكائن" هذه كلمة عبرية فى حروف عربية وهى لفظ اسم الرب الذى أطلقه الرب على نفسه عندما كان يتكلم إلى موسى "قاموس الكتاب المقدس ص١٢٨".

(٣) خروج ٣: ١١ ـ ١٥.

(٤) خروج ٣: ١٨ ـ ١٩.

الخرفان أو من المواعز. ويكون عندكم تحت الحفظ إلى اليوم الرابع عشر من هذا الشهر ثم يذبحه كل جمهور جماعة إسرائيل فى العشية. ويأخذون من الدم ويجعلونه على القائمتين والعتبة العليا فى البيوت التى يأكلونه فيها. ويأكلون اللحم تلك الليلة مشويًا بالنار مع فطير. على أعشاب مرة يأكلونه. ولا تأكلوا منه نيئًا أو طبيخًا مطبوخًا بالماء بل مشويًا بالنار. رأسه مع أكارعه وجوفه. ولا تبقوا منه إلى الصباح، والباقى منه إلى الصباح تحرقونه بالنار. وهكذا تأكلونه أحقاؤكم مشدودة وأحذيتكم فى أرجلكم وعصيكم فى أيديكم. وتأكلونه بعجلة. هو فصح للرب. فإنى أجتاز فى أرض مصر هذه الليلة وأضرب كل بكر فى أرض مصر من الناس والبهائم. وأصنع أحكامًا بكل آلهة المصريين. أنا الرب. ويكون لكم الدم علامة على البيوت التى أنتم فيها. فأرى الدم وأعبر عنكم. فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر. ويكون لكم هذا اليوم تذكارًا فتعيدونه عيدًا للرب. فى أجيالكم تعيدونه فريضة أبدية"[١].

وهو ما يسمى بعيد الفصح. يقول الأب/ ديلى:ـ

"ليس الفصح مرورًا فقط وعبورًا كما تعنى الكلمة بل هى بجوهره تعبير عن العهد بين الشعب المختار والله"[٢].

وبعد هذا العمل الذى أمر به الرب خرج موسى ومن معه، وفى الشهر الثالث من خروجهم من مصر جاءوا إلى برية سيناء، وقد أقام الشعب مدة فى سيناء، فحدث أثناء إقامته آن صعد موسى الجبل فعرض الله هناك عليه عهدًا وقال له "فالآن إن سمعتم لصوتى وحفظتم عهدى تكونون لى خاصة من جميع الشعوب. فإن لى كل الأرض"[٣].

وقبل الشعب فأمر الله بالاستعداد لعقد العهد يومين كاملين "فنزل موسى من الجبل إلى الشعب وقدسهم وغسلوا ثيابهم"[٤].

---

(١) خروج ١٢ : ١ ـ ١٤.
(٢) تاريخ شعب العهد القديم ص١٤٦.
(٣) خروج ١٩ : ٥.
(٤) خروج ١٩ : ١٤.

جاء الله إلى سيناء وسط عاصفة شديدة وأعلن الوصايا التى هى بمثابة ملخص لما يتعهد العبرانيون لله بحفظه، ورجع موسى إلى الشعب وأعلن لهم أقوال الله فأجاب العبرانيون "جميع ما تكلم به الرب نفعله ونأتمر به"[١].

وعقد العهد وسط الذبائح فأخذ موسى من دم الضحايا ورش به الشعب قائلاً: "هو ذا دم العهد الذى عاهدكم الرب به"[٢][٣].

وصعد موسى مرة أخرى جبل سيناء، ومكث هناك أربعين يومًا يستمع إلى كلام الله، ولم يطل بالشعب الأمر حتى نقض العهد، وذلك لأن الله قد حرم عليهم منعًا للوثنية أن يمثله فى شكل من الأشكال: "لا تصنع لك تمثالاً منحوتًا ولا صورة"[٤] ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا[٥]، فطلب هارون منهم ـ كما يدّعون ـ أن يأتوه بحلى نسائهم فلما أتوه بها سبكها عجلاً، وللحال نصبوا مذبحا، وقدموا عليه الذبائح، وأولموا وليمة كبيرة رقصوا فيها الرقصات الطقسية، فكان العصيان الأول والمخالفة الأولى للعهد المقدس[٦]، وحين نزل موسى من الجبل ولوحا الشهادة فى يده وإذا به يسمع الأناشيد وعندما اقترب أبصر العجل والرقص فحمى غضب موسى، وطرح اللوحين من يده وكسرها فى أسفل الجبل، ثم أخذ العجل الذى صنعوا وأحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعمًا وذراه على وجه الماء وسقى بنى إسرائيل[٧]، ثم اقتص من الذين عصوا الله فسقط منهم بسيف بنى لاوى. الذين ظلوا مخلصين للعهد قوم كثيرون وتكرّس الشعب لله ونال موسى بعد تضرع وتوسل عفو الله عن شعبه وتجدد العهد، وأنشىء هيكل العهد يومئذ على شكل تابوت صغير يحمل فيه الأسفار[٨].

---

(١) خروج ٢٤ : ٣.

(٢) خروج ٢٤ : ٨.

(٣) راجع سفر الخروج ١٩ : ١٦ ، ٢٠ : ٢١ ، ٢٤ : ١ ـ ٨ راجع تاريخ شعب العهد القديم ص١٥٠.

(٤) خروج ٢٠ : ٤.

(٥) خروج ٣٢ : ١.

(٦) راجع الإصحاح الثانى والثلاثين من سفر الخروج، (تاريخ شعب العهد القديم ص١٥٠).

(٧) خروج ٣٢ : ١٥.

(٨) راجع الإصحاح الثانى والثلاثين من سفر الخروج (تاريخ شعب العهد القديم ص١٥٠).

أما أهمية هذا العهد لموسى: فيقول الأب/ ديلى: "لقد هيأه الله بالعهد الذى قطعه قبلاً مع إبراهيم، وليس عهد سيناء ذاته سوى صورة للعهد الحقيقى الذى سيعرضه يومًا على البشرية جمعاء، كما أن موسى وسيط العهد القديم ليس سوى صورة للمسيح وسيط العهد الجديد، ومن هنا يستمد عهد موسى أهميته للحاضر والمستقبل"(١).

❖ ❖ ❖

وأهم تعليق لنا على هذه المرحلة من عهد النعمة هو: أن الله أعطى موسى العهد بعد أمره له بأن يدعو قومه إلى الإيمان بالله الواحد، إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب. فلما عبدوا العجل رفع عنهم العهد، حتى توسل موسى لله أن يعفو عنهم فعفا عنهم بعد أن آمنوا به سبحانه وتعالى.

فالله سبحانه وتعالى أعطى موسى وقومه العهد وهذا العهد شرطه الأساسى الإيمان بالله الواحد الأحد.

وعليه فإن معنى ذلك أن العهد يسرى بين من يؤمنون بالله الواحد الأحد. لذلك يقول الأب/ ديلى "لهذا العهد إذاً صفة الشروط والصفقة، به يتعهد إسرائيل أن يطيع الله فى كل أوامره ونواهيه، وبه يتعهد الله مقابل ذلك أن يتخذ له إسرائيل شعبًا مختارًا يشمله بعطف خاص. حتى إذا ما نقض إسرائيل عهده كان الله فى حل من كل وعد معه"(٢).

وسؤالنا الآن: هل أطاع هؤلاء الله فى كل أوامره ونواهيه حتى يستحقوا عهد الله؟ الحق أنهم لم يطيعوا فى أهم شروط العهد ألا وهو الإيمان بالله وبوحدانيته فكيف بالشروط الأخرى؟ ذلك لأن إيمانهم بألوهية المسيح والروح القدس يجعلهم ناقضين لعهد الله، بل وبعيدين عن أن ينالوا من العهد شيئًا.

• وعموم القول أن القصة بأكملها لا تخلو من أخطاء شائعة ليس هنا موضع بيناها، ولكن من أهم هذه الأخطاء أنهم نسبوا إلى هارون ـ زورا وبهتانا ـ أنه صنع لهم عجلاً مسبوكًا ليعبده بنو إسرائيل. وذلك لأنه لا يتسق مع كون هارون رسولاً

(١) المصدر السابق ص١٥١.

(٢) المصدر السابق ص١٥٢.

من عند الله. ويتبين ذلك مما جاء فى الكتاب المقدس من أن الله نادى موسى وهارون وأمرهما بأن يقوما بتبليغ شرع الله للناس ودعوتهم إلى عبادة الله الواحد. يقول سفر الخروج (وقال الرب لهارون اذهب إلى البرية لاستقبال موسى. فذهب والتقاه فى جبل الله وقبله. فأخبر موسى هارون بجميع كلام الرب الذى أرسله وبكل الآيات التى أوصاه بها. ثم مضى موسى وهارون وجمعا جميع شيوخ بنى إسرائيل. فتكلم هارون بجميع الكلام الذى كلم الرب موسى به وصنع الآيات أمام عيون الشعب فآمن الشعب)[١] ثم أمرهما الله بأن يذهبا إلى فرعون ليبلغاه بدعوة الله.

وسؤالنا: كيف يجوز على رسل الله وهم سفراء الله على الأرض ودعاته إلى التوحيد أن يصنعوا هم التماثيل ليعبدها الناس من دون الله؟

كيف يجوز على هارون ـ وهو القدوة لهم فى الامتثال لشرع الله وأوامره ـ أن يصنع لهم عجلاً ليعبدوه من دون الله مع أن الله أمره هو وموسى بدعوة الناس إلى التوحيد ونهيهم عن أن يجعلوا لله ندا وشريكا؟. يقول الرب لموسى وهارون "لا تصنع لك تمثالاً منحوتًا ولا صورة ما مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت وما فى الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن. لأنى أنا الرب إلهك"[٢].

وهناك أخطاء أخرى لو أحصيناها لخرجنا عن موضوع الدراسة.

❖ ❖ ❖

العصر الرابع: ويمتد من مجىء المسيح إلى انقضاء العالم ـ كما يدّعون ـ:

وهو يدعى عهدًا جديدًا بالنسبة إلى العهد الموسوى الذى كان قديمًا أو عتيقًا[٣]. يعتقد المسيحيون أنه فى هذا العصر سيتم كل عمل الفداء أى سيتم عهد الفداء.

ولقد اختلف اللاهوتيون المسيحيون فى طرفى هذا العهد:ـ "إنه يظهر من أول وهلة أن فى نصوص الكتاب المقدس تشويشًا من جهة فريقى هذا العهد لأن المسيح

---

(١) خروج ٤: ٢٧ ـ ٣١.

(٢) خروج ٢٠: ٤ ـ ٥.

(٣) علم اللاهوت النظامى ص٧٦٧.

يذكر أحيانًا أنه أحد فريقيه وأحيانًا أنه وسيطه وضامنه وأن الفريقين المتعاهدين هما الله وشعبه. وقد وفق بعض اللاهوتيين بين تلك النصوص بأن المسيح من وجه نائب المؤمنين فى العهد. كما كان آدم نائب الجنس فى أمر السقوط، وكذلك أن المسيح قام فى ذات العهد مقام وسيط أى أنه تعهد وتوسط معا فى زمن واحد. واستحسن جانب آخر من العلماء التعبير عن العهد على صورتين:-

الأولى: نسبة الله الآب إلى المسيح فى عمل الفداء.

الثانية: نسبة الله الآب إلى شعب المسيح المؤمنين.

فعمل الفداء بكماله يتضمن عندهم عهدين: **أولها:** بين الله والمسيح ويسمى عهد الفداء. **وثانيهما:** بين الله والمؤمنين ويسمى عهد النعمة وهو الذى صار فيه المسيح وسيطًا وضامنًا[١].

وعن المراد بعهد الفداء (جاء فى علم اللاهوت النظامى):-

والمراد بعهد الفداء: العهد بين الله الآب والابن فى شأن خلاص الإنسان وهو من الأمور الخارجة بالكلية عن دائرة إدراكنا، ولذلك يجب قبول تعاليم الكتاب المقدس فيه بدون الظن إننا قادرون أن نصل إلى ما يختص به طبعًا من الأسرار[٢].

فالمسيح - عندهم - هو المقصود بهذا العهد.

أما ماذا لزم المسيح أن يأخذه على نفسه ليتم عمل الفداء كما فى التصور المسيحى:-

١ - لزم أن يتخذ طبيعة البشر ويولد من امرأة ويوجد فى الهيئة كإنسان وكان ينبغى أن يكون ذلك تجسدًا حقيقيًا لا مجرد تجل بحيث يكون عظما من عظامنا ولحمًا من لحمنا مشبها إخوته فى كل شىء ومع ذلك بدون خطية لكى يمكنه "أن يرثى لضعفاتنا وأن يشعر مع المجربين لأنه قد تجرب"[٣].

---

(١) المرجع السابق ص٧٥٤.

(٢) المرجع السابق ص٧٥٥.

(٣) عبرانين ٤: ١٥.

٢ ـ لزم أن يولد تحت الناموس[١] وأن يتعهد باختياره أن يعمل كل بر بطاعته لشريعة الله طاعة تامة فى جميع صورها التى فرضت على الإنسان[٢].

٣ ـ لزم أن يقدم كفارة لأجل خطايا العالم ويحمل خطايا البشر ويصير لعنة لأجلهم مقدمًا نفسه ذبيحة لله عن خطايا البشر[٣].

ولكى يتم ذلك التزم أن يعيش كما عاش على الأرض ويحتمل ما احتمله من الحزن والألم والعار والموت. وأما ما كان عليه أن يعمله بعد ذلك فيختص بارتفاعه[٤].

لكى يتمم المسيح عمل الفداء فى التصور المسيحى كان لابد من :ـ

١ ـ التجسد.

٢ ـ الصلب.

٣ ـ القيامة.

أى أن يظهر بصورة بشرية ويتحمل خطايا البشر ويكفر عنها عن طريق تحمل هذه الخطايا على الصليب وأن يظهر انتصاره على الموت الذى أصاب آدم وذريته بالقيام من قبره.

فأساس العهد ـ عندهم ـ هو كفارة المسيح عن البشر وتحمل خطاياهم.

وهذا ما نبحثه فى الباب الثانى إن شاء الله.

لماذا عقد الله العهد بالخلاص مع الإنسان؟

يعتقد المسيحيون أن الإنسان الذى خلق على صورة الله أخطأ ضد الله وسقط من علياء مركزه جالبا الخراب لنفسه ولكل الجنس البشرى، ولكن الله برحمته ومحبته لم يتركه لمصيره لكنه يسر له طريق للخلاص بإرسال ابنه إلى العالم ليفدى الإنسان بموته

---

(١) غلاطية ٤ : ٤.

(٢) متى ٥ : ١٧ ، ١٨.

(٣) ٢ كورنثوس ٥ : ٢١ ، غلاطية ٣ : ١٣ ، أفسس ٥ : ٢.

(٤) علم اللاهوت النظامى ص٧٥٦.

الكفارى على الصليب، فالخلاص هو عمل الله، فالله هو الذى أخذ زمام المبادرة فى الخلاص وهو الذى وضع خطة الخلاص[١].

يقول الأب بولس الياس اليسوعى: إن الله محبة، وقد خلق الإنسان بداعى المحبة فقط وتعبيرًا عن محبته المجانية له تنازل وعقد عهدًا معه منذ فجر الخليقة[٢].

ويقول كلايد تارنر: (إن الله العظيم هو إله محبة، هذه السجية من سجايا الله تمنح الأمل للقلب الخاطىء. إن معرفة الله كإله كلى القوة والقداسة فقط تجعل الفرد فى خوف ورهبة دائمين ولكن المعرفة أن الإله هذا الإله العظيم القدوس هو إله محبة توقد شعلة الأمل فى القلب[٣].

لقد ظهرت محبة الله بعدة طرق ولكن أسمى مظاهرها ـ كما يقولون ـ هو أنه وهبهم ابنه "بهذا أظهرت محبة الله فينا أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكى نحيا به[٤].

"ولكن الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا"[٥].

فهم يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى عقد مع الإنسان العهد بالخلاص لأنه سبحانه متصف بالرحمة والمحبة، ورحمته ومحبته جعلته يبذل ابنه الوحيد ليصلب من أجل أن يكفر عن خطايا البشر.

وقبل أن نترك هذه النقطة نقول: هل جعل المسيح يهان ويذل ويصلب يعتبر رحمة من الله بالمسيح؟؟؟

(١) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص٤٤.
(٢) بولس إلياس اليسوعى: على خطى المسيح ص٢٤.
(٣) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ٣٠، ٣١.
(٤) ١. يوحنا ٤: ٩.
(٥) رومية ٥: ٨.